العرب

مجلة شهرية تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
أسسها : حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م
صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

ج٥ و٦، س٤٢، ذوالقعدة وذوالحجة ١٤٢٧هـ (كانون أول-كانون ثاني/ ديسمبر٢٠٠٦م-يناير ٢٠٠٧م)

العنوان

التحرير : شارع التحلية، عمارة التوفيق ، هاتف ٢١٩٢١٩٤ (٠٠٩٦٦١) لاقط ٢١٧٨٢٢٣
ص.ب ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦ ـ المملكة العربية السعودية.
الاشتراكات: حي الورود، شارع حمد الجاسر، هاتف ٤٦٠٤٦٦٤(٠٠٩٦٦١) لاقط ٤١٩٤٥٠٣
ص.ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية.

الصفحة الالكترونية: www. hamadaljasser.com

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج٥ و٦، س٤٢، ذوالقعدة وذوالحجة ١٤٢٧هـ)

(كانون أول-كانون ثاني/ ديسمبر٢٠٠٦م-يناير ٢٠٠٧م)

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية

ضوابط النشر في المجلة

١ ـ أن يكون البحث داخلاً ضمن اهتمامات المجلة وهي الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب ، وآدابهم ، ولغتهم ، وتراثهم الفكري .

٢ ـ ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى ، وأن يكون في نسخته الأصلية .

٣ ـ أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة ، وحسن الترقيم والتوثيق ، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح .

٤ ـ أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث .

٥ ـ لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر .

٦ ـ ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لاعلاقة لها بمكانة الكاتب .

٧ ـ الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة .

٨ ـ المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير .

الاشتراك السنوي :

١٠٠ ريال للأفراد، و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٧ ريالاً

الإعلانات :

يتفق عليها مع الإدارة

مخطوطات نفيسة:

الوجوه والنظائر
لأبي هلال العسكري المتوفّى بعد سنة ٣٩٥هـ

بقلم: د. حاتم صالح الضامن*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه النبيّ العربيّ الأمين.

وبعد، فهذا تعريف بمخطوطة نفيسة في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لم يقف عليها أحد ممن كتب في هذا الموضوع، وهي لأبي هلال العسكري، المتوفّى بعد سنة ٣٩٥هـ.

وأرسل لكم هذا البحث من بغداد التي تنزف دمًا، وأنا أردّد قول الشاعر:

ذهبتْ بهجــةُ بغــدا دَ وكانتْ ذاتَ بهجَهْ
فلهـا في كلِّ يـــومٍ رَجَّةٌ مِن بَعْدِ رَجَّـهْ

فإلى الله المشتكى، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وهو بعباده لطيف خبير، وهو على كل شيء قدير.

المؤلّف

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى.

وُلِد في عسكر مُكْرَم، من أعمال الأهواز، بين البصرة وفارس، وتتلمـــذ على أبي أحمد العسكري، وكان يبيع البزّ ليعتاش، له مؤلفات كثيرة، سأكتفي بذِكر المطبوع منها. توفي بعد سنة ٣٩٥هـــ[١].

مؤلفاته المطبوعة:

- "الأوائل".
- "التلخيص في معرفة أسماء الأشياء".
- "جمهرة الأمثال".
- "الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه".
- "ديوان المعاني".
- "ذمّ الكِبر".
- "الرسالة الحكمية".
- "رسالة في ضبط وتحرير مواضع من ديوان الحماسة".
- "شرح ديوان أبي محجن الثقفي".
- "كتاب الصناعتين".
- الفروق اللغوية.
- فضل العطاء على العسر: وطبع تحت اسم: "الكرماء".
- "المعجم في بقية الأشياء".

* * *

وجمع شعره د. محسن غياض، وطبع ببيروت عام ١٩٧٥م. وبلغ مجموع ما جمعه ١٥٧٨ بيتًا.

وفي عام ١٩٧٩م، صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق "**ديوان العسكري**"، جمع د. جورج قنازع، وضم زهاء ١٦٠٠ بيت، وقد أغفل الإشارة إلى (شعر أبي هلال العسكري) للدكتور محسن غياض.

وقد استدركنا على النشرتين ستة وتسعين بيتًا، في بحث لنا بعنوان (المستدرك على شعر أبي هلال العسكري).

كتاب "الوجوه والنظائر":

اسم الكتاب: قال أبو هلال في كتابه "**الفروق في اللغة**" عند كلامه على (الجَعْل): وله وجوه كثيرة أوردناها في كتاب "**الوجوه والنظائر**". والوجوه ستة في الوجوه والنظائر ٧أ. وقال في الكلام على (الحرج): وقد تكلمنا في هذا الحرف في كتاب "**تصحيح الوجوه والنظائر**" بأكثر من هذا. ومما قلنا: قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ إنه أراد ضيقًا لا مخرج منه، وذلك أنه يتخلص من الذنب بالتوبة؛ فالتوبة مخرج...

وقوله هذا في "**الوجوه والنظائر**" ق ٢١ ب.

وجاءت نسخة إيران باسم "**الوجوه والنظائر**".

أمّا عنوان نسخة موريتانيا فهو "**تصحيح الوجوه والنظائر**"، والكتاب هو هو في النسختين.

نسبتـــه:

نُسب الكتاب إلى أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكريّ، المتوفّى سنة ٣٨٢هـ، وهو شيخه، والسبب أنهما اتفقا في الاسم، واسم الأب، والنسبة، وكثير من أهل العلم بالتاريخ لا يفرِّقون بينهما، ويظنّون أنهما واحد.

وقد أشار إلى هذا الاشتباه ياقوت الحمويّ في **"معجم الأدباء"** ٢/٩١٨.

وأقدم من نسب **"تصحيح الوجوه والنظائر"** إلى أبي أحمد هو ياقوت الحمويّ في **"معجم الأدباء"** ٢/٩١٢، وتابعه الصفديّ في **"الوافي بالوفيات"** ٢/٦٣١، وعبد القادر البغدادي في **"خزانة الأدب"** ١/٢٠٢، وهو وهْمٌ منهم جميعًا.

والصواب: أنّ الكتاب لأبي هلال كما جاء في صفحة العنوان، والصفحة الأولى، الملحقتين بهذا البحث.

ومما يوثّق هذه النسبة ما جاء في متن الكتاب:

- الورقة ١ب: قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل.
- الورقة ٥٣ب، و٥٧أ: قال أبو هلال.
- الورقة ١٥أ: والتأويل والتفسير واحد... والفرق بينهما من وجه ذكرناه في كتاب **"الفروق"**.
- الورقة ١٥٠أ: وبيان ذلك مشروح في كتابنا في الفروق.
- الورقة ٥٠أ أيضًا: وبين المثل والشبيه فرق ذكرناه في كتاب **"البديع في الفروق"**.

وطبع كتاب أبي هلال باسم: **"الفروق اللغوية"**، وليس لأبي أحمد كتاب بهذا الاسم.

- الورقة ١٧ب: وشرح ذلك جرى في كتابنا في **"التفسير"**.
- الورقة ٥٠ب: وفيه كلام كثير أوردناه في **"التفسير"**.
- الورقة ٥٢أ: وبيان هذا مستقصى في كتابنا في **"التفسير"**.

ولأبي هلال كتاب في التفسير اسمه "**المحاسن في تفسير القرآن**"، كما جاء في كتب التراجم، ولهذا فقد تُرجم له في "**طبقات المفسِّرين**" للسيوطي، وللداودي، وللأدنه وي.

وليس لأبي أحمد العسكري كتاب في التفسير؛ لذا أغفلت كتب طبقات المفسرين ترجمته.

- الورقة ٣٩ب: أخبرنا بذلك أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، رحمه الله، عن أبي عمر الزاهد عن ثعلب.

- الورقة ٤١ب: وروى لنا أبو أحمد أنه لما قال الفرزدق...

- الورقة ٣٠أ: فقيل في مَثَل: (أجناؤها أبناؤها)، وله حديث ذكرنساه في كتاب "**جامع الأمثال**".

أقول: طُبع باسم "**جمهرة الأمثال**"، وفيه المثل ١١٢/١ وليس لأبي أحمد كتاب بهذا الاسم.

- الورقة ١٥ب: قال أبو بكر الرازي، رحمه الله.

- الورقة ٣٧أ: قال أبو بكر: الظن على أربعة أقسام: محظور، وواجب، ومندوب إليه، ومباح...

أقول: روى أبو هلال عن أبي بكر هذا كثيرًا في كتابه "**المعجم في أسماء بقية الأشياء**" أيضًا، و لم يجر له ذِكر في مؤلفات أبي أحمد العسكري.

منهجه:

أوضح أبو هلال منهجه في مقدمة كتابه، قال: "...وبعد فإنك، سدّدك الله، ذكرتَ أنكَ طالعتَ الكتبَ المصنّفة في الوجوه والنظائر من كتاب الله، جلّ ثناؤه، فوجدتَ ليها تأويلات [لا] تطّرِدُ على أصول أهل الحقّ من

القائلين بالتوحيد والعدل، فأردتَ أن يُرَدّ كل شيء منها إلى حقّه، وألفيتَ في معانيها ما يدخل بعضه في بعض، فالتمستَ إيراد كل نوع على وجهه، وتوخّيتَ أن يكون ما تفرّق منها مجموعًا في كتاب واحد على وجه يقرب استخراج ما يرادُ منه عند الحاجة إليه، ويُزادُ عليه ما كان من جنسه ممّا لم يتكلم فيه السلفُ؛ فعملتُ كتابي هذا مشتملاً على أنواع هذا الفنّ، محمولاً على ما طلبتَ، ومسلوكًا به طريق ما سألتَ، قد نُفي اللّبس عن جميعه، وبُيِّن الصوابُ في صنوفه، ومُيِّزتْ وجوهه تمييزًا صحيحًا، وقُسِّمتْ أبوابه تقسيمًا مليحًا، وذُكِر أصل كل كلمة منه واشتقاقها في العربية لتكثر فائدتك به، ونُظِم على نسق حروف المعجم ليتيسّر الوصول إلى المطلوب من أنواعه ويتسهّل نَيْلُ ما ينبغي من أصنافه فابتُدِئَ منه بما كان في أوّله ألِفٌ أصلية أو زائدة، ثم بما كان في أوّله باء، ثم كذلك إلى آخر الحروف.

والله المعين على ما فيه رضاه، وهو حسبنا ونعم الحسيب".

وبعد هذه المقدمة، تأتي أبواب الكتاب، وعددها تسعة وعشرون بابًا، تضمّ من الألفاظ ٢١١، وقد ذكرتُ عدد وجوه كل لفظة، وهي:

الباب الأول: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألِفٌ:

الإمام: ٤.	الإسلام: ٣.
الأمّة: ١٠.	الإيمان: ٤.
الأخذ: ٦.	الاستغفار: ٣.
الاعتداء: ٢.	الأجل: ٨.
الأمر بالمعروف: ٢.	إقام الصلاة: ٢.
أدنى: ٤.	الاستطاعة: ٤.

الأحزاب: ٤.	الآخرة: ٥.
الأمر: ١٧.	الأخ: ٥.
الأرض: ٩.	الإثم: ٤.
الاشتراء: ٣.	أنّى: ٢.
الأحد: ٣.	أو: ٣.
الآل: ٣.	أم: ٢.
آوى: ٢.	الإذن: ٢.
الأول: ٤.	إلاّ: ٤.
الاستئناس: ٢.	إلى: ٢.
الآية: ٢.	الاستواء: ٤.

الباب الثاني: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله باء:

باءوا: ٣.	البرّ: ٤.
الباء: ٢.	البرهان: ٢.
البأس: ٣.	البعل: ٢.
البطلان: ٥.	بل: ٢.

الباب الثالث: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله تاء:

التأويل: ٥.	التّمني: ٢.
تولّى: ٦.	التّوقي: ٣.
التّقى: ٥.	التسبيح: ٣.

الباب الرابع: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ثاء:

الثّواء: ٣.	

الباب الخامس: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جيم:

الجبّار: ٤.	الجهاد: ٣.
الجعل: ٦.	الجدال: ٤.
الجناح: ٢.	الجنّ: ٢.

الباب السادس: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله حاء:

الحسنة: ٥.	الحساب: ٣.
الحبل: ٢.	الحياة: ٦.
الحسنى: ٤.	حين: ٤.
الحسن: ٣.	الحرج: ٣.
الحكمة: ٥.	حتى: ٣.
الحشر: ٢.	الحرام: ٢.
الحقّ: ١٠.	

الباب السابع: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله خاء:

الخزي: ٤.	الخطأ: ٣.
الخوف: ٥.	الخبيث: ٢.
الخسران: ٤.	الخير: ١٠.
الخلق: ٦.	الخيانة: ٢.

الباب الثامن: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله دال:

الدّين: ٥.	الدّعاء: ٥.

الباب التاسع: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ذال:

الذّكر: ١٥.	

الباب العاشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله راء:

الرحمة: ٨.	الرقبة: ٢.
الروح: ٦.	الرجم: ٤.
الرجاء: ٢.	الرؤية: ٣.

الباب الحادي عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله زاي:

الزّخرف: ٣.	الزّوج: ٣.
الزّبر: ٣.	

الباب الثاني عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله سين:

سواء: ٥.	السمع: ٢.
السوء: ٨.	السلطان: ٢.
السعي: ٣.	السلام: ٦.
سوى: ٣.	السيِّئات: ٥.
السبب: ٤.	السبيل: ١٣.

الباب الثالث عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله شين:

الشِّرك: ٣.	الشّهادة: ٨.
الشِّقاق: ٣.	الشّيع: ٤.

الباب الرابع عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله صاد:

الصّدق: ٣.	الصَّلاح: ٧.
الصّفّ: ٢.	الصِّراط: ٢.
الصَّيحة: ٣.	الصّلاة: ٥.
الصّاعقة: ٣.	الصَّوم: ٢.

الباب الخامس عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ضاد:

الضّحى: ٣.	الضّرّ: ٣.
الضّرب: ٣.	الضّلال: ١٢.

الباب السادس عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله طاء:

الطّهارة: ١٠.	الطّعام: ٤.
الطّاغوت: ٣.	الطّغيان: ٤.
الطّمأنينة: ٣.	الطّمس: ٣.
الطّيّبات: ٦.	الطّائر: ٢.

الباب السابع عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ظاء:

الظّلمات: ٣.	الظّهور: ٧.
الظّلم: ٤.	الظّلال: ٢.
الظّالمون: ٤.	الظّنّ: ٢.

الباب الثامن عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله عين:

العالمين: ٤.	العفو: ٣.
العمى: ٣.	العدل: ٣.
العلم: ٣.	العهد: ٥.
العزّ: ٧.	العرض: ٥.
العبادة: ٣.	العين: ٢.
العدوان: ٣.	

الباب التاسع عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله غين:

الغي: ٣.	الغيب: ٣.

الباب العشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله فاء:

الفساد: ٥.	الفتح: ٨.
الفرقان: ٣.	فوق: ٨.
الفرض: ٥.	الفتنة: ٨.
الفاحشة: ٤.	الفرح: ٣.
الفرار: ٥.	الفضل: ٨.
في: ٥.	

الباب الحادي والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله قاف:

قانتون: ٤.	قليل: ٣.
القوّة: ٥.	القتل: ٢.
القضاء: ١٢.	القائل: ٢.
القدر: ٣.	القائم: ٢.

الباب الثاني والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله كاف:

الكتب: ٥.	كذب: ٢.
الكفر: ٣.	الكريم: ٧.
كان: ٤.	الكلمة: ٣.
كبير: ٨.	

الباب الثالث والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله لام:

اللباس: ٣.	اللغو: ٣.
لولا: ٣.	اللام المكسورة: ٣.
لَمّا: ٢.	

الباب الرابع والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ميم:

ما: ٥.	المثل: ٤.
المسّ: ٤.	المتاع: ٣.
المعروف: ٤.	المولى: ٣.
مِن: ٤.	ما بين أيديهم وما خلفهم: ٣.
المدّ: ٧.	المنسك: ٢.
المستقرّ: ٣.	المصيبة: ٢.
المشي: ٤.	المقام: ٣.
المرض: ٣.	المفاتح: ٢.
المحصنات: ٤.	

الباب الخامس والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله نون:

النّاس: ٦.	النّكاح: ٢.
النّار: ٢.	النّظر: ٣.
النّسيان: ٣.	النّجم: ٢.
النّشوء: ٣.	النّشوز: ٣.
النّفس: ٦.	النّور: ٨.
النّصيب: ٢.	

الباب السادس والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله واو:

الوكيل: ٤.	الولي: ٦.
الوحي: ٥.	الوجه: ٤.

الباب السابع والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله هاء:

الهدى: ١٢.	الهلاك: ٥.
هل: ٤.	

الباب الثامن والعشرون: في ذِكر (لا):

لا: ٥.	

الباب التاسع والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ياء:

اليسير: ٣.	اليقين: ٣.
اليوم: ٢.	اليمين: ٣.
اليد: ٤.	

مصادره:

اعتمد المؤلف على كتابي "**الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**" لمقاتل بن سليمان المتوفّى سنة ١٥٠هـ، و"**الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**" لهارون بن موسى القارئ المتوفّى نحو ١٧٠هـ، ولم يشر إليهما. ينظر على سبيل المثال لا الحصر الألفاظ الآتية في كلا الكتابين:

الإمام: مقاتل ٤٦، وهارون ٤٥.

الأمة: مقاتل ٤٧، وهارون ٤٥.

الأحد: مقاتل ٩١، وهارون ١٧٦.

الأخ: مقاتل ١٣٥، وهارون ٢١٦.

البأس: مقاتل، ٨٩، وهارون ١٧٥.

التّوفي: مقاتل ١٠٥، وهارون ١٨٩.

الجهاد: مقاتل ١١٩، وهارون ٢٠١.

واعتمد أبو هلال على مؤلفاته: "**التفسير**"، و"**جامع الأمثال**"، و"**الفروق اللغوية**".

ونقل أقوالاً كثيرة لعلماء اللغة من غير ذِكر لمؤلفاتهم، وهم على وفـــق حروف الهجاء:

الأخفش، الأصمعيّ، ابن الأنباريّ، الجرميّ، ابن درستويه، الزّجّاج، أبو زيد، سيبويه، أبو عُبيد، أبو عبيدة، أبو علي (الفارسي)، علي بن عيسى، أبو عمر الزّاهد، الفرّاء، قطرب، الكسائي، المبرِّد، المفضّل.

ونقل عن أهل التفسير والفقهاء والمحدّثين وأهل الرأي، وهم على وفـــق حروف الهجاء:

إبراهيم النخعي، الأصمّ، الأوزاعيّ، الحسن البصريّ، أبو حنيفة، سعيد بن جبير، الشافعيّ، شريح، الشعبيّ، الضحّاك، ابن عباس، قتادة، ابن الكلـــبيّ، ابن أبي ليلى، مجاهد، ابن المسيّب، مقاتل، واصل بن عطاء.

شواهده الشعرية:

استشهد بأكثر من سبعين شاهدًا من الأشعار والأرجاز والشعراء الذين استشهد بشعرهم، وهم على وفق حروف الهجاء:

الأسعر، الأعشى، امرؤ القيس، جرير، جميل، حاتم، الحارث بن حلّـــزة، الخنساء، أبو ذؤيب، زهير، سعد بن مالك، الشمّاخ، العجّاج، عدي بـــن زيد، عمرو بن كلثوم، عمرو بن معد يكرب، الفرزدق، الكميت، لبيـــد، النابغة، نصيب، الهذلي (قيس بن عيزارة)، الهذلي (أبو كبير).

وأغفل أسماء الشعراء في شواهد كثيرة.

مخطوطتا الكتاب:

١- نسخة المعهد الموريتاني: وتقع في ١٩٤ ورقة، في كل صفحة ١٩ سطرًا، وجاءت باسم: "**تصحيح الوجوه والنظائر من كتاب الله تبارك وتعالى**". وهي صريحة النسبة إلى أبي هلال، ولكنها نسبت إلى أبي أحمد في الفهرس الشامل ٦١/١ (مخطوطات التفسير وعلومه).

وتاريخ نسخها ٤٨٠هـ.

ومنها صورة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبيّ.

٢- نسخة المكتبة المركزية بجامعة طهران: وتقع في ٥٧ ورقة، في كل صفحة ٣٢ سطرًا، وعنوانها: "**الوجوه والنظائر**".

تاريخ نسخها ٥٤٧هـ.

ومنها صورة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبيّ، وعليها اعتمدت في الإحالة.

وقد ألحقت صورًا من المخطوطتين ليقف عليها القارئ الكريم.

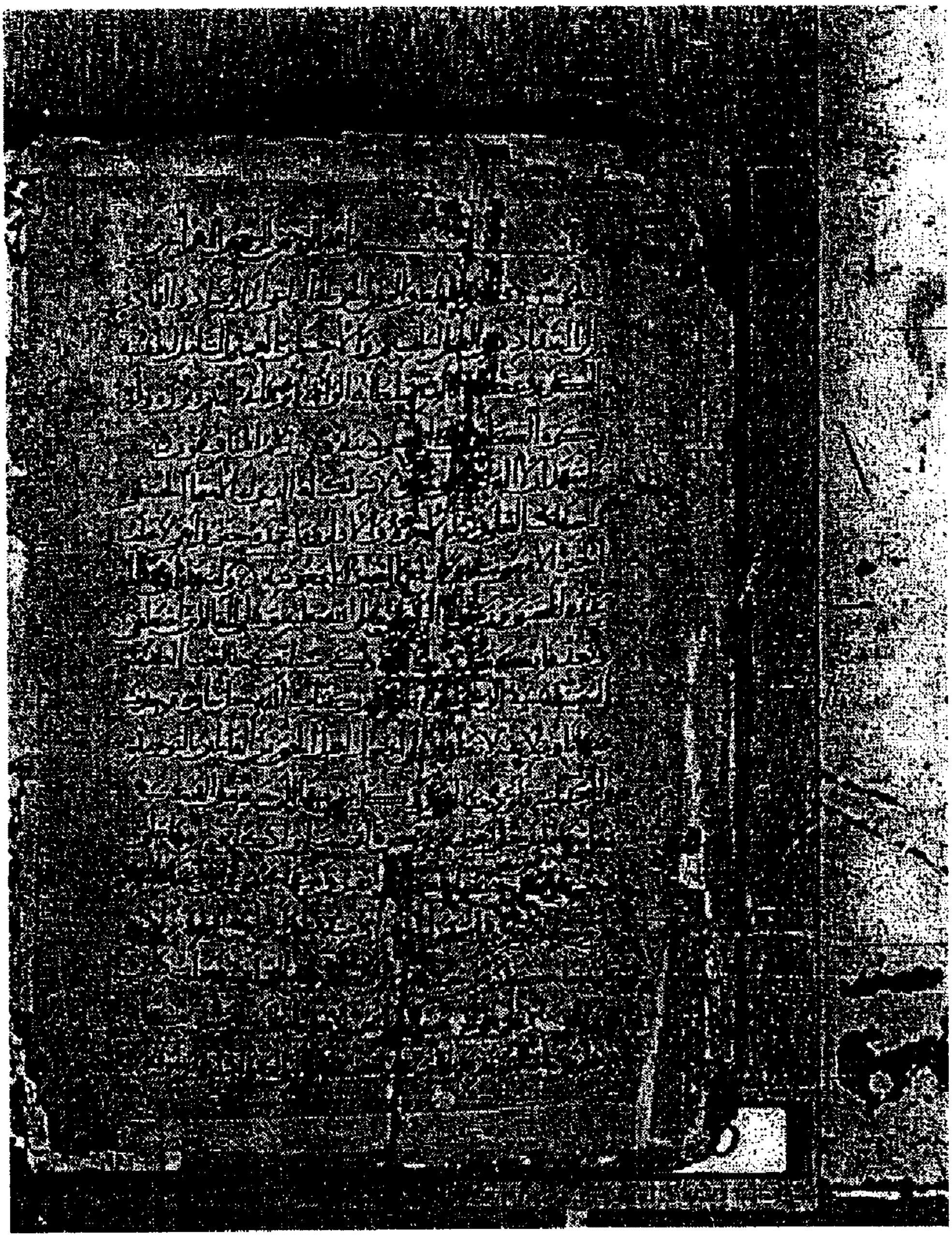
والحمد لله أوّلاً وأخيرًا.

ثبت المصادر

- **تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب**: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت٩١١هـ، تحقيق د. حسن الملخ، و د. سهى نجة، الأردن، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- **جمهرة الأمثال**: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، ت بعد ٣٩٥هـ، تح. أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، مصر، ١٩٦٤م.
- خزانة الأدب، البغدادي، عبدالقادر بن عمر، ت١٠٩٣هـ، تح. عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٧٩م.
- **الفروق اللغوية**: أبو هلال العسكري، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (مخطوطات التفسير وعلومه): المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمّان.
- **معجم الأدباء**: ياقوت الحموي، ت٦٢٦هـ، تح. د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ذ٩٩٣م.
- **الوافي بالوفيات**، خليل بن أيبك، ت٧٦٤هـ، المعهد الألماني، بيروت.
- **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**: مقاتل بن سليمان، ت١٥٠هـ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**: هارون بن موسى القارئ، ت نحو ١٧٠هـ، تح. د. حاتم صالح الضامن، دار البشير، عمّان، ٢٠٠٢م.



صفحة العنوان من نسخة موريتانيا



الصفحة الأولى من نسخة موريتانيا

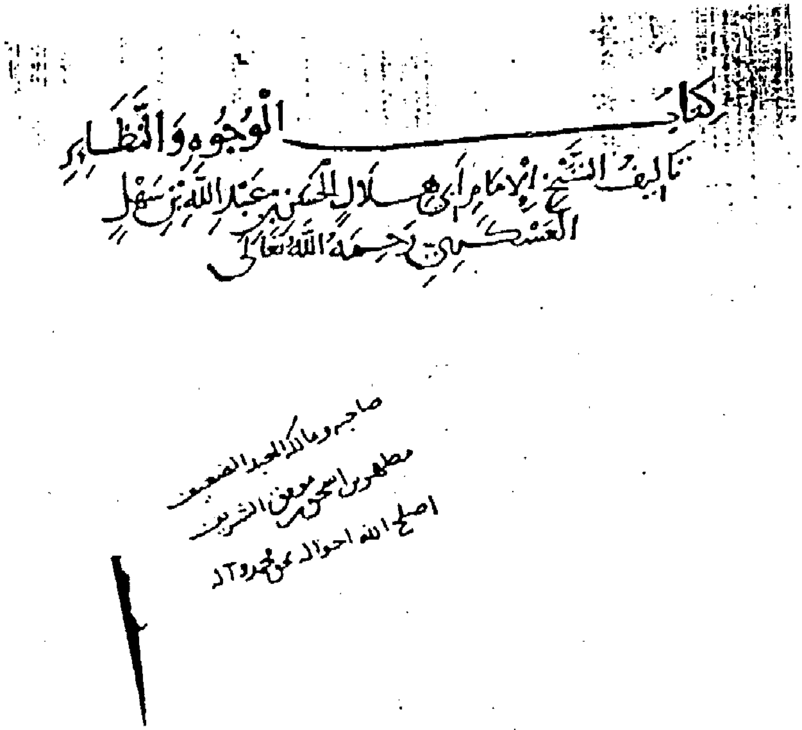
الله أو بالجانب قربة في المال أو على النفس بدلاله قوله عليه السلام
إذا علمتم فاحلفوا بالله واصدقوا واليمين يدخل فيما ينوب فيه
العبد في الكتب من الكلام دون غيره وهي في القرآن على
ثلاثة أوجه أولها معنى القسم قال تعالى لا يؤاخذكم
الله باللغو في أيمانكم والثاني القوة قال تعالى لأخذنا
منه باليمين أي لانتقمنا منه بقوة ومعنى ذلك أنا قادرون عليه

ومنه قول الشماخ

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

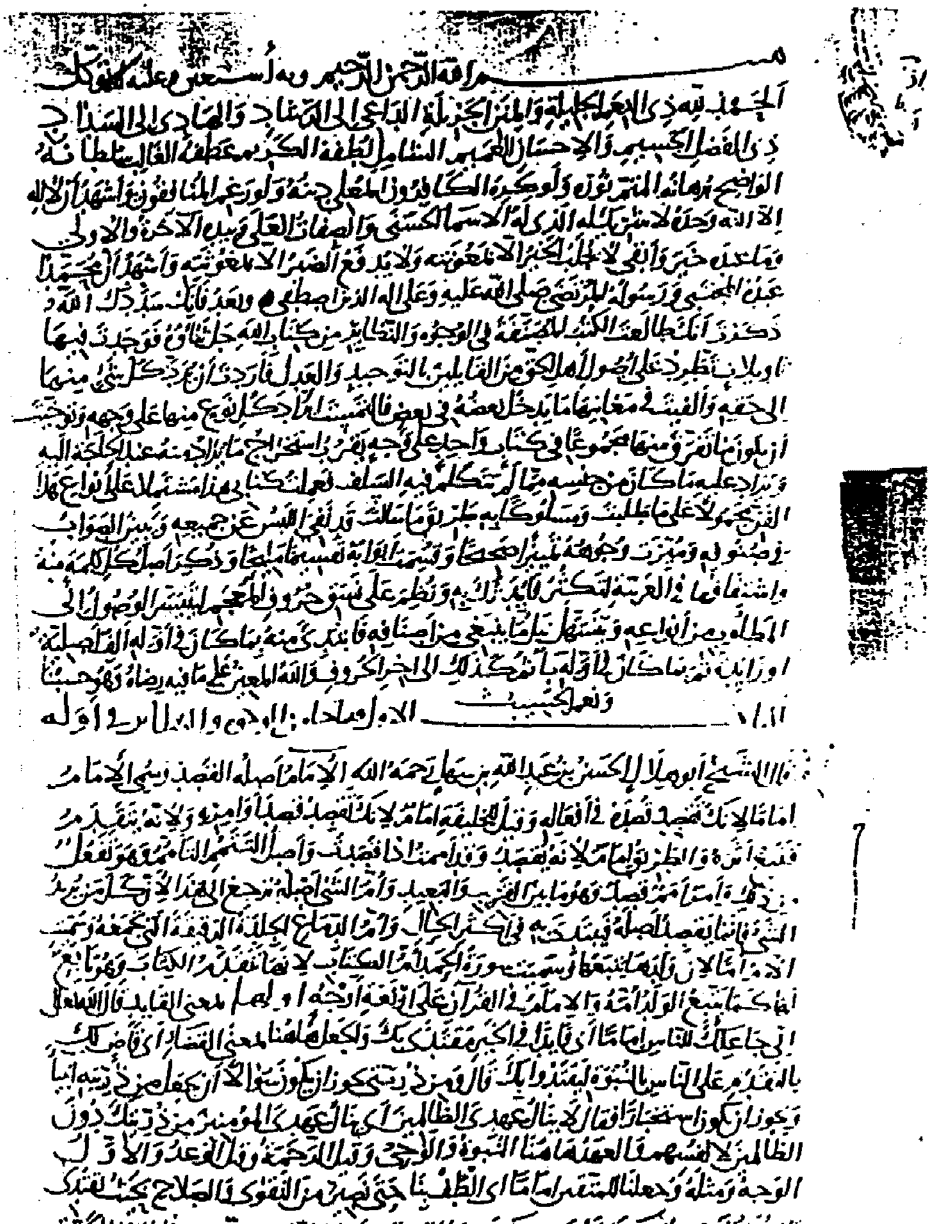
ومنه قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه أي بقدرته
ويجوز أن يكون المعنى باليمين المبالغة كما قال خلقت بيدي
والثالث بمعنى الملك قال تعالى وما
ملكت يمينك مما أفاء الله عليك يعني ما حصل لك من الغنائم ونحو
وما ملكت أيمانكم فهذا أتينا الأبواب التي قدمنا الشرط في
أول الكتاب وشرحنا مضمونها ما احتاج إلى الشرح في غير
إكثار ولا إقلال ونسأل الله عز وجل النفع بها عاجلا
وآجلا وهو ولي المنة بذلك إن شاء الله وحسبنا الله ونعم الوكيل
الوكيل وصلواته على نبيه وآله الأخيار كتبه عبد الله المؤلف
وفرغ منه في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ... ٩٥
حامدا لله تعالى ومصليا على نبيه ... آل الطيب بن الطاهر ...

الصفحة الأخيرة من نسخة موريتانيا وفيها تاريخ النسخ



كتاب الوجوه والنظائر
تأليف الشيخ الإمام أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري رحمه الله تعالى

صفحة العنوان من نسخة إيران

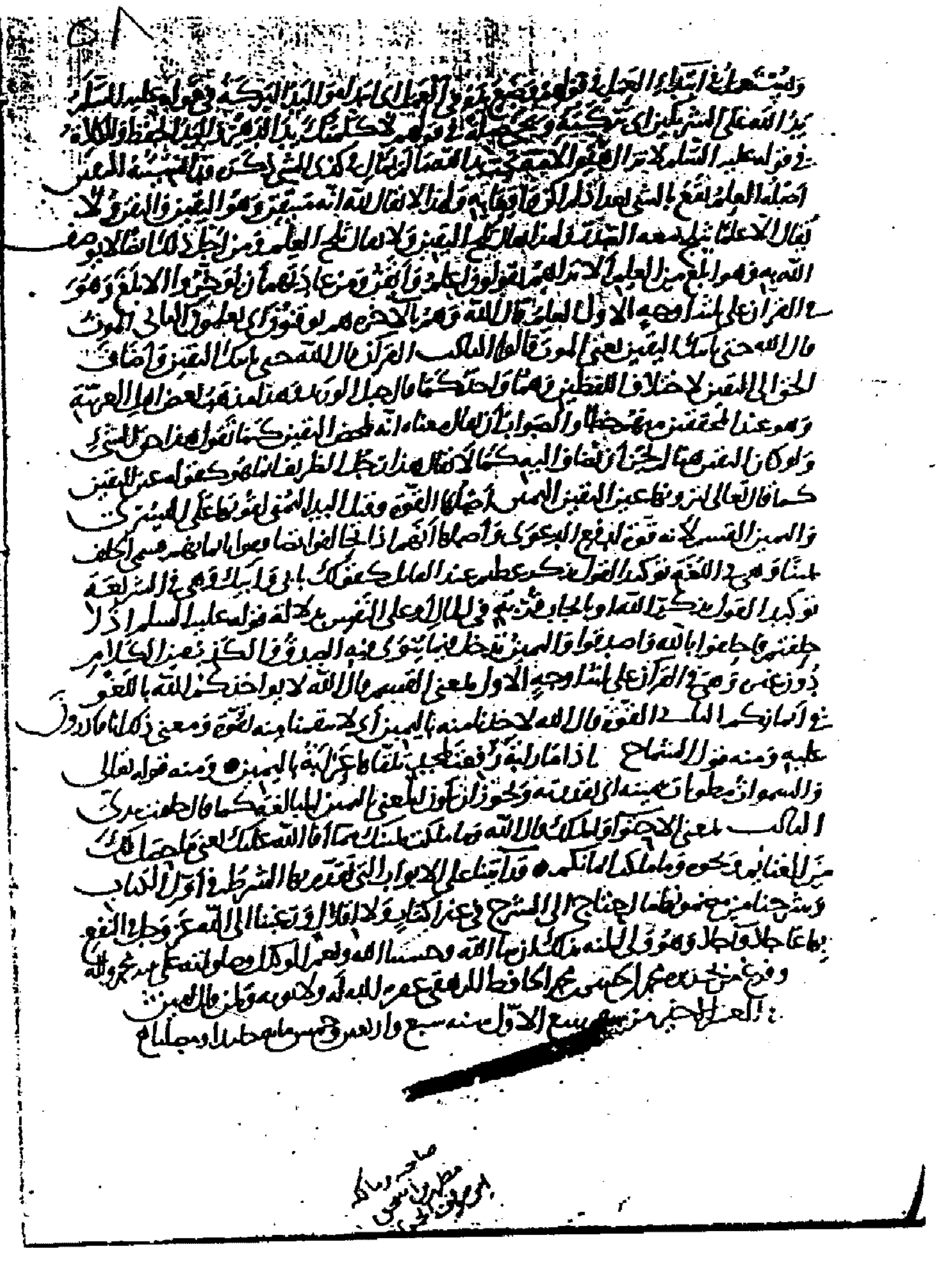


بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين وعليه أتوكل

الحمد لله ذي النعم الجليلة والمنن الجزيلة الداعي إلى الرشاد والهادي إلى السداد
ذي الفضل الجسيم والإحسان العميم الشامل لطفه الكريم [illegible] القاطع سلطانه
الواضح برهانه المتم نوره ولو كره الكافرون المعلي حجته ولو رغم المنافقون وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى وبيده الآخرة والأولى
ومالك كل خير وأبقى لا يجلب الخير إلا بمعونته ولا يدفع الضر إلا بمعونته وأشهد أن محمدا
عبده المجتبى ورسوله المرتضى صلى الله عليه وعلى آله الذين اصطفى وبعد فإنك سددك الله و
ذكرت أنك طالعت الكتب المصنفة في الوجوه والنظائر من كتاب الله جل ثناؤه فوجدت فيها
[illegible]

قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله الإمام أصله القصد وسمي الإمام
[illegible]

الصفحة الأولى من نسخة إيران



الصفحة الأخيرة من نسخة إيران وفيها تاريخ النسخ

صورة الطبيعة في الشعر الأندلسي
على عهد بني الأحمر

بقلم: د. بنعيسى بويوزان*

إنّ الحديث عن الطبيعة في الشعر الأندلسي قد استنفد كثيرًا من جهد الدارسين للأدب الأندلسي من الفتح إلى السقوط، بحيث لا تكاد تخلو دراسة أو بحث عن هذا الأدب إلا وخصص جزءًا من بحثه أو فصلاً من دراسته للحديث عن الطبيعة في هذا الجزء المفقود من العالم الإسلامي؛ إلاّ أنّ المتتبع لظواهر وقضايا الشعر الأندلسي على امتداد حقبه وعصوره المختلفة، يلاحظ تحوّلاً بيّنًا في طريقة حديث الشعراء الأندلسيين على عهد بني الأحمر عن الطبيعة وعناصرها، وفي كيفية استحضارهم لدلالاتها المتنوعة في أشعارهم، حتى ليُخيّل للدارس لأدب هذه الحقبة والشعر منه بخاصة، أنّ نظرة الشعراء –وبدافع من الظروف الثقافية والسياسية والعسكرية التي كانت تعيشها الأندلس قبيل السقوط والوداع الأخير لدار الإسلام– قد تغيّرت تغيّرًا جذريًّا في النظر إلى الواقع والمجتمع وإلى الحياة بوجه عامّ.

وأحبّ أن أشير منذ البداية إلى أنّ حديثي في هذا البحث عن الطبيعة، لا يدخل في إطار الحديث المعهود عنها، بحيث أتتبع وصف الشعراء للرياض والبساتين ومجالس الأنس فيها وما إلى ذلك مما كان شائعًا في مراحل معيّنة من تاريخ الأندلس(١)، وإنما أريد أن أنحو فيه منحى خاصًّا له ارتباط وثيق

بحالة الأندلس وهي تعيش مراحلها الأخيرة في ظل الإسلام، بما هي حالة قلق وتوجس ومعاناة حذر السقوط؛ مما حمل معه شعورًا آخر نحو الطبيعة، لأنها هي بنفسها قد تغيّرت، إذ لم تعد رياض تجوال وسهر وسمر، و لم تعد أنهارها أنهارًا، ولا الأطيار أطيارًا في عيون الشعراء.

ومن ثم لم تعد الأحكام التي صدرت على شعر الطبيعة بالأندلس في أبحاث كثير من الدارسين عربًا ومستشرقين، أحكامًا صالحة تنسحب على الشعر الأندلسي كله أوله وآخره دون تمييز بين مراحله المختلفة بخصائصها وسماتها، فلا يمكن التسليم بالرأي القائل: "والخلاصة، أنّ وصف الطبيعة في الأندلس كان على الغالب الأعم شغفًا بمحاسنها وتصويرًا حسيًّا لمباهجها، تموج به بين حين وآخر خفقة من حياة، ودفقة من عاطفة صادقة"[٢].

وجلّ من عرّج على دراسة الطبيعة في هذا الشعر خلص إلى ما خلص إليه هذا الباحث، أو إلى خلاصة قريبة منها. ولكن إذا كانت هذه الأحكام تصدق على شعر مرحلة معيّنة من مسيرة الشعر الأندلسي الطويلة، فإنها لا تصدق بالضرورة على شعر كل مراحله. ولعل إبداع هذه المرحلة التي نتحدّث عنها خير مثال على ذلك، فقد انطبع شعرها بطابع خاص يشذّ عن مثل تلك الأحكام.

صحيح أنّ شعراء بني الأحمر طالما تغنّوا بالنواوير المختلفة التي زيّنت جنان قصور الحمراء ورياض غرناطة التي اشتهرت بها من دون سائر المدن التي بقيت بأيدي المسلمين على عهد بني الأحمر، حتى إنّ ابن بطوطة قال عنها في رحلته "وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيا"[٣]. وصحيح أيضًا أنّ هؤلاء الشعراء ذهبوا في التفنن في ذلك الوصف مذاهب شتى، إلا أنّ المتمعّن في هذا الوصف وفي دلالات الصور التي صُبّ فيها، سيجد أنها تنطوي على إحساس

خاص، إحساس بالقلق والخوف على هذه الطبيعة الخلابة من أن تنفلت من أيدي المسلمين فيستمتع بها غيرهم، لأنها غرس غرسوه طوال القرون الماضية، فلا يحق أن يقطفه النصارى، ويأخذوه ناضجًا مكتملاً على طبق من ذهب.

لهذا فإنّ شعراء بني الأحمر صوّروا الطبيعة تصويرًا يتماشى والظروف السياسية والعسكرية التي كانت تعيشها الأندلس، وكأنهم بذلك يريدون أن يكشفوا عن الوجه الآخر للطبيعة الأندلسية، وجه يؤثر ويتأثر، وينفعل ويتفاعل، يقاتل ويقتل، وينشرح لنصر، بقدر ما يتجهّم لهزيمة. ومن ثم، فقد تحوّل كل شيء في الطبيعة الأندلسية، سماؤها وأرضها وأشجارها وأنهارها وورودها، ليصبح سلاحًا يجاهد ضد الروم، وكأنّ حسّ التحدّي من أجل البقاء لم يعد مقصورًا على الإنسان وحده، وإنما تسرّب إلى وردة حمراء في غصن، أو نجمة متوهّجة في السماء.

فقد قال أبو المطرف بن عميرة المخزومي في أبياته الشهيرة:

ولأرضِ أندلسٍ إليكَ بِحالها ... شكوى الهشيمِ إلى السحابِ الممطرِ
سقِمَتْ بِعُبّادِ المسيحِ وإنها ... في أن تكونَ مسيحَها لا تَمْتَرِي
رُحماكَ فيها من أخيذَةِ أذْؤُبٍ ... يُزْرِي بقسوتِها زئيرُ القَسْوَرِ
وبِفَوْتِها يَقْوَى القياسُ فَسُقْ إلى ... إبْطالِهِ نصَّ الجيادِ الضُّمَّرِ (٤)

فأرض الأندلس عطشى، وبها نزوع نحو السقيا نزوع الهشيم إلى السحاب الممطر؛ ولكن الشاعر حدّد نوع المطر الذي تهفو إليه نفس الأندلس، إنه: "الجيادُ الضمَّرُ"، كما حدّد نوع القحط الذي ابتليت به، وهو قوله: "سقمت بعباد المسيح". مما يعني أنّ الأرض التي ستسقيها "الجياد الضمَّر" لن يكون نباتها الورد والغصن الرطيب، وإنما سيكون نباتًا من طينة أخرى، يتماشى

مع نوع السقيا الذي سقيت به، بقدر ما يتماشى مع نوع القحط الـــذي اجتاحها؛ وهذا هو النبات الذي تشكلت منه الطبيعة في مخيلة شعراء بـــني الأحمر، ودأبوا على تصويره في أشعارهم، يقول ابن الخطيب:

وإن أنت في روض الجهاد غرسته   تبسّم عن زهر الفُتوحِ افتتاحُه(٥)

فالروض عند الشاعر ليس هو الروض المعتاد، وإنما هو روض ملحمي يعكس -كما قلنا- المرحلة الصعبة التي كانت تعيشها الأندلس آنذاك، إنه "روض الجهاد"، ويتفتح عن زهر ليس ككل الزهور، وإنما هو "زهر الفتوح"، ويسقى بمطر، ولكنه مطر من نوع آخر يحدده ابن الخطيب في قوله:

وأتـــاح أندلسًـــا بحدِّ حُسامِـــه   قَسْرًا فأحيا الأرضَ بعد مواتها(٦)

فهو مطر يسيل على حد السيف، إنه "النجيع"، فكانت النتيجة أن أحيا الأرض بعد مواتها.

وكلام ابن الخطيب يتمّم كلام ابن عميرة قبله، فتتحوّل معه الطبيعة إلى طبيعة أخرى تنفلت من حدود الحسية التي تغنّى بها كثير ممن درس شعر الطبيعة في الأندلس فأخضعوه لأحكام عامة؛ فنحن أمام روض للجهاد، غرسه ملك نذر نفســـه للجهاد -وهو تعبير تردّد كثيرًا على ألسنة الشعراء على هذا العهد في قصائدهم التي مدحوا فيها ملوك بني الأحمر- ويزهر بالفتوحات لأنه سُقِي بدم الأعادي، فانبعثت الأندلس من جديد، ودبّت فيها نسائم الحياة بعد نكباء الموت، يقول ابن الخطيب في صورة أخرى أكثر تفصيلاً، وتشمل حتى كلام ابن عميرة:

دعتْكَ قلوبُ الناسِ إذ عمَّ جَدْبُها   ولجَّ الأسى فيها وَجَلَّ التأسُّـــفُ
فأنزَلْتَ غَيْثًا من سمـــاءِ عَجاجَـــة   تُرى دَلْوُها شُهْبَ الأسنَّة تَقْذفُ
تَهُبُّ رِيـــاحُ النَّصْرِ في جنباتِهـــا   رُخاءً ورعدُ الطَّبْلِ خلْفَكَ يقصِفُ(٧)

فالناس عمّهم جدب، ولكنه ليس جدب زرع وشجر، وإنما هو جدب أسى وتأسف، تساقطت معه مدن الأندلس تساقط أوراق الشجر أيام القحط والجفاف، وتعرّت معه ديار المسلمين فأصبحت عورة، يستبيح الروم حرماها متى شاؤوا، ويغنمون ويسبون، ويقتلون وينهبون، ولا من مصرخ ولا مغيث، إنه جدب وجودي، وليس جدبًا طبيعيًّا، ومن ثم فإنه يستدعي سقيا من سِنْخه وطبيعته، فكأنّ أبا الحجاج يوسف الأول -ممدوح ابن الخطيب في هذا النص- يبدو في هذه الأبيات رجلاً ملحميًّا أو أسطوريًّا "أنزل" غيثًا ينهلُّ قَطرُه من نصول الأسنّة اللامعة لمعان الشهب، وقد نزل من سحاب غريب تكوّن من عجاج كرِّ الجياد وفَرِّها، ومن إقبال الجنود وإدبارها، ومن رعد أغرب منه، هو قصف الطبل وهو يقرع خلف الجنود.

وكل هذه الجلبة انبلجت أخيرًا عن رياح رقيقة تهبّ رخاء على الأرض التي كانت تشكو المحل والقحل، ولكنها رياح تنسجم مع صور هذه الأبيات، إنها رياح النصر.

فنحن أمام صور غريبة للأرض وللسماء معًا، لا تمتّ إلى الطبيعة المعهودة بصلة، بحيث إنّ الشاعر أضفى هذه الصور الغريبة على الأشياء المألوفة، فأصبح كل شيء غريبًا:

السحاب ← العجاج

الغيث ← نصول الرماح

الرعد ← الطبل

النسائم الندية بعد المطر ← رياح النصر بعد المعركة.

بمثل هذا، يُسقى روض الجهاد/أرض الأندلس، فتعود إليها الحياة بعد مواتها، ويحل الخصب الحقيقي محل الجدب الوجودي -إن صح هذا التعبير- بل إنّ سماء الأندلس تهمي أحيانًا بأمطار من الدماء لتسقي هذا الروض الذي رسمه ابن الخطيب، حيث يقول أستاذه ابن الجياب:

فكفّاكِ في يَوْمَيْ وغًى وسماحــــة غمامٌ بأرجاءِ البسيطة مُــــرْهَمُ
يفيضُ على العافين غيثَ عوارِفٍ ويَهْمِي على الأعداءِ من وَبْلِه دمُ(٨)

فكفَّا الممدوح كلتاهما غمام، فإن كان يوم السماحة، فهي تمطر على العافين غيث عوارف، وإن كان يوم وغى، فهي تمطر على الأعداء وَبْلا من الدم. ودعنا نتخيّل مطرًا من الدماء وهي تهمع على البطاح وتسيل بهـــا الأوديـــة، ولنجمع هذه الصورة إلى الصور السابقة، لينجاب الحجاب عن الوجه الحقيقي للطبيعة التي أراد شعراء بني الأحمر تصويرها للتعبير عن الحياة الملطخة بالدماء، والتي عاشوها يومًا بيوم حتى لفظت الأندلس أنفاسها الأخيرة.

١- الصورة الملحمية لعناصر الطبيعة

من خلال ما سبق ترتسم في أذهاننا صور عامة للروض/أرض الجهـــاد/ الأندلس، وللمطر الذي يسقيه بما هو أسنّة ورماح ودماء، وللزهر الذي هو نصر وفتوح، وكلها عناصر موازية للطبيعة الحقيقية بما فيها من أرض ومطر وزهر. وكأن الشعراء بذلك يطوون سجلّ مرحلة من مراحل الطبيعة بالأندلس ويفتحون آخر؛ فقد ولّى عهد الحديث عن حمامة البان، وأريج الخيري والنيلوفر والياسمين، والأنهار والطلال؛ ليحل محله الحديث عن نفس العناصر ولكـــن بطريقة أخرى، لأنها اكتست بكساء آخر ودّعتْ من خلاله زمن السلم والأمان لتستقبل زمن الحرب والصراع، لتستنفر بذلك الأندلس كل عناصرها لتتحوّل

إلى جنود تقاتل وتجاهد ضد المحتل والقحط الذي هو قشتالة التي لا تبقي ولا تذر. يقول أبو البقاء الرندي مادحًا مؤسس الدولة النصرية:

كأنّ راحتَه رَوْضٌ ولا زَهَرٌ ... غيرَ اليراعِ بها والبِيضِ والأسَلِ
مِنْ أصفرٍ حُبُّهُ للمجدِ أَنْحَلَهُ ... فلو يراهُ الهوى ما شاء لم يَحُلِ
أخُو الرُّدَيْنِيِّ مِن شكلٍ ومَكْرُمَةٍ ... وربّما طالهُ فِعْلاً و لم يَطُلِ
وأبيضٍ صِيغَ من ماءٍ ومن لهبٍ ... على اعتِدالٍ فلم يَجْمَدْ و لم يَسَلِ
ماضِي العِذَارِ يَهابُ الغُمْرُ صَوْلَتَهُ ... كأنما هو مطبوعٌ من الأجَلِ
أبهى من الوَصْلِ بعد الهَجْرِ مَنْظَرُهُ ... حُسْنًا وأقْطَعُ من بينٍ على مَلَلِ
وأسْمَرٍ ظنّ ماءً كلّ سابغَةٍ ... فحاصَ كالأيْمِ يستسقي من النَّهَلِ
هامَ الكُمَاةُ به حُبًّا ولا عَجَبٌ ... منْ لوعةٍ بِمَلِيحِ القَدِّ مُعْتَدِلِ(٩)

فالشاعر يقيس راحة الملك على الروض كما يتصوره، وكما يريده أن يكون؛ لأنّ المرحلة لا تريد سواه، فهي تحتاج إلى روض بدون زهر؛ لأنّ الدولة النصرية في مرحلة التأسيس والزرع، أمّا مرحلة القطف والجني فستأتي من بعد، وهذا ما عبّر عنه ابن الخطيب سابقًا حين صوّر الزهر فتوحًا.

فكف السلطان -كما يتخيلها أبو البقاء الرندي- روض لا ينبت إلا عناصر ثلاثة: الأقلام والسيوف والرماح. وحتى القلم عند التفصيل شبهه الشاعر بالرمح القويم الأصم، لأنه شبيهه شكلاً ومكرمة، بل إنّ فعل القلم قد يتجاوز فعل الرمح على قِصَرِه. وأمّا السيف فهو سليل ماء ولهب، حتى إذا استوى بجانبيه الماضيين حدّ الآجال بحدِّه، وليس هذا فحسب، وإنما هو في منظره أبهى من الوصل غِبَّ هجْرٍ طويل، بينما حدّه أقطعُ وأقتلُ من هَجْرٍ بعد وصْلٍ لذيذ. أمّا الرمح فإنّ به من الأُوَامِ ما جعله يتخيّل كل درع لامعة مَنْهَلَ ماء لا يلبث

أن يغشاها، ليروي غُلّته كالأفعى وهي تنساب إلى جداول المياه طلبًا للريّ، فلا عجب إن هام الكماة بهذا الرمح فهو مليح قدًّا واعتدالاً، وكل ذي قدٍّ معتدل ووجه مليح، حريٌّ بهذا الهيام.

فالشاعر يمزج العواطف الإنسانية بلمسات عسكرية، بل إنّ الأولى تترتب عن الثانية، لأنّ الجو المخيّم آنذاك على الأندلس هو جوّ عسكريّ حربيّ لا مجال فيه إلا للرماح وللسيوف وهي أزهار الرياض ونفح طيبها، يقول الرندي أيضًا:

وكتيبةٍ بالدارِعينَ كثيفةٍ ... جرَّتْ ذُيُولَ الجَحْفَلِ الجَرَّارِ
رَوْضُ المَنايا قُضْبُها السُّمْرُ التي ... من فوقِها الرّاياتُ كالأزهارِ
فيها الكُماةُ بنو الكُماةِ كأنّهُمْ ... أُسْدُ الشّرَى بين القَنا الخطّارِ
مُتَهَلِّلينَ لدى الصّياحِ كأنما ... خُلِقَتْ وُجُوهُهُمْ من الأقمارِ
مِن كلِّ لَيْثٍ فوق برقٍ خاطفٍ ... بيمينه قَدَرٌ من الأقدارِ
من كلِّ ماضٍ يَنْتَضِيه مِثْلُهُ ... فَيَصُبُّ آجالاً على الأعمارِ
لبِسُوا القلوبَ على الدروعِ وأشرعوا ... بأكُفِّهِمْ نارًا لأهلِ النارِ
وتقدّمُوا ولهم على أعدائِهِمْ ... حَنَقُ العِدَا وحميَّةُ الأنصارِ
فارتاعَ ناقوسٌ لِخَلْعِ لسانِهِ ... وبكى الصليبُ لذلّة الكُفّارِ
ثم انْثَنَوْا عنه وعن عُبّادِهِ ... وقد اصبحوا خبرًا من الأخبار(١٠)

فالشاعر يضع أمامنا صورتين: صورة الروض الحقيق بكثافة نباته وشجره وزهره، وهي صور ملغاة، لأنها ظل يتبادر إلى أذهاننا فقط من خلال تركيزه على الصورة الأخرى التي هي صورة الكتيبة بكثافتها، وكثافة رماحها وبنودها، وهي الصورة التي أراد الشاعر إيصالها إلى المتلقّي؛ لأنّ حال الأندلس يقتضيها ويستدعيها، وعليها يترتّب القسم الثاني من النص.

فإذا كانت صورة الروض الظلّ -التي نقيس عليها صورة الكتيبة- مجالاً للنـــزهة والمتعة والاستجمام، فإنّ صورة روض المنايا بنباته القنا، وبنـــوده الأزهار، مجال للدماء والموت. وهذا يعني أنّ أديم الأندلس في عين الشاعر تحوّل كله إلى ساحة للمعركة من أجل البقاء: فالأشجار تحوّلت إلى رماح، والأزهار إلى بنود، والناس إلى أُسُود، إنها حديقة موت أو روض منايا، لها حنق كحنق العدا، وحمية كحمية الأنصار، ولا هدف لها إلا بعث الحياة في جسد الأندلس من خلال القضاء على قشتالة؛ فكانت النتيجة أن ثُلَّتْ عروش الكفر، وارتفع الأذان، وخرس الناقوس، وعزّ دين الله، وذلّ الصليب.

فالأندلس في عين الشاعر لم تعد مجالاً للّذة والمتعة -كما أسلفت- وإنما فرض عليها القدر أن تكون عنصرًا مشاركًا في الحرب، وعناصره المختلفة جنود ضمن كتائب المسلمين، وأصبح لكل عنصر من هذه العناصر التي طالما أسال الشعراء مدادهم في وصف بهائها، وظيفة تصبّ كلها في وادي الموت، يقول ابن الخطيب:

سَحَابٌ إِذَا تَهْفُو بُرُوقُ صِفاحِهِ   هَمَى عَارِضٌ جَهْمٌ بِوَدْقِ نِبالِه
وغِيلِ لُيُوثٍ غَابُهُ مِن سِلاَحِـــهِ   وآسَادُهُ يَوْمَ الوَغَى مِن رِجالِه
ورَوْضٍ سَقَـــاهُ النَّصْرُ صَوْبَ غَمَامِهِ   وَدَارَتْ عليه مُفْعَمَاتُ سِجَالِه
فَأَغْصَانُـــهُ مُلْتَفَّـــةٌ مِن رِمَاحِـــهِ   وَأَوْرَاقُهُ مُخْضَرَّةٌ مِن نِصَابِه(١١)

إنّ الشاعر يجسّد الطبيعة في صورة ملحميّة تتفاعل عناصرها في حركـــة عسكرية وحربية ضاربة في الخيال، قبل أن تسفر عن النتيجة المتوخّاة وهي النصر؛ ومع ذلك تستمر هذه الصورة الملحميّة دون توقّف، كما يظهر من خلال التقابل بين العناصر التالية:

البروق ←—— السيوف

المطر ←—— النبال

الغاب ←—— السلاح

الرجال ←—— الأُسُود

الأغصان ←—— الرماح

الأوراق ←—— النصال

وتكتمل هذه الصورة بصورة أخرى لا تقل ملحميّة عن هذه، وقد برع فيها الشاعر، وهي قوله:

وَحَنَتْ به عُوجُ الْقِسِيِّ ضُلُوعَهَا   تَغْتَالُ فِيهِ جَوَانِحًا وَقُلُوبَا
فَكَأَنَّمَا قُزَحٌ حَنَتْ أَقْوَاسَهُ   أَيْدِي الغَمَامِ وأَمْطَرَتْ شُؤْبُوبَا[١٢]

وبذلك نجد أنفسنا أمام صورة وكأنها حلم، حتى بهاء قوس قزح تهاوى فيها أمام الصراع الإسلامي المسيحي في الأندلس، ليتحوّل إلى قوس تمرق منه السهام لتستقرّ في قلوب الأعداء، حتى لتبدو للناظر على بعد وكأنها شآبيب المطر تتتابع صيِّبَةً نحو الأرض.

فتظهر الطبيعة في عين الشاعر وقد تحوّلت برمّتها إلى سلاح يدافع ويقاتل ولا أثر فيها للطبيعة الوديعة الهادئة المعهودة، وقد اشتعلت كل جنباتها بالحديد والنار حتى لكأنّ ذلك الجوّ العسكري يخيّم على المتلقّي ذاته، ويسد عليه منافذ التفكير في أيّ شيء إلا فيه، يقول ابن فركون وقد أدلى بدلوه هو أيضًا في الموضوع ليصوّر رياض الأندلس على غرار سابقه:

تُجَرِّدُ سَيْفَ اللهِ كَفُّكَ فِي الوَغَى   كَمَا لَاحَ أَثْنَاءَ الغَمَامَةِ بَارِقُ
وَلِلنَّقْعِ سُحْبٌ فَوْقَ رَوْضٍ مِنَ القَنَا   وَحُمْرُ الظُّبَا فِي جَانِبَيْهِ شَقَائِقُ[١٣]

فالشاعر يصوّر روضه الخاص كما تراه عينه وخياله، لا كما هو موجود في الواقع المادّي المحسوس، فهو روض تجهّمت فيه السماء وأنذرت بالمطر، ولكن البرق فيها هو سيف يوسف الثالث الذي حكم الأندلس ما بين ٨١٠ و٨٢٠هـ/ ١٤٠٨ و١٤١٧م، وهو يومض في الآفاق يكاد يُعشي العيون، والسحب ما هي إلاّ نقع تثيره الكتائب -كما رأينا سابقًا مع ابن الخطيب- وهي تهمّ الإمطار فوق روض نباته الرماح، وشقائق النعمان فيه نصول السيوف وقد تضرّجت بالدماء.

فابن فركون حوّل حتى جمال الروض اليانع الذي كسته شقائق النعمان إلى روض غريب له جماله الخاص، شكلته الرماح والظبا الملطخة بالدماء؛ ومع ذلك فهو يحتفي بهذا المنظر وتستحبه نفسه؛ لأنه وإن كان يبعث الرعب في النفوس، إلاّ أنه لابد منه لبقاء الأندلس، ولابد أن تألفه نفوس المسلمين وتطمئنّ إليه؛ لأنه يحمل إليهم البشرى والأمل في البقاء؛ لذلك نراه يلحّ عليها في شعره غير ما مرة، من ذلك مثلاً قوله في صورة أخرى:

إِذَا مَاجَ بَحْرُ الرَّوْعِ خَاضَتْ غِمَارَهُ	صَوَافِنُهُ تَحْكِي السَّفِينَ الْمُلَجِّجَا
وَمَهْمَا دَجَا لَيْلُ العَجَاجِ أَرَاكَ مِنْ	مُحَيَّاهُ صُبْحًا لِلْهُدَى مُتَبَلِّجَا
وَقَدْ أَسْمَعَتْ غُرُّ الجِيَادِ صَهِيلَهَا	وَرَاقَتْ حَوَالَيْهَا العَوَالِي تَوَشُّجَا
فَتَحْسِبُ أَنَّ الحَرْبَ أَبْدَتْ حَدِيقَةً	بِهَا القُضْبُ مُلْدًا والحَمَائِمُ هُزَّجَا[١٤]

فقد صارت الطبيعة الهادئة الحقيقية وليدة لهذه الطبيعة الملحميّة، ولا طريق إليها إلاّ عبر غاب من الرماح، وبحر من النجيع، وهو ما يصوّره الشاعر وقد نقل المعركة من البر إلى البحر، إلاّ أنه ليس بحرًا من المياه، وإنما هو بحر من الرعب والهلع، ومع ذلك تخوضه الخيول المسلمة، وكأنها سفن أمعنت في لجة البحر غير آبهة بموجه المتلاطم؛ إذ لا خيار لها سواه، ولأنه من هذا الرعب،

ومن هذا الليل الذي دجا بفعل النقع والغبار، ينبلج الصبح، صبح الهدى الذي طال ارتقابه، حيث تخرس فيه ألسنة النواقيس ويذلّ فيه عبّاد الصليب، كما قال أبو البقاء الرندي آنفًا، ولكنه مع ذلك -يستمر ابن فركون في تصويره الغريب- فلابد من صهيل الخيل وهي تمخر عباب بحر الرَّوْعِ كما تقـــدّم، تحفّ بها الرماح المتشابكة بين أيدي الكماة وهم يتقدّمون نحو الموت يطلبون الشهادة تحت ظلال السيوف، وهناك تُولَدُ حديقة من رحم الحرب، هي تلك الحديقة التي افتقدها المسلمون بالأندلس بأغصانها الملد وحمامها الشادي المترنّم فوقها، فتكون بذلك الحديقة المحسوسة في الواقع الملموس، وليدة لحديقة خيالية ملحميّة تتشكّل عبر كل ما له علاقة بالحرب والسلاح.

وبالتالي فإنّ الشاعر ابن فركون -ومن خلال هذه المقطوعة- أحسّ بأنّ الطبيعة قد تغيّرت تمامًا من رياض الورد والحمائم والنسائم إلى رياض القنا والسيوف والدماء؛ لأنه من هذا التحوّل نرتقب ميلاد الحديقة الأصلية وعودتها إلى طبيعتها، ومن حدائق الموت تجنى أزاهر الحياة، وإلاّ فستضيع الأنـــدلس وتموت بكل ما فيها.

ومن ثم لابد وأن تستمر صورة الحديقة الملحميّة، ولابد مـــن أن تتغيّـــر أرض الأندلس وسماؤها، يقول ابن زمرك:

وَكَمْ ذَابِـــلٍ يَهْتَزُّ فِي كَفِّ دَارِعٍ   فَقُلْتُ قَضِيبٌ فِي غَدِيرٍ تَأَوَّدَا
وَكَمْ دَارِعٍ يَأْوِي إِلَى ظِلِّ رَايَةٍ   فَقُلْتُ غَدِيرٌ تَحْتَ دَوْحٍ تَسَرَّدَا
وَكَمْ رَايَةٍ حَامَتْ عَلَى فَتْحِ مَعْقِلٍ   فَقُلْتُ عُقَابٌ حَوْلَ وَكْرٍ تَلَدَّدَا
وَنَجْمِ سِنَانٍ فِي دُجَا النَّقْعِ ثَاقِبٍ   إِذَا مَا خَبَا نَجْمُ السَّمَاءِ تَوَقَّدَا
وَسُحْبِ قَتَامٍ بِالسِّهَامِ مُرِشَّـــةٍ   إِذَا أَمْطَرَتْ نَار الحُرُوبِ تَزَيَّدَا

وَأَبْيَضَ رَقْرَاقِ الصَّفيحِ بِنَهْــرِهِ قَد استَعْذَبَتْ أَهْلُ الضَّلاَلَة مَوْرِدَا
إذَا مَا طَفَتْ فيه حُبَابُ رُؤُوسِهِمْ رَأَيْتَ لَهُ خَدًّا أَسِيلاً مُــوَرَّدَا
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ السَّيْفِ يَضْحَكُ فَاتِكًا وَيَكْسُو ثِيَابَ الفَخْرِ مَهْمَا تَجَرَّدَا
صَفِيحَةُ هِنْــدٍ بَلْ صَحِيفَةُ كَاتِبٍ تُخَطُّ بِهَا آجَالُ مَنْ ضَلَّ وَاعْتَدَى[١٥]

فالشاعر يفصّل في هذه الصورة أكثر مما فصّل سابقوه ولاحقوه أيضًا، ويعدّد عناصر الطبيعة وقد تحوّلت بحرمّتها إلى أدواب حرب. ومع ذلك أضفى عليها جمالها الخاص الذي لا يترك فيه على عادته جانبًا إلاّ ولمسه بريشة خياله الخلاّب. إلاّ أنّ الملاحظ هو أنّ الصور هنا مركّبة وليست بسيطة أحادية الجانب، -كما رأينا- بحيث إنه لم يصوّر المطر سهامًا أو الأغصان رماحًا، وإنما يقابل بين صورة مركّبة من أكثر من عنصر في الطبيعة المعهودة بمعادلها في الطبيعة المخيَّلَة.

فصورة الرمح يحمله كمي بدرعه اللامعة، يبدو له غصن بانٍ في غدير مـــاء صاف يميل مع النسيم حيث يميل. وصورة الدارع -مرة أخرى- وهو يحمل راية، تبدو له غدير ماء رقراق يعكس تشابك أغصان الأشجار، وكأنها حلقات الدرع يمسك بعضها ببعض، وصورة الراية يحملها جندي يَكرُّ بها ويَفِرُّ حول معقل من معاقل الروم وقد أوشك أن يفتح، تبدو له صورة عُقَّابٍ يحوم حول وَكْرِه قبل النّـــزول فيه، وصورة سنان الرمح في غبار المعركة، تبدو له صورة نجم ثاقب متوهّج أكثر من أيّ نجم في السماء، وصورة النقع الذي تمرق منه السهام، تبدو كالشرار المتطاير من النار؛ وكلتا الصورتين متولّدة من صورة المطر في الغزارة -كما رآها الشاعر-. وهنا توقّفت الصور المركّبة ليبدأ الشاعر في تصوير السيف الذي بدا له نهرًا ماؤه عذب يَرِدُهُ أهل الضلالة، فتبدو فيه رؤوسهم المبتورة عن أجسادها مثل الحباب الذي يعلو صفحته، ثم انتقل إلى

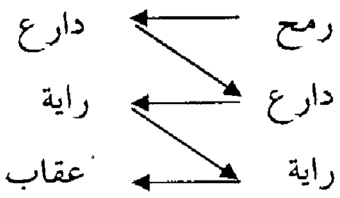
تصوير نصل السيف الملطّخ بالدماء، وكأنه نهر أحمر جار تورّد خدّه من كثرة الدماء، فهو نهر دم تتصل صورته بصورة مطر الدم التي رأيناها مع ابن الجياب سابقًا، وكأنّ شعر هذه المرحلة يأخذ بعضه برقاب بعض لتشكيل صورة كاملة للطبيعة الأندلسية الملحميّة في ذلك العهد.

ويستمر ابن زمرك وهو يصف السيف وكأنه "نَيْرُون" يتلذّذ بآلام الآخرين، فكلّما ازداد فتكًا، ازداد بهجة وانشراحًا، وكلّما تجرّد من غِمده/ثيابه، كُسِي ثياب العز والفخر، ليختم هذا كله بصورة يصوّر فيها متن السيف وكأنه صحيفة كاتب تخط فيها آجال الأعداء/أهل الضيافة.

وحتى تتوضح لنا معالم هذه الصور أكثر نجمعها على الشكل التالي:

اهتزاز رمح في كف دارع	←	ميلان غصن في غدير ماء
دارع يحمل راية	←	غدير تحت شجر كثيف
راية حائمة حول معقل	←	عقاب حام حول وَكْرِه
نصل رمح في عجاج الحرب	←	نجم السماء في ليل بهيم
سهام تمرق من عجاج الحرب	←	شرار النار المترامية
سيف صقيل ملطخ بالدماء	←	واد من الدماء
رؤوس الأعداء	←	حباب الماء.

والملاحظ في الأبيات الثلاثة الأولى أنّ هناك تموّجًا عمد إليه الشاعر إمعانًا منه في ترسيخ الصورة المتوخّاة في ذهن المتلقّي؛ إذ إنّ ما ختم به الشطر الأول من البيت الأول، بدأ به الشطر الأول من البيت الثاني، وما ختمه به، بدأ به الشطر الأول من البيت الثالث، على هذا النحو:



فقد كرّر "الدرع" و"الراية" كما كرّر "دُجى النقع" و"السحب القتام"، هذا فضلاً عن إسهابه في وصف السيف في الأبيات الأربعة الأخيرة من النص، وكأنه لم يكتف بما اكتفى به غيره من الشعراء، فعمد إلى التكرار حتى تتوضّح الصورة المتخيَّلَة في ذهن المتلقّي أكثر من الصورة الحقيقية للطبيعة نفسها كما هي في الواقع الملموس.

ولنتوقّف عند نموذج آخر من الصورة المركّبة مع إبراهيم بن الحاج النميري الغرناطي حيث نلمس براعة فائقة في تخيّل الأشياء، حتى لتبدو وكأنها هي الواقع الحقيقي، يقول:

وَلَمَّا أَتَتْ أَرْضَ الْعَدُوِّ جُيُوشُهُ ... تَيَقَّنْتُ أَنَّ الحرْبَ ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرْ
وَلَمْ أَرَ إِلاَّ الْخَيْلَ صُفَّتْ صُفُوفُهَا ... فَقُلْتُ عُقُودٌ قَدْ نُسِقْنَ عَلَى نَحْرِ
وَجَالَ عَلَى الآفَاقِ مُسْوَدٌّ نَقْعِهَا ... فَقُلْتُ طُرُوسٌ زَانَهَا الخَطُّ بِالحِبْرِ
وَسَالَ دَمٌ فِي كُلِّ دِرْعٍ مَفَاضَةً ... فَقُلْتُ نَثِيرُ الوَرْدِ أُلْقِيَ فِي نَهْرِ
وَجُدِّلَتِ الأَبْطَالُ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ ... فَقُلْتُ نُدَامَى لَمْ يَفِقْنَ مِنَ السُّكْرِ
وَيَا رُبَّ يَوْمٍ خِلْتُ فِيهِ رِمَاحَهُ ... قُدُودَ عَذَارَى جُلْنَ فِي حُلَلٍ حُمْرِ
وَخُيِّلَ لِي أَنَّ السُّيُوفَ مَبَاسِمُ ... فَقَبَّلْتُهَا وَالْغِيدُ يَضْحَكْنَ فِي إِثْرِي(١٦)

فلكي تتوضح الصورة في ذهن المتلقّي -فيما أعتقد- ينبغي أن يتخيلها وهي تقع على بُعد منه، وكأنه يراقبها من مكان يتيح له رؤية المشهد كله؛ لأنّ رؤية جزء دون جزء ربما أفسد الصورة الكلية.

فالشاعر منذ البداية يُعدّ المتلقّي لتقبّل صوره واحتمالها واستنفار كافة حواسّه لتلقّيها، وذلك من خلال عبارة (الحرب ضرب من السحر)، وكأنه ينبّهه إلى أنّ ما سيطرق مسامعه لا عهد له به، لأنه أقرب إلى السحر منه إلى أيّ شيء آخر، ثم شرع في التصوير.

فالخيل في صفوفها الطويلة، وتميّز كل فرس فيها على ما يجاوره مع تناسق تامّ فيما بينها حتى شملت ساحة المعركة كلها، تبدو على بعد وكأنها عقود قد نُضدت حول جيد فتاة تنضيدًا جيّدًا حتى شغلت لبتها كلها، وبذلك يجد المتلقّي نفسه أمام صورتين يجمع بينهما التناسق والجمال وإن فرّق بينهما الشكل والحجم، وهما: صورة صفوف الخيل على ساحة المعركة وصورة الخيوط التي عقد فيه الخرز أو الدر أو نحوهما حول النحر. والصورتان تشكلان مشهدًا ثابتًا لا تبدو عليه ملامح الحركة؛ لأنّ الشاعر صوره قبيل انطلاق المعركة، ولكن ما إن تبدأ وتنطلق الخيول منقضّة على الأعداء حتى يبدو لنا النقع المثار من جرّاء عدوها، وكأنه خطوط، والخيول قد تحوّلت إلى أقلام، تخطّ بنقعها مدادها على صفحة الأفق بعناية وتؤدة، ويبدو لنا المشهد كله على بُعد وكأن غبار الخيول فيه سطور ملأت الآفاق أو زيّنتها كما قال الشاعر.

وفجأة دخل بنا الشاعر إلى عمق المعركة ليصوّر لنا الدماء التي تفيض على الدروع، وكأنها ورد منثور على صفحة النهر. وغير خاف هنا ما في مخيّلة الشاعر من براعة في تحويل فظاعة صورة الدماء والدروع، إلى روعة المنظر في نثير الورد على النهر، مستغلاً بذلك اللون أكثر من سواه: حمرة الورد والدماء ولمعان الماء والدروع.

بعد هذا، انتقل بنا الشاعر إلى مشهد آخر يصوّر فيه الجثث المبعثرة على ساحة القتال في أوضاع مختلفة، وكأنها أجساد الندامى تغطّ في نوم عميق بعد ليل من السكر والعربدة.

بعد ذلك، ينتهي الشاعر من تصوير المعركة لينتقل إلى تصوير وقعهـــا، ووقع الانتصار فيها على نفسه، بحيث بدت له الرماح بقدودها الممشـــوقة وكأنها عذارى بقدودها المعتدلة الجذابة، إلا أنه أضاف إلى العذارى الحلل الحمراء إمعانًا في تزيينها وتجسيد بهاء منظرها، بينما ترك الرماح عاطلة ليفسح المجال أمام المتلقّي ليتخيّل ما يقابل لون الحلل عند العذارى، ولن تنقشع له الصورة إلا عن لون الدماء التي لطخت بها الرماح من جراء الطعن، فتتساوى الصورتان: صورة الرماح الملطخة بالدماء الحمراء، وصورة العذارى في حللها الحمر. ثم انتقل أخيرًا إلى السيوف التي خيّلت له ببياضها ونصاعتها وكأنها ثغور صافية استهوته فقبّلها انتشاء بالنصر، فلم تتمالك الغيد من ورائـــه أن ضحكن من توهّمه وخياله الذي نزّل السيف منـــزلة إحداهن، ولا يخفى في الصورة ما يلمّح إليه الشاعر من خلال صورة تقبيل السيوف بدل النساء؛ لأنه بذلك يشير إلى أنّ التلذذ بثغور النساء ما هو إلا لذة فردية عابرة لا تدوم إلا ساعة من نهار، بينما تقبيل السيوف عبارة عن لذة أمّة بكاملها تتلذذ بالنصر الذي يفتح بارقة أمل جديدة للبقاء في الأندلس أطول زمن ممكن، وبالتالي فإنّ الشاعر أعرض عن اللذة الزائلة مع النساء، وأقبل على اللذة الباقية مع السيوف.

والأجمل في أبيات الشاعر هنا، فيما بدا لي، أمران:

الأول: أنه ترك مخيّلة المتلقّي حرة في تتميم المشهد الذي يريد تصـــويره، وكأنه يشركه معه في التصوير، وهذا ما يظهر مثلاً في صورة صفوف الخيل

والعقود المنضودة على النحر، والعلاقة المتبادلة بين الرماح والعذارى، والمباسم والسيوف، بحيث إنّ المتلقّي يجد نفسه مجبرًا على تتميم ما لمّح إليه الشـــاعر لتكتمل لذّته بالصورة، وإلاّ فإنها ستكون ناقصة مشوّهة.

الثاني: أنه أخضع المتلقّي لتسلسل زمني وهو يتتبّع مراحل المعركة دون أن يشعر، بمعنى أنّ المتلقّي خضع لمنطق الزمن الشعري وتسلسله الذي يتحطم فيه المألوف، كما تتحطم فيه حدود الزمن نفسه، ذلك أنّ الأبيات صوّرت لنا أربعة مراحل، قبل أن يختمها بالخامسة المتعلقة بنفسه المنتشية بالانتصار، وهي:

١- صورة الخيل قبل المعركة، وهي صورة ثابتة لا حركة فيها.

٢- صورة انطلاق الخيل مع انطلاق المعركة.

٣- صورة أثناء احتدام الفريقين وجريان الدماء ضربًا بالسيوف وطعنًا بالرماح.

٤- صورة انتهاء المعركة وانقشاع غبارها عن الجثث تغطي ميدان القتال.

٥- صورة لسلوك الشاعر بعد الانتصار.

فهناك تسلسل في التصوير، وتسلسل في عرض مراحل المعركـــة، إلاّ أنّ المتلقّي لم يشعر بهذا؛ لأنّ سحر الحرب كما قال الشاعر إضافة إلى خيال الشعر، ألهياه عن التفكير في الزمن وسرد مراحله.

وحتى تتوضح لنا معالم الصور المركّبة التي وضعها الشاعر في مقطوعته، نجمعها على الشكل التالي:

صفوف الخيل في ساحة المعركة ←──── عقود نسقت على نحر

نقع الخيول في الأفق ←──── سطور في صحيفة

سيلان الدماء على الدروع ←──── ورد منثور على النهر

جثث القتلى في المعركة ←──── جثث السكارى في الخان أو سواه

رماح مضرجة بالدماء ←——— عذارى في حلل حمر

سيوف بيضاء لامعة ←——— ثغور عذارى صافية.

والواقع أننا إذا جمعنا صور ابن الحاج هذه مع صور ابن زمرك السابقة، يتضح لنا في العمق أنها ليس فيها خروج عن المألوف، بل هي صور مطابقة للواقع في معظمها، بل إنّ صور ابن الحاج مطابقة تمامًا سواء في الصور المتعلقة بالحرب أم المتعلقة بالطبيعة، ولكن العلاقة الجامعة بينها هي التي تقدح زند الشعر، فتخرج بالمتلقّي عن المألوف، فإذا نظرنا على صفوف الخيل في بسيط من الأرض من جهة، ونظرنا إلى عقود نسقت على جيد عذراء، نجدها صورًا عادية تمامًا. ولكن عندما تمتد خيوط الخيال بين الطرفين تثور الحرارة الشعرية وتمتزج الصورتان لتسفرا عن صورة شعرية من طينة أخرى لا علاقة لها بطبيعتهما الأصلية، وهذا ينطبق على باقي الصور في أبيات ابن الحاج، كما ينسحب على معظم الصور في أبيات ابن زمرك.

وهذا على خلاف الصور غير المركّبة في المقطّعات التي رأيناها سابقًا مع الرندي وابن الجياب وتلميذه ابن الخطيب وابن فركون ومع آخرين ممن سنراهم لاحقًا، حيث نجد أنّ الصورة تخرج من مخيلة الشاعر غريبة أصلاً في علاقتها بذاتها؛ فقد رأينا سابقًا (روض الجهاد) الذي تبتسم فيه (زهر الفتوح) مع ابن الخطيب، وكذلكم (الرماح الأغصان) و(النصال الأوراق) كما رأينا (وبل الدم) مع ابن الجياب و(روض الرماح) مع ابن فركون، ورأينا سواها من الصور التي تبدو غريبة في ذاتها.

ولكن لابد من التأكيد هنا على أننا إذا أردنا أن نلمس تلك الغرابة الممتعة، يجب أن ننظر إلى الصورة في صيغتها النهائية التي يريد الشاعر تشكيلها. صحيح

أنه لابد من مراعاة مستويات التلقّي، ولكن لابد من محاولة الارتقاء والتحليق مع الشاعر في خياله، حتى نتمكن من الاطلاع ما أمكن على الصورة التي يريد إيصالها إلينا. فمثلاً إذا نظرنا إلى (الروض) في استقلال عن (الرماح) هشّمنا الصورة، ونزعنا عنها شاعريتها، والشيء نفسه مع (الوبل) في استقلال عن (الدم)، ولكن حين ننظر إلى الطرفين ممتزجين، نتصوّر صورة أخرى مغايرة تمامًا لصورتيهما وهما منفصلتان، وهي صورة غريبة كل الغرابة: مطر من الدماء، وحديقة من رماح، وإن تشكّلت من شيئين مألوفين لدينا تمام الألفة.

وهذا كله على خلاف الصور المركّبة التي رأيناها مع ابن الحاج وابن زمرك، بحيث إنّ العلاقة المتبادلة بين الأطراف تنشأ عنها صور جميلة رائعة ولكنها ليست غريبة، بينما الصور الأخرى نجدها جميلة وغريبة في نفس الوقت. فالفارق بين الصورتين هو الفارق بين الألفة والغرابة، أمّا الجمال فكلاهما تنضح به.

وهذا مزيد من النماذج حتى تتوضح لنا الأمور أكثر، يقول أبو عبد الله محمد بن أبي عاصم القيسي:

وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْكَتَائِبُ رَوْضَةٌ   لاَحَتْ بِهَا مِنْ حُسْنِهَا أَلْوَانُ
فَمِنَ الأَسِنَّةِ إِنْ نَظَرْتَ أَزَاهِرٌ   وَمِنَ الدُّرُوعِ هُنَالِكَ الْغُدْرَانُ
إِنْ أَطْلَعَتْ يَوْمًا سَمَاءَ عَجَاجَةٍ   وَمِنَ الْعَـــدُوِّ بِأُفْقِهَا شَيْطَانُ
طَلَعَتْ هُنَـــاكَ مِنَ الْقِسِيِّ أَهِلَّةٌ   تَقْضِي بِأَنَّ سِهَامَهَا شُهْبَانُ(١٧)

فإذا تأمّلنا هذه الأبيات نجد فيها أنّ كل عنصر من عناصر الحرب والسلاح، يقابله عنصر من عناصر الطبيعة:

الكتائب ←——— روضة

الرماح ←——— زهور

الدروع	←	غدران
العجاج	←	سماء
العدو	←	شيطان
القسي	←	أهلة
السهام	←	شهبان

فإذا نظرنا إلى كل عنصر وهو مستقل عن الآخر ما أحسسنا بشعر ولا حتى أثره، ولكن حينما نمزج بينهما ونتخيّل تلك الحركة التي يريدها الشاعر في أبياته، نبدأ بالشعور بخيوط الغرابة تدبّ إلينا، وبالجوّ الملحميّ يخيّم حولنا، وبخاصة في الأسنّة التي تحوّلت إلى أزهار والدروع التي تحوّلت إلى غدران، فضلاً عن العجاج الذي شكّل منه الشاعر سماء مقابلة للسماء الحقيقية؛ إذ ليس فيها هلال واحد كما هو الحال في الواقع، وإنما فيها أهلّة بعدد قسي الجند، أمّ السهام فهي ليست من خشب مبري بقذاذها، وإنما هي سهام شهب لها صورتها الخاصة، وشكلها الخاص، في عالم شعري خاص.

فكل هذه العناصر الطبيعية المألوفة تحوّلت إلى عناصر أخرى لها كيانها الخاص وشكلها المتميّز عن أصولها، لم تسعف اللغة الشاعر ليعبّر عنها في لفظ واحد، فعبّر عنها بلفظين منفصلين مع قصده دلالة واحدة، يقول ابن الخطيب:

وَجَنَيْتَ غَضَّ الْفَتْحِ مِنْ وَرَقِ الظُّبَا وَالنَّصْرَ مِنْ عَرْسِ الْقَنَا المَتَحَطِّمِ(١٨)

فهذه كلها عناصر غاية في الروعة والغرابة أيضًا: (غضُّ الفتح، ورقُ الظُّبَا، غَرْسُ القَنَا) إذ إنّ الشاعر ترك ذهن المتلقّي مفتوحًا ليؤوّل الصورة كيف يشاء، حيث يتخيّل الفتح وكأنه وردة آس جنية ندية من ورق الأخضر ناعم يكسو الرمح في شكل غريب، كما يتخيّل النصر ثمارًا يانعة تُقطف من روض للرماح

يبعث الرعب في الناظر فضلاً عن الداخل فيه. فهو عالم سحري غريب تشكّل من عناصر مألوفة ومعروفة، ولكن الصورة التي توحّد بينها لها إيقاع خاص بشكلها ولونها، مثلها مثل قول الشاعر نفسه في صورة أخرى:

مَاسَتْ غُصُونُ رِمَاحِهِ وَتَفَتَّحَتْ بِشَقَائِقِ النَّصْرِ الْعَزِيزِ بُنُودُه(١٩)

فنحن نتخيّل ميلانًا ما للأغصان في هبّات النسيم، كما نتخيّل ميلانًا آخر للرماح في المعارك، ولكن إذا جمعنا الطرفين في ميلان واحد، نشأت صورة أخرى لهذا الميلان الغريب، لأنه مزيج من ميلان الغصن في الرُّبى وميلان الرمح في الحرب، والشيء نفسه نلاحظه في تفتّح شقائق النعمان ببهائها كما هي في الواقع، ولكن حين نجمع بينها وبين النصر باعتباره نوعًا من الشقائق المتفتحة من بنود الحرب وأعلامها، نجد أنفسنا أمام صورة أخرى شكلاً ولونًا، وهذا شبيه بقول ابن زمرك:

وَمُعْتَدِلٍ لَدْنِ الْقَوَامِ مُقَوَّمٍ إِذَا أَثْمَرَ الْفَتْحَ الْجَنِيَّ تَمَيَّلاَ(٢٠)

وأحيانًا تمتد الغرابة من رصد صور لأجزاء معيّنة من الطبيعة من مطر أو سحاب وما إليهما، إلى الطبيعة كلها، إذ يصبح أديم الأرض كله ذا لون واحد: هو اللون الأحمر، فقد رأينا مطر الدم، ورأينا نهرًا من الدماء أيضًا، إلا أننا سنرى الآن أنّ البر نفسه أصبح بحرًا من الدماء، بل إنّ البحر نفسه لم يعد بحر ماء وإنما أصبح بحر دماء، وكأنّ الشعراء بذلك أرادوا أن يضعوا أرض الأندلس كلها أمام عين المتلقّي وهي تشتعل وتضطرم بفعل المعارك بين المسلمين والمسيحيين.

يقول أبو جعفر بن أبي حامد بن الحسن النباهي في مدح يوسف الثالث:

وَتَرَاهُ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ تَهَلُّلاَ وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ وَالأَسِنَّةُ تُشْرَعُ
وَالْبِيضُ تُغْمَدُ فِي الْهَوَادِي وَالطُّلَى وَالهَامُ تُحْصَدُ وَالسَّوَاعِدُ تُنْزَعُ

وَالبَـــرُّ بَحْرٌ بِالنَّجِيـــعِ تَخُوضُـــهُ سُفُنُ الصَّوَافِنِ كَالْعَوَاصِفِ تُسْرِعُ[٢١]

فيبدو البيت الأخير نتيجة مترتبة عن هول المعارك، وما يعتريها من مشاهد القتل، من سيوف تغمد في الأعناق، ورؤوس تحزّ عن أجسادها، وسواعد تنـــزع من هذه الأجساد، وهذه كلها صور وإن كانت مفزعة، إلا أنّ عنصر الواقعية هو الطاغي عليها، إذ إنه يمكن أن يحدث مثل هذا في الحرب بل وأشنع منه، ولكن حين نصل إلى البر الذي أصبح بحرًا من النجيع، والخيل على ظهره سفن تسرع كالعواصف، تتغيّر معالم الصورة، لندخل معها في عالم ملحميّ متخيّل، خاصة إذا استمر المتلقّي في تصوّر وتخيّل ما يلحق بالبحر عادة من زبد وموج وما إليهما بحيث تزداد الصورة ثراء وملحمية. وكلما أوغلنا في تخيّل تلك اللوازم بعُدْنا عن الواقع وأغرقنا في الخيال، بحيث تتحوّل معه أرض الأندلس المعهودة إلى أرض أخرى ترتعد لها الفرائص من هول المعارك.

وإذا كان أبو جعفر النباهي هنا قد حوّل بر الأندلس إلى بحر من الدماء، فإنّ ابن الخطيب حوّل بحرها إلى بحر من الدماء، لتلتقي الصورتان على صعيد واحد: الأندلس برها وبحرها دماء لا متناهية، لأنّ الصراع بين الإسلام والصليبية لا متناه أيضًا، يقول ابن الخطيب:

وَقَدَحْتَ فَوْقَ الماءِ نَارًا تَلْتَظِـــي وَسَفَحْتَ فَوْقَ البَحْرِ بَحرًا مِنْ دَمِ
فَكَأَنَّ صَفْـــحَ البَحْرِ مَدَّتْ فَوْقَـــهُ أيدي الرِّيَاحِ مَطَارِفًا مِن عَنْدَمِ[٢٢]

فالبحر عند الشاعر بحران: بحر من نار وبحر من الدماء، وتزداد الصورة غرابة مع الفعلين (قَدَحْتَ) و(سَفَحْتَ)، بحيث تتبادر إلى ذهن المتلقّي شخصية الفاعل الملحمية أو الأسطورية، فتتحوّل عناصر الماء والنار والبحر إلى لعب بين يديه يتلاعب بها كيف يشاء، ومثله في ذلك مثل الرياح ولهذا أيادٍ تمدّ بهـــا

فوق سفح البحر أردية حمراء من عندم[٢٣]، ناهيك عن البحر نفسه وقد تحوّل كله إلى دماء قانية، إنه عالم مرعب يعكس من خلاله الشاعر صعوبة المراحل التي كانت تمر بها الأندلس وهي تصارع بكل ما فيها من أجل البقاء.

كل ما رأيناه الآن من هذه الصور الملحمية لعناصر الطبيعة الأندلسية في شعر العهد النصري طغى عليه الجانب البصري، وإن كانت لا تخلو أحيانًا من بعض الصور السمعية التي أشرنا إلى بعضها كتصوير ابن الخطيب صوت الطبل على أنه رعد. وسنحاول التركيز الآن على الصور السمعية التي لا يمكن فصلها بأيّ حال من الأحوال عن الصور البصرية؛ إذ إنّ جمال الصورة برمّتها يأتي من تكامل السمعي والبصري فيها، يقول ابن الجياب:

كَأَنَّمَا لَمْــعُ السُّيُوفِ بَــوَارِقٌ   وَكَأَنَّ تَصْهَالَ الخُيُولِ رُعُودُ[٢٤]

فالشطر الأول يعكس لمعان السيوف، وقوّتها التي تبهر العيون كالبرق الخاطف، وفي الشطر الثاني يرصد الشاعر تصهال الخيول الذي يوازي في قوّته قصف الرعود، وهو يهدف من وراء ذلك كله إلى تهيئ الجو الذي ينذر بالمطر، إلا أنّ الصورة السمعية أظهر من الصورة البصرية من خلال وقع الحروف التي استعملها (كالصاد والهاء والخاء والراء والعين والدال) مما جعل صهيل الخيل أظهر من لمع السيوف، كما أنّ قصف الرعد أقوى من لمعان البرق؛ لذلك جمع بين الصهيل والقصف لقوّتهما، فتشكّل منهما صوت غريب لا هو بصهيل ولا هو بقصف لكن له من القوة ما له، تمامًا كالبرق الذي تشكّل من لمعان السيف ووميض البرق، فأسفر عن توهّج غريب يصعب التعبير عنه لغة وإن كانت تدرك تلابيبه مخيلة المتلقّي؛ وهذا شبيه بقول يوسف الثالث:

تَخَالُ صَهِيلَ الجُــرْدِ فِيهَا رَوَاعِدًا   وَمِنْ مَائِلِ المُرّانِ سَحّتْ غَمائِمُ[٢٥]

والشاعر في هذا البيت يتمم على نحو ما بيت ابن الجياب -مع الفارق الزمني الطويل بينهما- الذي قلنا فيه قبل قليل بأنه هيأ جوًّا منذرًا بالمطر، إلا أنّ يوسف الثالث أتم الدائرة فأنزل من خياله مطرًا غريبًا غرابة الصوت الذي تمخض عن صهيل الخيل وقصف الرعود.

ثم إنّ كل الصور السابقة -وسواها كثير- رأينا فيها أنّ عجاج الحرب يتحوّل إلى سحاب ممطر بالنبال، إلا أنّ يوسف الثالث في هذه الصورة عكس الأمر فجعل المطر يسح من الرماح، وكأنه يلمح إلى مطر الدم جريًا على عادة الشعراء ممن رأيناهم سابقًا في وصف الرمح مضرّجًا بالدماء دائمًا، لتتناسب صورة الصوت الغريب الناتج عن اختلاط صهيل الخيل بقصف الرعود، مع صورة المطر الغريب الذي يسح من نصل الرمح.

وتارة تختلط الأصوات وتعلو الجلبة من كل جانب، فيسعى الشاعر إلى تصوير هذا الخليط فيجمع في أبياته صورًا صوتية وسمعية، تأخذ بيد المتلقّي لتجرّه إلى معمعان الحرب ووطيسها، يقول يحيى بن هذيل:

بِعَيْنَيَّ بَحْرُ النَّقْعِ تَحْتَ أَسِنَّةٍ ... تُنَمْنِمُهُ وَهْنًا كما نُمْنِمَ الْبُرْدُ

سَمَاءُ عَجَاجٍ وَالأَسِنَّةُ شُهْبُهَا ... وَوَقْعُ الْقَنَا رَعْدٌ إِذَا بَرَقَ الهِنْدُ(٢٦)

فساحة المعركة بدت للشاعر وهو ينظر إليها من فوق وكأنها بحر طامٍ لا ترى منه إلا الأسنّة بارقة لطول قوائم الرماح، ثم نظر إليها مرة أخرى من تحت، فعدل عن صورة البحر، فبدا له النقع سماء وبقيت الأسنّة هي هي لامعة كالشهب ووجدها صورة مناسبة لذكر الرعد والبرق باعتبارهما من العناصر المرادفة للسماء، فشكّل من قعقعة الرماح رعدًا ومن لمعان السيوف برقًا، فعكس بذلك الجو الحربي بجلبته وحركته، ومختلف صوره.

وكأنّ ابن هذيل -ومعه سائر الشعراء- أراد بذلك استنفار كل العناصر في السماء والأرض للدفاع عن الأندلس، فعقد أواصر بين المؤتلفات منها لتشكل صورًا غريبة هدفها واحد هو الدفاع والقتال ضد جيوش قشتالة.

وقد ذهب ابن خاتمة الأنصاري أبعد من ابن هذيل، فشكّل صورًا أغرب من كل ما سبق تقريبًا، يقول:

هَوَ مَـوْرِدٌ لِلْمُعْتَفِينَ وَغُلَّـةٌ ... فِي صَدْرِ مَنْ نَاوَاهُ لَيْسَتْ تَنْقَعُ
يَنْجَابُ سَجْفُ النَّقْعِ مِنْهُ فِي الوَغَى ... وَالطَّعْنُ يَخْطُبُ وَالمَقَاتِلُ تَسْمَعُ
عَنْ طَلْعَةٍ كَالشَّمْسِ مِنْهَا أَشْرَقَتْ ... فَالرُّمْحُ يَسْجُدُ وَالصَّوَارِمُ تَرْكَعُ[٢٧]

فالشاعر يزيح ستارًا كان حائلاً بينه وبين رؤية ممدوحه وهو يخوض المعركة، فإذا بأصوات غريبة تتناهى إلى سمعه؛ فالصوت الأول للطعن وهو يخطب، وخطابه لا يسمعه أحد إلا الْمَقَاتِل. فكل مكوّنات هاتين الصورتين مألوفة ومعروفة: (الطعن، والخطابة، والمقاتل، والسمع)، ولكن الذي يفوق التصور ويخترق المألوف هو العلاقة بينها: (الطعن يخطب) و(الْمَقَاتِل تسمع) فلو قال و(الرمح يخطب)، مثلاً، لوضح الأمر قليلاً، ولكن الصورة ستفقد بهاءها وغموضها الذي تتلذذ النفس في البحث عن كنهه، وتتشوّق إليه على نحو ما أكد قدماؤنا القدامى.

وأضاف الشاعر إلى هاتين الصورتين صورتين أخريين هما صورة الرمح وهو ساجد، والسيوف وهي راكعة، وهما عندي أقل بهاء من الصورتين السالفتين، رغم بهاء اللفظ المعبّر به؛ إذ إنه تخيّل وقوع الرمح طاعنًا على نصله كخُرُورِ المصلّي على جبهته ساجدًا، كما تخيّل هيئة السيف حال الضرب، وكأنها استواء المصلّي بصلبه راكعًا، لذلك بدا له الرمح ساجدًا، والسيف راكعًا. أمّا ما يمكن أن يتوهّم من أنّ الرمح سجد للملك الذي شبّهه بالشمس

كما أنّ السيف قد ركع له، فهو فيما أرى مستبعد لأنّ الروح الدينية العميقة المعهودة في ابن خاتمة الأنصاري لا تطاوعه أن يذهب هذا المذهب؛ فالركوع والسجود لا يكونان إلا لله ﷻ، وغاية ما في الأمر أنه يصف ممدوحه في ميدان الحرب طاعنًا برمحه وضاربًا بسيفه.

ودائمًا في نطاق هذه الصور الجامعة بين ما هو سمعي وما هو بصـــري، نضيف نصَّين لهما وقع متميّز، الأول لابن زمرك في مدح الغني بالله -وهو محمد الخامس الذي حكم الأندلس في ولايتين الأولى من ٧٥٥ إلى ٧٦٠هـــ/ ١٣٥٤-١٣٥٩م، والثانية -وهي أطول من الأولى- بعد أن عاد إلى ملكه عقب الإطاحة به من طرف أخيه إسماعيل الثاني، وتمتد من ٧٦٢ إلى ٧٩٤هـــ/ ١٣٦١-١٣٩٢م- وهو يقود جيشه خارجًا إلى الجهاد والثاني لابن الخطيب في مدح أبي الحجاج يوسف الأول -حكم الأندلس من ٧٣٣ إلى ٧٥٥هـــ/ ١٣٣٣-١٣٥٤م عائدًا بانتصار في إحدى معاركه ضد الروم، يقول ابن زمرك:

جِهَادٌ جَرَتْ سُفْنُ البِحَارِ بِذِكْرِهِ   وَوَخْدٌ لأَنْضَاءِ السُّرَى وَذَمِيلُ
فَفِي البَرِّ جَهَّزْتَ السُّيُوفَ كَأَنَّهَا   بِحَارٌ بِأَمْوَاجِ الحَدِيدِ تَسِـيلُ
تَرَامَتْ بِهَا الآسَادُ وَهْيَ فَوَارِسٌ   وَثَارَتْ بِهَا الْعُقْبَانُ وَهْيَ خُيُولُ
إِذَا مَا عَلاَ التَّكْبِيرُ مِنْ جَنَبَاتِهَـــا   يُرَاجِعُ مِنْ غُرِّ الْجِيَادِ صَـــهِيلُ
وَقَدْ سَـــدَّ بَيْنَ الْخَافِقِينَ كَأَنَّـــهُ   أَجَمٌّ أَجَشُّ الْمُثْقَلاَتُ هَمُولُ(٢٨)

فالشاعر يصوّر تلك الجلبة التي يحدثها الجيش وهو يزحف نحو الـــوغى للقاء العدوّ، حيث تعلو زمازمه في كل الأنحاء، إلاّ أنه من الواضح أن ركّز أكثر على الإنسان والحيوان وأصواتهما؛ ففي البداية بدا له الجيش وكـــأنّ سيوفه بحر طامٍ أمواجه الحديد، ثم انتقل إلى الفوارس فبدت له كالأسود على

متن خيول كالعقبان، ثم أسند بعد ذلك إلى كل طرف صوته، فالتكبير يعلو من أفواه الجند من كل الجنبات زيادة في الربط على القلوب وتثبيتًا لها، فضلاً عن زرع الحمية والحماس فيها، ويراجع هذا التكبيرَ صهيلُ الخيل، يراجع به بعضها بعضًا، ويكفي تخيّل كل جندي يكبّر وكل فرس تصهل، إضافة إلى أصوات أخرى تنبعث من زحف الجيش بما فيه، لتكوين صورة سمعية تقشعرّ لها الأبدان وكأنّ المعركة قامت ولم يلتق الفريقان بعد.

وإمعانًا من الشاعر في تصوير كثرة الجيش عددًا وعدة وجلبة، بدا له وكأنه سحاب أجشّ سدّ الآفاق من كل النواحي به رعد شديد القصف، فتتناسق الأصوات في الكون كله: تكبير الإنسان مع صهيل الخيل في الأرض، وقصف الرعد في السماء، فتظل بذلك الصور تتوالد من هذا الجو الملحمي في خيال المتلقّي، ليتصوّر المشهد الذي كان الشاعر يروم إلى تصويره من خلال هذه الأبيات.

هذه أبيات ابن زمرك وهو يصف الجيش زاحفًا نحو العدوّ، أمّا ابن الخطيب أستاذه، فيصف في أبياته جيش أبي الحجاج آيبًا من ساحة المعركة منتشيًا بالنصر، فيقول:

وَرَجَعْتَ وَالنَّصْرُ الْعَزِيزُ مُصَاحِبٌ   لَكَ وَالْمَلَائِكَةُ الكِرَامُ قَبِيلُ
فِي عَسْكَرٍ لَجِبٍ كَأَنَّ جُمُوعَهُ   فَوْقَ الوِهَادِ إِذَا زَحَفْنَ سُيُولُ
كَالبَحْرِ إِلاَّ أَنَّهُنَّ كَتَائِبُ   وَالرِّيحِ إِلاَّ أَنَّهُنَّ خُيُولُ
فَبِكُلِّ بَحْرٍ رَايَةٌ مَنْشُورَةٌ   وَبِكُلِّ غَوْرٍ مَقْنَبٌ وَرَعِيلُ(٢٩)

فالشاعر بدوره يصوّر جلبة الجيش وقد عاد منصورًا من المعركة؛ إذ إنّ جموعه في الزحف كأنها سيول، وكتائبه كالبحر وخيوله كالريح وأسنّته

كالبرق وطبوله كالرعد. ولعله غير خاف ما تحمله هذه الأوصاف من جلبة وضوضاء، وقد بدأ بها الشاعر صورته باستثناء صورة الأسنّة والبرق.

فإذا نظرنا إلى صورة ابن زمرك للجيش وهو غاد، نجدها وكأنها صورة ابن الخطيب له وهو رائح، وجلبة وعددًا وعدة، وكلاهما يستمدّ الجيش عنده قوّته من الطبيعة بحيث اختار كلاهما أقوى ما فيها ليجعله طرفًا في الجند، كما يتضح من خلال ما يلي:

١ – صورة ابن زمرك:

السيوف ← البحار

الفوارس ← الأُسُود

الخيول ← العقبان

الجيش برمّته ← سحاب أجشّ

٢ – صورة ابن الخطيب:

جموع الجيش ← السيول

الكتائب ← البحر

الخيول ← الريح

الأسنّة ← البرق

الطبول ← الرعد

بحيث يظهر عند الشاعرين –كما يظهر عند سواهما– أنّ الطبيعة بعناصرها جيش قائم بذاته في مقابل الجيش الحقيقي. وهذا يعني أنّ الطبيعة عند شعراء هذه المرحلة أصبحت بدورها جنديًّا ضمن جنود المسلمين، تشارك بكل عناصرها في الأرض وفي السماء في الدفاع عن الأندلس، وعن الإسلام ضد

الصليبية؛ وإذا أمعنّا النظر في كل الصور السابقة، نجد أنّ الشعراء لم يفرّقوا بين العناصر الوديعة من الطبيعة أو الأليفة أو المتوحشة، فكلها أداة للحرب، وكلها تشارك إلى جانب الإنسان، ابتداء من الورد وانتهاء بالأُسُود في الأرض، إلى المطر والشهب والصواعق في السماء؛ فتشكّلت من ذلك كله صور ملحمية، رصد الشعراء أثرها المرعب حتى في نفس العدوّ، من خلال تصوير حالة التوجس والفزع التي انتابته، بل إنّ خيال ابن زمرك ذهب إلى أبعد حد، حين صوّر لنا العدوّ خائفًا مترقبًا حتى من البرق الحقيقي أو الشهب الحقيقية في السماء؛ لأنه يتوهّم البرق سيف الممدوح والشهب رماحه، فقول:

عَدوُّكَ قَدْ أَعْدَاهُ رُعْبُكَ بِالرَّدَى وَأَصْلاَهُ مِنْ قَبْلِ الْعَذَابِ عَذَابَا
يُقَلِّبُ تَحْتَ الخَوْفِ مُقْلَةَ سَاهِرٍ وَيَزْجُرُ لِلَّيْلِ الْبَهِيمِ غُرَابَا
وَقَدْ ظَنَّ أَنَّ الشُّهْبَ لَمْعُ أَسِنَّةٍ وَأَخْفَى لَهَا جُنْحُ الظَّلاَمِ حِرَابَا
وَإِنَّ حُسَامَ الْبَرْقِ سَيْفُكَ مُنْتَضًى يُفَارِقُ مِنْ وُطْفِ السَّحَابِ قِرَابَا(٣٠)

فالشاعر يدخل في أغوار نفس العدوّ ليصوّر انفعالاتها وأحاسيسها؛ فالخوف أخذ منه مأخذه حتى إنه يُعذّب عذابين: عذاب الرعب قبل وصول الممدوح بجيشه، وعذاب القتل بالطعن واضرب بعد احتدام المعركة بين الفريقين، ثم إنه لا يعرف النوم، وإن أراده ما أسعفته عينه، فقد تحوّل لديه الليل إلى عالم من الوساوس والأوهام، حتى إنه يتخيّل سواده غربانًا، وما هو بشيء إلاّ لأنّ الرعب قد بلغ منه مبلغه، وهذا يذكر بقول أبي الطيّب المتنبي يصف رعب العدوّ أيضًا، حين قال:

وَضَاقَتِ الأَرْضُ حَتَّى إِنَّ هَارِبَهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلاَ

وقد بلغ الهلع من العدوّ عند ابن زمرك أنه إذا لاح له لمع الشهب انتفض واقشعرّ جلده؛ لأنه يتخيّلها نصول رماح أخفى الظلام الأُسُود حرابها السوداء، وهي مسددة نحوه ولا تلبث أن تُصْمِيَه. وأمّا إذا رأى وميض برق، فلا يتخيّله إلا سيف الغني بالله وقد سُلّ من غمده ليهوي به عليه.

فالذي يهمنا من هذه الصورة إضافة إلى تصويرها الدقيق لهلع العدوّ، هو الصورة الجامعة بين الرماح والشهب، والسيف والبرق؛ إذ نجد أنفسنا هنا أمام نظرتين متضادتين ومتكاملتين في نفس الوقت: نظرة معسكر المسلمين إلى الشهب والبرق، ونظرة معسكر المسيحيين إليها أيضًا. وكأنّ الفريقين وقفا وجهًا لوجه وبينهما الشهب والبرق، والمتلقّي يتابع المشهد من بعيد.

فأمّا المسلمون فينظرون إلى السيوف والرماح على أنها شهب وبروق، إمعانًا في إضفاء طابع القوة والملحمية عليها حتى تفعل ما تفعله، وأمّا المسيحيون فينظرون إلى البرق والشهب على أنها سيوف المسلمين ورماحهم وهي مسددة نحوهم. ولتوضيح ذلك أكثر نلخص الصورتين فيما يلي:

١ – عند المسلمين:

السيوف ⟵ بروق

الرماح ⟵ شهب

٢ – عند المسيحيين:

البروق ⟵ سيوف

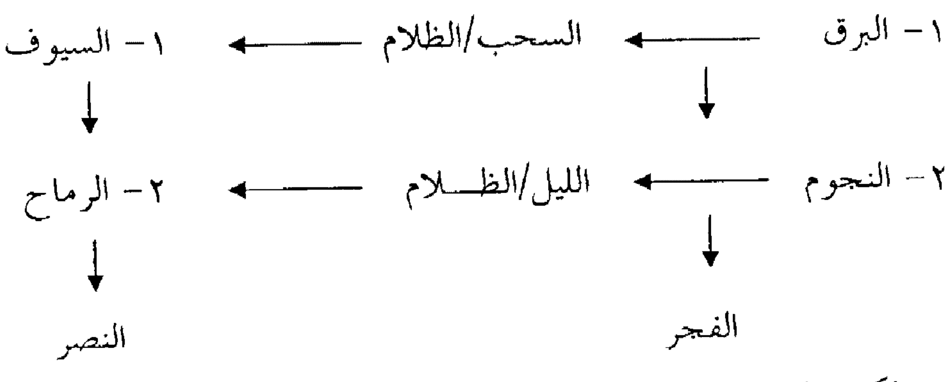
الشهب ⟵ رماح

بمعنى أنّ المتخيَّل عند المسلمين هو الحقيقة عند العدوّ المسيحي، فيصيبه الهلع من جرّاء ذلك حتى إنّ حياته (تحت الخوف) دائمًا كما يرى الشاعر.

وهذه الصورة نفسها عبّر عنها ابن زمرك في أبيات أخرى ولكن من زاوية مغايرة، فقال:

وَسَلَّتْ سُيُوفًا مُذْهَبَاتٍ بُرُوقُـــهُ   فَطَارَ لَهَا قَلْبُ الجَبَانِ مِنَ الذُّعْرِ
وَقَدْ شَرَعَتْ بِيضُ النُّجُومِ أَسِنَّةً   فَبَاتَتْ نُصُـــولاً مُثَقَّفَةَ السُّمْرِ
وَقَدْ زَحَفَ الفَجْـــرُ المبِينُ بِرَايَةٍ   كَرَايَتِكَ الغَرَّاءِ تُعْقَدُ بِالنَّصْرِ(٣١)

فهنا نجد أنّ الشاعر قد وحّد بين الرؤيتين، رؤية المسلمين ورؤية المسيحيين إلى البروق والسيوف والنجوم والرماح؛ إذ إنّ البروق تسُلُّ سيوفًا، والنجوم تُشرِع رماحًا، والنتيجة هي طيران قلب العدوّ الجبان من الذعر أولاً، والنتيجة الأكبر هي النصر الذي حققه المسلمون، والذي ربطه الشاعر، أو رمز إليه بالفجر. ولا يخفى هذا الربط المحكم بين أجزاء الصورة بما هي ســـلاح أو عناصر طبيعية، بحيث إنّ النتيجة تأتي كالولادة بعد مخاض، أو سعة بعـــد ضيق:



ولكن الجانبين عند الشاعر "البرق والنجوم ثم السيوف والرماح" جبهـــة واحدة لا يمكن الفصل بينهما؛ لأنه يتوخى من ذلك دلالة الاتحاد بين الطبيعة بعناصرها مع الجيوش الإسلامية وهي تقاتل في صف واحد، حتى إذا انتهت المعركة معلنة نصر المسلمين كان ذلك بمثابة انبلاج فجر منعش غِبَّ ليـــل

طويل ثقيل. إنه الفجر المؤذن بميلاد جديد وحياة جديدة للإسلام والمسلمين بالأندلس.

لهذا نجد الشاعر يخاطب العدوّ في قصائد مختلفة بصور ملحمية غريبة تصوّر أرض الأندلس أرضًا أخرى ببرّها وبحرها، لا همّ لها سوى أن ترتوي بدماء الروم، يقول:

فَقُلْ لِعَمِيدِ الرُّومِ دُونَكَ فَارْتَقِبْ ... طَلاَئِعَ فِيهَا لِلْمَنَايَا رَسَائِلُ
وَشِمْ بَارِقَ السَّيْفِ اللَّمُوعِ فَفَوْقَهُ ... سَحَابُ قَتَامٍ تَحْتَهُ الدَّمُ سَائِلُ
وَلاَ تَزْجُرِ الْغِرْبَانَ فِي البَحْرِ إِنَّهَا ... سَفَائِنُ وَالبَحْرُ المذَلَّلُ حَامِلُ
وَلَكِنَّهَا وَاللهُ يُنْجِزُ وَعْدَهُ ... جَوَارٍ بِآسَادِ الرِّجَالِ حَوَامِلُ
وَمُخْضَرَّةُ الأَرْجَاءِ فِي جَنَبَاتِهَا ... مَسَارِحُ تَحْمِيهَا الرِّمَاحُ الذَّوَابِلُ
تَرَى الدَّوْحَ مِنْهَا بِالأَسِنَّةِ مُزْهِرًا ... إِذَا مَا سَقَتْهُ لِلسُّيُوفِ الجدَاوِلُ
تَبُلُّ غَلِيلَ الرُّمْحِ مِنْ مُهَجِ العِدَا ... إِذَا مَا كَسَتْ مِنْهَا الرِّمَاحُ غَلاَئِلُ
فَيَا عَجَبًا لِلرُّمْحِ رَوَّتْهُ دَمًا ... وَقَدْ رَاقَ مِنْهَا العَيْنَ رَيَّانُ ذَابِلُ(٣٢)

فتبدو هذه الأبيات وكأنها خلاصة لكل ما سبق قوله عن تحوّل كل عناصر الطبيعة إلى أسلحة تدافع وتقاتل:

السيوف ← بروق
العجاج ← سحاب
المطر ← دماء
الغربان ← سفن حربية
الجنود ← أُسُود
الرماح ← زهور

السيوف ⟵ جداول

جثث العدوّ ⟵ ثياب الرماح

وكل هذه العناصر جعل منها الشاعر (مسارح مخضرّة) ولكنها تسقى بدماء تسيل على السيوف التي تحوّلت إلى جداول دم. وكأنّ حياة الأندلس متوقفة على دماء الروم، ولا يكتب لها الاخضرار/الاستمرار إلاّ إذا سُقيَتْ بها، وكلما ارتوت أينعت الرماح وأزهرت بها الأدواح. وكأنّ الشاعر –ومعه شعراء بني الأحمر– يرون أنّ عهد السقيا بالمطر الحقيقي قد ولّى و لم يبق للأندلس حاجة إليه، بقدر حاجتها إلى مطر الدماء لتتحوّل رياضها إلى مزارع للأسنّة والسيوف وآجام الأُسُود، بل حتى الطير فيها لم يعد طيرًا، فقد أصبح بدوره سيوفًا، كما قال ابن زمرك:

وَسَيْفُكَ مَهْمَا يَخْطُبُ النَّصرُ بَلْدَةً ... مِنَ الكُفْرِ فِي فَتْحٍ تَقُولُ لَهُ أَجَلْ

فَلاَ يَصْطَــادُ المَعَاقِــلَ وَالْعِــدَى ... فَسَيْفُكَ بَازٌ وَالعُدَاةُ لَهُ حَجَلْ(٣٣)

وعند ابن فركون أصبح الطير رماحًا كما في قوله وهو جيد:

وَذَوَابِلٍ خَفَّتْ كَأَسْرَابِ الْقَطَا ... هِيمًا تَحُومُ وَفِي النَّجِيعِ وُرُودُها

لَولاَ اشْتِغَالُ سِنَانِهَا حَيْثُ النَّدَى ... مِنْ كَفِّهِ يَهْمِي لأَوْرَقَ عُودُهَا(٣٤)

فإذا كانت القطا العطاش تَرِد مياه الغدران الباردة، فإنها في روض الأندلس تحوّلت إلى رماح عطاش تَرِد دماء العدوّ، وبها تنمو وتورق وتتكاثر لتملأ حراها الأرض، وتملأ نصولها السماء. ولعل صورة الطير الملحمي هذه تكتمل حين يتحوّل إلى قسيٍّ بعد تحوّله إلى سيوف ورماح، يقول ابن فركون أيضًا:

وَمُرْسَلٍ قَيَّدَ الأَسْمَاعَ مِنْ طَرَبٍ ... كَأَنَّهُ طَائِــرٌ يُشْجِــي تَرَنُّمُهُ

تُحِلُّهُ الْقَوْسُ عِنْدَ الرَّمْيِ أَبْهَرَهَا ... كَأَنَّ صَدْرًا بِهِ ظَنٌّ يُرَجِّمُهُ(٣٥)

فالسهم عند مروقه من وتر القوس يُطرِب، وتستحسن الأسماع غُنّته، وكأنه واثق من أنه سيصيب أبهر العدوّ فيرديه قتيلاً، ولكنه في غُنّته وطربه وطيرانه عند الشاعر كالطائر المترنم الشادي، وهو يطير من مكان إلى مكان.

ويظهر من هذه الصور الثلاث أنّ الطيور بدورها تحوّلت إلى سلاح من سيوف ورماح ونبال، لتكتمل بذلك الصورة الملحمية للأندلس بسمائها وأرضها وكواسرها وجوارحها وكل ما فيها، ولم يكتف الشعراء بهذا، بل جعلوا كل هذه العناصر ترتوي وتتغذى بدماء العدوُ، إيماء منهم -كما سلف الذكر- إلى كون حياة الأندلس تتوقف على موت الأعداء، كما أنّ اخضرار أرجائها واستمرارها متوقفة على الارتواء بدماء قشتالة، حينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، وتعود الروح إلى دين الله، ويشرق وجهه شبابًا بعدما بلغ به الكبر عتيًّا. يقول محمد بن عبد الله اللوشي، وكأنه يحدد الهدف من تحوّل عناصر الطبيعة الأندلسية إلى أسلحة تدافع وتقاتل إلى جانب المسلمين في معاركهم ضد الروم:

أَجْرَيْتَ أَنْهَارَ السُّيُوفِ عَلَى ثَرَى أَعْنَاقِهِمْ فَلَهَا الرُّؤُوسُ حَبَابُ
فَكَأَنَّهَا فَوْقَ الْمَفَارِقِ مِنْهُمُ شَيْبٌ عَلاَهُ لِلدِّمَاءِ خِضَابُ
أَحْسِنْ بِهِ شَيْئًا بِهِمْ مِنْهُ رَدَى وَبِوَجْهِ دِينِ اللهِ مِنْهُ شَبَابُ
سَجَدَتْ رُؤُوسُهُمُ لِسَيْفِكَ هَيْبَةً إِذْ يَسَّرَتْهَا لِلسُّجُودِ رِقَابُ(٣٦)

فالشاعر لم يقنع بأن جعل السيوف أنهارًا وأعناقَ العدوّ ثرى، ورؤوسَهم حبابًا يطفو على تلك الأنهار، وإنما عاد ليشبّه السيوف بالشيب لبياضها، والدماء حناءً خضبت به لِلّون الأحمر الجامع بينهما، وذلك حتى يتسنى له الجمع بين الشيب والموت للعدوّ، وبين الشباب والحياة لدين الله، لتتسق عناصر الصورة التي سخرت فيها الطبيعة مع السلام للقضاء على الكفر من أجل حياة الإسلام، وهو

الهدف الذي جعله الشعراء في هذا العهد نصب أعينهم وهم يرسمون لوحة ملحمية لكل عناصر الأندلس نباتًا وحيوانًا وإنسانًا وأرضًا وسماء، يقول ابن زمرك:

وَرُبَّ نَهْرِ حُسَامٍ رَاقَ رَائِقُهُ مَتَى تَرِدْهُ نُفُوسُ الكُفْرِ يُرْدِيهَا
تَجْرِي الرُّؤُوسُ حَبَابًا فَوْقَ صَفْحَتِه وَمَا جَرَى غَيْرَ أَنَّ البَأْسَ يُجْرِيهَا
وَذَابِلٍ مِنْ دَمِ الكُفَّارِ مَشْرَبُهُ يَجْنِي الفُتُوحَ وَكَفُّ النَّصْرِ تَجْنِيهَا
وَكَمْ هِلاَلٍ لِقَوْسٍ كُلَّمَا نَبَضَتْ تَرَى النُّجُومَ رُجُومًا فِي مَرَامِيهَا
أَئِمَّةُ الكُفْرِ مَا يَمَّمْتَ سَاحَتَهَا إِلاَّ وَقَدْ زُلْزِلَتْ قَسْرًا صَيَاصِيهَا[٣٧]

فإلحاح الشاعر على (نفوس الكفر) و(دم الكفار) و(أئمة الكفر) آت من كون الكفر والكفار معًا هدفًا لسلاح المسلمين بما فيه عناصر الطبيعة الأندلسية، إذ إنّ نفوسهم ترد من نهر هو سيف أمير المسلمين، ورؤوسهم تجري حبابًا فوق مياهه/دمائه، والرماح تشرب من دم الكفار، وتجني الفتوح من مدنهم، وهلال السماء ونجومها، رجوم تروم قلوب أئمة الكفر، وجنود المسلمين بقيادة الممدوح تزحف نحو ساحتهم، حتى إذا حلّوا بها زلزلت صياصيهم/حصونهم، وسقطت بأيدي المسلمين، ولعمري إنّ الشاعر يلمّح بهذا إلى التعبير القرآني الخلاب في مثل هذا المقام، إذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الأحزاب.

فالمسلمون والطبيعة الأندلسية جيش ملحمي يقذف الرعب في قلوب الكفار، يقتل فريقًا ويأسر آخر، حتى يرث المسلمون أرضهم وديارهم وأموالهم وتعود كلها إلى دار الإسلام كما كانت أول مرة، ليعزّ دين الله ويذل أعداء الله،

ويصبحوا أذلة صاغرين ما بين شِلْوِ طاغية لشلو صليب، كما قال ابن الخطيب في إحدى قصائده، وكما قال أبو جعفر بن الحسن النباهي:

وَيَرُوقُني لَكَ فِي السَّمَاءِ تَــأَلُّقٌ   وَتَوَقُّدٌ سُجُفَ الدَّيَاجِي يَصْدَعُ
حَتَّى أَقُولَ سُيُوفُ يُوسُفَ تُنْتَضَى   يُجْلَى بِهَا لَيْلُ الضَّلاَلِ وَيُدْفَعُ(٣٨)

فالضلال ظلام عمّ سماء الأندلس وأرضها، ولن يشرق الصبح إلاّ بالسيوف التي تتحوّل إلى بروق تتوقّد وتتوهّج في قلب الظلام الحالك/الضلال، فتفجّره تفجيرًا، تتصدّع معه سجفه ليتنفّس الصبح، وتشرق الأرض بنور ربها بعدما عسعس بها الليل طويلاً.

وخلاصة هذا الأمر كله، هو أنّ شعراء عصر بني الأحمر عكفوا على تصوير الوجه الآخر من الطبيعة، هو الوجه العسكري الحربي الذي تحوّلت فيه عناصرها كلها إلى أسلحة تدافع عن ديار الإسلام والمسلمين، في جو ملحمي مرعب تُرى فيه الرياض مزارع للرماح، زهورها القنا، تخترقها جداول من دماء حبابُها رؤوس الأعداء، وطيورها سيوف ونبال ورماح، أمّا السماء فكلها سلاح؛ إذ البروق سيوف، والنجوم رماح، والشعب نبال، والهلال قوس الرمي، أمّا السحب فعجاج، والأمطار سهام، وإلاّ فدماء.

هذه هي الطبيعة في هذه المرحلة من تاريخ الأندلس، لا صلة بينها وبين الطبيعة التي كان الأندلسيون يصوّرونها في أشعارهم من قبل. ومردّ هذا التحوّل إلى الظروف التي عاشتها الأندلس في أيامها الأخيرة، ظروف جهاد وقتال ضد أعداء الأرض والإسلام والمسلمين، فتحوّلت كل عناصرها إلى أسلحة تقاتل في سبيل الله ضد أعداء الله.

(للبحث صلة)

الهوامش:

* جامعة محمد بن عبد الله، الكلية المتعددة التخصصات، تازة، فاس، المملكة المغربية.

(١) لا يكاد يخلو كتاب أو دراسة عن الشعر الأندلسي دون تخصيص باب أو فصل للحديث عن الطبيعة، راجع مثلاً: **الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي**، د. أشرف علي دعرور، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٥١١؛ **والأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، د. أحمد هيكل، دار المعارف، ط٧، ١٩٧٩م، ص٢٧٨؛ **ومدخل إلى الأدب الأندلسي**، د. توفيق طويل، دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩١م، ص٨١؛ **والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٧٩م، ص٢٤٧؛ **والنوريات في الشعر الأندلسي**، مقداد رحيم، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٦م، وهو كتاب مخصص كله للحديث عن شعر الطبيعة في الأندلس؛ **والأدب الأندلسي في عصر الموحدين**، د. حكمت الأوسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت) ص٦٥؛ **وفي الأدب الأندلسي**، د. جودت الركابي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٢٤.

(٢) **في الأدب الأندلسي**، د. جودت الركابي، ١٣٤-١٣٥.

(٣) **رحلة ابن بطوطة**، تح. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، (د.ت) ٢/٧٦٨؛ وراجع بتفصيل **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ابن الخطيب، تح. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٣م، ١/١١٥؛ وراجع **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تح. محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، ١٩٧٦م، لابن الخطيب أيضًا، ففيه وصف لأربع وثلاثين مدينة أندلسية من كل النواحي في قالب فني متميّز.

(٤) **مذكرات ابن الحاج النميري**، تح. ألفريد دوبريمار (رسالة جامعية مرقونة)، ١٢٥-١٢٦.

(٥) ديوانه الذي عنوانه **الصيِّب والجهام والماضي والكهام**، تح. د. محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م، ١/٢٢١.

(٦) نفسه، ١/١٧١.

(٧) نفسه، ٢/٦٦٩.

(٨) **مختارات ابن عزيم الأندلسي**، علي بن عزيم الغرناطي، تح. عبد الحميد الهرامة، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٣م، ٣٠.

(٩) **أبو البقاء الرندي، رثاء الأندلس**، د. محمد رضوان الداية، ط٢، مكتبة سعد الدين، بيروت، ١٩٨٦م، ١٢٩.

(١٠) **الوافي في نظم القوافي**، أبوالبقاء الرندي، تح. محمد الخمار الكنوني، رسالة مرقونة، ١١٧.

(١١) ديوانه، ٢/٤٨٥.

(١٢) ديوانه، ١/١٠٣؛ وراجع صورًا مختلفة للقسي والنبال شبيهة بهذه لأبي البقاء الرندي في مختارات ابن عزيم، ٦٦ وأخرى، له أيضًا في (أبوالبقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس) ٧٤، ولأبي عبيد بن الحكيم في **الإحاطة**، ٢/٤٦٤؛ ولابن فركون في ديوانه، تقديم وتعليق د. محمد بنشريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ط١، ١٩٨٧م، ١٨١ و١٩٩.

(١٣) ديوانه، ٢٠٨.

(١٤) نفسه، ١٩٤.

(١٥) ديوانه، تح. د. محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م، ١٣٤-١٣٥.

(١٦) ديوانه، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور بنعيسى بويوزان، رسالة مرقونة، ٢/٣٧١.

(١٧) **الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، ابن الخطيب، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ١٧٤، وترجمة الشاعر في المصدر نفسه، ١٧٢.

(١٨) ديوانه، ٢/٥٣٧.

(١٩) نفسه، ١/٢٩١.

(٢٠) ديوانه، ٥٢.

(٢١) **مظهر النور الباصر**، جمع أبي الحسين بن فركون، تح. محمد بنشريفة، ١٩٩١م، مطبعة النجاح الجديدة، ٦٨.

(٢٢) ديوانه، ٢/٥٣٩.

(٢٣) شروح (العندم) عديدة منها: أنه دم الأخوين، وقيل دم الغزال، وقيل صبغ أحمر، وقيل غير ذلك، راجع **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، ١٣٠٠هـ، مادة (عندم) حرف الميم.

(٢٤) ابن الجياب حياته وشعره، علي محمد النقراط، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ليبيا، ٢٧٣؛ وراجع صورتين تشبهان صورة الشطر الأول من هذا البيت في

ديوان يوسف الثالث، تحقيق وتقديم الشيخ عبد الله كنون، مكتبة الإنجلو المصــرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥م، ٢١؛ وابن فركون، ١٨٢ و١٨٣.

(٢٥) ديوانه، ١١٤؛ وراجع صورة أخرى تشبهها ضمن وصف مفصّل لجـيش يوسـف الثالث في نصر لابن فركون، ٣٧٦.

(٢٦) **الإحاطة**، ٣٨٦/٤؛ و**الكتيبة الكامنة**، ٧٦.

(٢٧) مختارات ابن عزيم، ٣٠؛ وملحق "القصيدة الأندلسية في القرن الثامن"، د. عبدالحميد الهرامة، وهي أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، نسخة مرقونة، ١٣٧.

(٢٨) ديوانه، ١٣٠؛ وراجع صورًا أخرى تشببها في ديوان، ٤٩٦.

(٢٩) ديوانه، ٤٨٧/٢؛ والمقنب من الخيل: ما بين الثلاثين والأربعين، وقيل زهاء ثلاثمائة.

(٣٠) ديوانه، ٢٥٢، ووطف السحاب: السحب ذات المطر الكثير، والقراب: غمد السيف.

(٣١) نفسه، ١٤٣-١٤٤.

(٣٢) نفسه، ٤٥٧.

(٣٣) نفسه، ٣٣٣.

(٣٤) ديوانه، ٢١٨؛ وراجع صورة أخرى له تشبهها، ٢٣٠.

(٣٥) نفسه، ٣٦٨؛ ومرسل: نعت لمنعوت محذوف هو السهم، وتقدير الكلام وسهم مرسل. والأبهر: عرق في صلب الإنسان إذا أصيب مات كتف أنفسه.

(٣٦) **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**، لابن الأحمر، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م، ١٥٥؛ وترجمة الشاعر في المصدر نفسه، ١٥٤؛ و**الإحاطة**، ٢٦٩/٢؛ و**الكتيبة الكامنة**، ١٧٥؛ و**التاج المحلى في مساجلة القدح المعلّى**، ضـمن **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب** لابن الخطيب، وفيه أيضًا: **كتاب الإكليل الزاهـر فـيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر**، تح. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخـانجي، ط١، ١٩٨١م، ٣٨٠/٢؛ وأوصاف الناس في التواريخ والصلات، لابن الخطيب، تح. محمد كمال شبانة، طبع اللجنة المشتركة بين المغرب والإمارات العربية المتحدة، (د.ت)،٥٩.

(٣٧) ديوانه، ٥٠٤؛ وراجع صورًا تشبهها في أبيات لابن فركون في ديوانه، ١٢١ و١٦٥.

(٣٨) **مظهر النور الباصر**، ٦٧-٦٨.

النفي من الجزيرة العربية
في وثائق الأرشيف العثماني

بقلم: د. سهيل صابان*

يحتوي الأرشيف العثماني على معلومات مهمة عن تاريخ الجزيرة العربية، ببواديها وحواضرها، بعاداتها الاجتماعية وثقافاتها، بتاريخها المكتوب وجوانب من معالم تراثها...

وقد حفظ ذلك الأرشيف معلومات دقيقة عن العديد من مناحي حياة المجتمعات العربية، مما لا نجدها في غيرها من المدونات التاريخية. وإذا علمنا أنّ الاعتماد الكلي -تقريبًا- كان على الذاكرة، ولاسيما لدى البادية في الجزيرة العربية، فإنّ ما انتقل إلى ذلك الأرشيف من تاريخ هذه البلاد يعدّ ذاكرة حيّة للتاريخ الحديث والمعاصر لتلك البلاد. وهو الأمر الذي يضفي طابعًا مميزًا على هذا الأرشيف، ويجعله مصدرًا توثيقيًّا مهمًّا لا غنى للباحثين في تاريخ هذه البلاد من الرجوع إليه.

ومن أهم الموضوعات التي حوته وثائق الأرشيف العثماني بإستانبول مسألة نفي شخصيات من الجزيرة العربية. وقد وُجِّهت للباحث في بعض المناسبات العلمية أسئلة عن شيوخ وشخصيات من الجزيرة العربية نفوا في فترة العهد العثماني إلى مناطق بعيدة عنها، وتاريخ نفيهم، والفترة الزمنية التي قضوها

في المنفى. ولَمّا بحثت في الأرشيف عن وثائق تتعلق بأولئك المنفيين منذ عدة سنوات، وجدت أنّ عددهم غير قليل، وأنّ الوثائق التي تتحدث عنهم تكشف عن معلومات دقيقة عنهم.

وكان النفي إحدى الوسائل المتخذة من الدولة العثمانية لإبعاد الأشخاص غير المرغوب في وجودهم في الأماكن التي كان لهم تأثير فيها. ولم يكن ذلك مخصوصًا بمنطقة دون غيرها. فعلى سبيل المثال كانت مدينة بورصا منفى معروفًا لإبعاد المثقفين والعلماء والسياسيين. وكان ضباط الجيش ينفون إلى جزيرة رودس وكريت وغيرهما من الأماكن البعيدة عن إستانبول، والتي يصعب فرارهم منها. وهناك أسر حاكمة في بعض المناطق نفوا عن بكرة أبيهم بعد إخماد الثورة التي قاموا بها ضد الدولة العثمانية، من ذلك أسرة بدر خان التي نفي أفرادها في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي من جزيرة ابن عمر، التي ينتمي إليها كاتب هذه السطور، إلى مختلف المناطق من الدولة العثمانية، مثل إستانبول وبيروت والقدس والقاهرة. وقد أبعد بعض أشراف مكة المكرّمة إلى بورصة وإستانبول. كما نفي الشريف عبدالمطلب ابن الشريف غالب إلى بورصا عام ١٢٤٧هـ[١].

وكان بعض أهالي نجد نفوا إلى مدينة قونيا الواقعة في أواسط الأناضول الجنوبية حاليًّا[٢]. ونفي بعض الشيوخ من المناطق الجنوبية للجزيرة العربية إلى يانيا وغيرها من المناطق العثمانية التي تقع في أقصى حدودها الأوربية من أقصى حدودها الجنوبية الشرقية. كما نفي بعض الشيوخ من المنطقة الشرقية للجزيرة العربية إلى ولايات الدولة العثمانية الأوربية. وقد نفى محمد علي باشا مجموعة من أهالي المدينة المنوّرة وعلمائها إلى مصر عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م[٣].

ويبدو أن النفي كان محددًا بفترة معيّنة لأناس دون غيرهم، إلى حين التأكد من تلاشي تأثير المنفي في المنطقة التي كان يقطنها؛ إذ إنّ العديد من وثائق الأرشيف العثماني التي تتحدث عن مراسلات الباب العالي إلى بعض المناطق المستوضحة عن تأثير المنفي في منطقته تشير إلى أنّ الشخص المعني لم يبق له تأثير –حسب اجتهاد الولاية المعنية– وأنه يمكن رفع القيود عنه والسماح له بالعودة إلى أولاده وأفراد أسرته، ولاسيما إذا كانت سيرة الشخص المنفي تشهد له بذلك أثناء مكوثه في منفاه. فكان الباب العالي يصدر أوامره في هذه الحالة، ويُخلي سبيل المنفي. أمّا إذا تبيّن أنّ الخطر المحدق بالشخص المعني مازال قائمًا فإنه يبقى في المنفى. بل قد يستمر بقاؤه طيلة حياته في ذلك المنفى الإجباري ويموت فيه. ويستمر أولاده في المنفى بعد مماته، فيصبحون من أهل ذلك المنفى.

ويبدو أنّ هذا الأسلوب كان ناجحًا في سياسة الدولة العثمانية التي مارست النفي منذ عهودها الأولى، ولاسيما في حق من اعتبرهم خطرًا على سياستها في منطقة ما من مناطق نفوذها، وعلى رأسها إستانبول، حيث كان الأشخاص غير المرغوب في وجودهم ينفون منها. فكانت الدولة العثمانية تتخذ ذلك الإجراء للتخفيف من تأثير الشخص أو الأشخاص. فإن كان شيخ قبيلة، كان المقصد منه ترهيبه والآخرين من شيوخ القبائل بالعدول عن معارضة الدولة، وتفتيت وحدة القبيلة، أو منح زعامة القبيلة لشيخ آخر موال للدولة بعد نفي الشيخ المعارض إلى جهة بعيدة.

وكانت أعمال النفي تلك إبان القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين الميلاديين مشاهدة، وإن لم تكن بكثرة، ولاسيما في حق المشاركين في الأعمال التظاهرية ضد الدولة في بغداد والبصرة والحجاز، أو بعبارة أخرى كان يتم

نفي من قام بارتكاب أخطاء سياسية حسب رأي الدولة العثمانية، إلى مناطق بعيدة وهي الروملي[٤]. ففي الفترة التي نفي فيها شيخ العجمان راكان بن حثلين إلى نيش، كان شيخ عشائر الخزاعل "مطلق" منفيًّا في ويدين. أمّا من لم يكن لهم نفوذ في الأماكن التي كانوا يعيشون فيها من المرتكبين لتلك الأخطاء السياسية –حسب رأي الدولة العثمانية– فكانوا يعاقبون بالتجنيد في الجيش الثالث ولفترة معيّنة[٥].

مناطق النفي:

كانت الدولة العثمانية مترامية الأطراف، امتد حكمها إلى المناطق الواقعة في قارات ثلاث، هي: آسيا وأوربا وإفريقيا. فكان من الطبيعي أن تركز عملية النفي من منطقة في آسيا إلى منطقة في أوربا، أو من منطقة في آسيا إلى منطقة في إفريقيا من مناطق حكم الدولة العثمانية ونفوذها أو العكس، أي أن ينفى الشخص من العاصمة إستانبول إلى منطقة في الجزيرة العربية. كما حصل للصدر الأعظم مدحت باشا الذي عمل قبل ذلك[٦] واليًا على بغداد، وقام بحملته المشهورة على الأحساء عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، والذي نفي إلى الطائف وسجن في سجنها ومات في ذلك السجن[٧]. وكذلك سعيد الكردي إلى الحجاز (قبل ٢٢ جمادى الأولى ١٣٠٤هـ)[٨].

١– الولايات الأوربية للدولة العثمانية

كان للدولة العثمانية في أوربا عدة ولايات هي: أدرنه، سلانيك، يانيا، ويدين، طونا، وغيرها من الولايات التي خرجت من حكمها، الواحدة تلك الأخرى قبل الحرب العالمية الأولى. مثل ولاية كوسوفو التي خرجت عن الحكم العثماني إلى صربيا عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م، حيث نفي إليها الشيخ

عبدالله خلعي باشا من شيوخ السريح في اليمن، وقد أخلي سبيله بعد (١٢ ذي القعدة ١٣٠٨هـ/١٩/٦/١٨٩١م)[٩].

وقد نفي إلى تلك الولايات الأوربية مجموعة من شيوخ القبائل والأعيان في الجزيرة العربية. مثل الشيخ مطلق -الذي ذكر سابقًا- ورفاقه الذين نفوا إلى الروملي من أراضي الدولة العثمانية في أوربا (في ٢٩ صفر ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) بسبب أعمالهم المنافية لسياسة الدولة العثمانية[١٠].

أ- مدينة نيش في ولاية طونا

نفي الشيخ محمد راكان، الذي تم القبض عليه من لدن نافذ باشا بالقرب من الأحساء في نهايات عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، بحجة القيام بالتمرد ضد الدولة، حيث نفي إلى قضاء نيش التابعة لولاية طونا. وقد ذكرت نظارة الداخلية في المذكرة التي بعثت بها إلى الصدارة بتاريخ ٣ تموز ١٨٧٧م أنه تم الإفراج عن محمد راكان[١١]. كما بعثت النظارة ذاتها برقية إلى ولاية البصرة بعد التاريخ المذكور بيوم واحد، استعرضت فيها الحوادث السابقة المتعلقة براكان موضحة أنه تم الإفراج عنه بناءً على مرسوم سلطاني[١٢]. بعد أن قضى في منفاه ما يقرب من سبع سنوات[١٣]. ونفي بعض شيوخ الخزاعل إلى نيش. وقد أعيد النظر في وضعهم (في ١٧ جمادى الأولى ١٢٩٥هـ)[١٤].

ب- ولاية يانيا

هناك بعض الوثائق التي تفيد نفي بعض الشيوخ من الجزيرة العربية إلى ولاية يانيا في معلومة مختصرة، دون إدراج التفاصيل، مثل: الوثيقة التي تفيد بنفي الشيوخ الذين قاموا بمساعدة محمد بن عائض في المعركة التي نشبت بينه وبين الجيش العثماني عام ١٢٨٨هت/١٨٧١م، وطردهم من المنطقة إلى ولاية

يانيا بأوربا في ١ جمادى الآخرة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م[١٥]. وكذلك نفي الشيخ أحمد والشيخ عبدالرحمن –وهما من مشايخ اليمن المنقولين– إلى يانيا قبل ٥ صفر ١٢٩٣هـ[١٦]. وهناك وثائق أخرى تبيّن موضوع الشخص المنفي بشيء من التفصيل. من ذلك ما يتعلق بـ:

١- نفي الشيخ حسين بن مشيط العسيري، مدير شهران، إلى يانيا (في ٩ شوال ١٢٩٠هـ)[١٧]، حيث أفادت الوثيقة بنفي الشيخ حسين بن مشيط إلى يانيا، بعد أن تم سجنه في الحديدة مدة من الوقت. ونص الوثيقة التي هي معروض الصدر الأعظم إلى السلطان:

"سيدي صاحب العطوفة:

أفاد والي اليمن دولة الباشا في المعروض الذي بعثه مع ملاحقه والذي تجدونه بطيه، إبعاد المدير السابق لبلدة شهران التابعة لسنجق عسير (حسين ابن مشيط)... إلى محل آخر، بحيث لا يتمكن من العودة إليها ثانية. وكما اتضح من فحوى المعروض أنّ المذكور قد أرسل أولاً إلى الحديدة وسجن فيها سجنًا مؤبدًا، إلاّ أنّ ذلك لم يكن موافقًا للعدالة السنية، وأنه بناءً على أعماله وأوضاعه السابقة فلا يجوز إعادته إلى بلدته. ولذلك فقد درس مجلس خاص الوكلاء [الوزراء] الموضوع، ورأى أن يتم إبعاده مثل غيره، وذلك بأن يؤتى به تحت الحراسة إلى هنا [أي إستانبول] وينفى إلى يانيا، فإن كان ذلك موافقًا لرأي جنابكم، فسوف يتم إبلاغ ولاية اليمن بذلك، وسوف يتم تنفيذ أمركم الكريم. ٩ شوال ٢٩٠[١هـ].

وبعد يوم واحد من رفع المعروض إلى السلطان وافق على مضمونه. لكن الجدير بالإشارة هنا هو أهمية حسين بن مشيط ومكانته في عسير؛ إذ إنّ الدولة

العثمانية كان يقلقها وجوده في المنطقة، حتى في السجن الواقع في الحديدة، وهي قريبة من موطن ابن مشيط. والنقطة الثانية الجديرة بالذكر أيضًا هو جلبه إلى إستانبول تحت الحراسة، وذلك خوفًا من هروبه، أو تهريبه من لدن أتباعه في حال توجهه إلى إستانبول مع عدد قليل من العساكر. ولذلك فإنّ تعبير (تحت الحراسة) يفيد تنبيه المسؤولين عن توصيله إلى إستانبول بشيء من الحذر والتيقظ.

٢- نفي الشيخ فائز وأخويه (علي) و(لاحق) إلى يانيا[١٨]. وهم من شيوخ عسير. وقد تم نفيهم إلى يانيا بسبب معارضتهم للحكم العثماني في عسير، حسب ما أفاد به الإشعار المرسل من الباب العالي إلى إمارة مكة المكرّمة في ٢١ صفر ١٢٩٤هـ، ونصه:

"إلى إمارة مكة المكرّمة العالية الجليلة

بناءً على الإشعار العالي المقدم من إمارتكم الجليلة بشأن السماح بإقامة فائز وأخويه علي ولاحق وابنه -المنفيين إلى يانيا وهم من شيوخ عسير- وكذلك التقرير المقدم بهذا الخصوص من دولة الشريف حسين باشا، فقد تم إجراء التحقيق اللازم في الموضوع، حيث تبيّن أنّ المذكورين تم جلبهم من المنطقة بسبب مسألة عسير، وإبعادهم إلى يانيا. وقد توفي الشيخ لاحق. أمّا الآخرون فقد وجدوا أنهم جديرون بالإشفاق والترحم عليهم، وسوف يتم إطلاق سراحهم على الفور إذا ما قدموا تعهدًا بأنهم لن يغادروا مكة المكرّمة إلى جهة أخرى، وأن يرسل من سيادتكم بهذا الخصوص خطاب رسمي، حيث صدرت بذلك الإرادة السلطانية. وقد تم إبلاغ ولاية يانيا الجليلة بإرسالهم إلى إستانبول، وتنفيذ حكم الإرادة السلطانية في ذلك منوط بهمة سيادتكم. والأمر والفرمان لحضرة من له اللطف والإحسان".

وكما اتضح من نص الوثيقة السابقة، فقد تيقّن الباب العالي من تلاشي تأثير الشيوخ المذكورين على منطقة نفوذهم، وإن لم يُزل ذلك التأثير تمامًا، حيث كانت الشكوك تراود الباب العالي، بدليل أنها لم تسمح لهم بالعودة مباشرة إلى عسير. لكن لم يكن لها أن ترفض طلب إمارة مكة المكرمة بإطلاق سراحهم والسماح لهم بالعودة إلى المنطقة. وكانت السيرة الحسنة للشيوخ المذكورين في فترة وجودهم في منفاهم، كما أفادت التحقيقات التي أجريت في حقهم، قد ساعدتهم على تصرف الحكومة معهم بلين وتعاطف. ومن هنا فقد تم بالفعل إطلاق سراحهم، لكن إلى مكة المكرّمة وليس إلى موطنهم عسير. إلا أنّ الوثيقة لا تشير من قريب أو بعيد إلى الفترة التي قضاها المذكورون في المنفى. غير أنّ الفترة التي قضاها المذكورون في مكة المكرّمة أو بالأحرى الفترة التي صدر فيها العفو عنهم من منفاهم في يانيا إلى موطنهم عسير كانت في حدود عشرة أشهر، امتدت من مطالبة إمارة مكة المكرّمة بالعفو عنهم، وإلى حين صدور الموافقة من مجلس الوكلاء (الوزراء) العثماني على ذلك: من شهر صفر عام ١٢٩٤هـ وحتى أواخر ذي الحجة من العام نفسه. ويبدو أنّ مخاوف الباب العالي قد تلاشت تمامًا بعد التحقيقات التي أجرتها في أوضاع المنفيين المذكورين، والاتصالات التي جرت مع الولايات المعنية، وهي ولاية الحجاز، وولاية يانيا، وولاية اليمن. كما أفادت بذلك الوثيقة الآتية الصادرة في ٢٨ ذي الحجة ١٢٩٤هـ والتي أشارت إلى الاتصال الذي أجراه الباب العالي مع ولاية اليمن في حق المذكورين، وردها الإيجابي بأنه لا خوف عليهم من العودة إلى المنطقة[١٩].

"إلى إمارة مكة المكرّمة الجليلة العالية وولاية الحجاز:

بناءً على الاتصال الذي جرى مع ولاية اليمن الجليلة في حق المنفيين إلى جهة الروملي من المشايخ المحليين أثناء إجراء الإصلاحات في منطقة اليمن، والذين سبق إصدار العفو عن بعضهم بالإقامة في مكة المكرّمة، وهم علي طامي والشيخ فائز وأخوه علي أفندي وابن الشيخ لاحق، وكذلك المفتي أحمد الحفظي أفندي، الموجود في إستانبول، فبناءً على ذلك الاتصال مع ولاية اليمن بأنه لا مانع من عودتهم، فقد صدر الإذن بقرار مجلس خاص الوكلاء [الوزراء] بالسماح لهم بالعودة. ووافق عليه جناب السلطان. وقد تم إبلاغ الولاية المشار إليها [أي اليمن] وولاية يانيا بذلك. كما تم إبلاغ ولاية الحجاز بالسماح للموجودين منهم في مكة المكرّمة بالعودة إلى بلادهم. وقد جرى ذلك بإعلامكم".

وهذه الوثيقة الأخيرة قد أبانت عن معلومتين في غاية الأهمية:

الأولى: أن الشيخ أحمد الحفظي، المعروف بعلمه ومكانته الدينية في منطقة عسير، كان منفيًّا إلى إستانبول. وقد أخلي سبيله للعودة إلى موطنه.

الثانية: إطلاق سراح المنفيين إلى مكة المكرّمة والسماح لهم بالعودة إلى عسير، وهم الشيخ فائز وأخوه علي وابن أخيه لاحق. كما أفادت أنّ علي ابن طامي أيضًا من بين المنفيين إلى مكة المكرّمة.

ج- ولاية ويدين

وهي من الولايات العثمانية الواقعة في أوربا أيضًا. وتقع في بلغاريا حاليًّا على نهر الدانوب.

وممن نفي إليها الشيخ علي بن حسين، من رؤساء قبيلة يام، الذي نفي إلى ويدين في أوربا العثمانية أيضًا[٢٠].

د- إستانبول

وهي العاصمة المركزية للدولة العثمانية، وكانت شؤون الدولة المترامية الأطراف تدار منها. وكما اتضح سابقًا، فقد نفي إليها الشيخ أحمد الحفظي[٢١]، ثم أخلي سبيله. كما نفي إليها قائمقام ينبع البحر الأسبق إبراهيم عواد، والشيخ ضيف الله بن جريثيم، من شيوخ القثمة في قبيلة عتيبة، والشيخ جابر بن هليل، من شيوخ الثبتة في قبيلة عتيبة أيضًا، بسبب ما ظهر -كما يبدو- من معارضتهم لأمير مكة المكرّمة الشريف عبدالمطلب الذي طلب من الباب العالي نفيهم إلى إستانبول. وقد أفادت الوثيقة العثمانية الصادرة في ٥ ذي القعدة ١٢٩٩هـ[٢٢] أنهم نفوا فعلاً إلى إستانبول، وأنّ الطلب الذي قدّموه بإخلاء سبيلهم والعودة إلى مكة المكرّمة قد رفض. ونص الوثيقة:

"بناءً على ما أبداه دولة سيادة أمير مكة المكرّمة جناب عبدالمطلب أفندي من حاجة سياسية، فإنّ الأشخاص الذين أرسلهم إلى إستانبول، ووضعوا في السجن العامّ بصفة مؤقتة، ونظرًا للاستدعاء المشفوع بالواسطة المقدم منهم، فقد أخليت سبيلهم، وهم: قائمقام ينبع الأسبق أمير الأمراء إبراهيم عواد باشا، والشيخ ضيف الله والشيخ جابر، من شيوخ عربان البدو القاطنين في منطقة الطائف. وبناءً على أنّ إعادتهم في الوقت الراهن إلى مكة المكرّمة لا يوافق المصلحة العامة، كما أنّ وقايتهم من الوقوع في ضنك من العيش لا يلائم شأن جناب السلطان؛ ولذلك فقد تقرر منح إبراهيم عواد باشا مبلغ ألف وخمسمائة قروش، والشيخ ضيف الله والشيخ جابر مبلغ خمسمائة قروش لكل واحد منهما، على أن يستوفى ذلك من الخزينة الجليلة شهرًا بشهر، بعدّهم ضيوفًا، ويصرف لهم المبلغ المذكور راتبًا مؤقتًا طيلة بقائهم في إستانبول،

ويسلّم لهم شخصيًّا من خلال إدارة المراسم السلطانية بالديوان الهمايوني، حيث صدر بذلك المرسوم السلطاني. والأمر والفرمان لحضرة من له اللطف والإحسان. ٥ ذوالقعدة ٩٩ [١٢هـ].. ٦ أيلول ٩٨ [١٢رومي]. علي رضا".

والملاحظ في هذه الوثيقة أنّ المذكورين قد أودعوا في السجن بإستانبول مدة من الزمن بشكل مؤقت، ثم أخلي سبيلهم، على أن يعودوا إلى موطنهم الحجاز؛ غير أنّ الباب العالي وقبل أن يسمح لهم بالعودة قام بإبداء رأي أمير مكة المكرّمة في الموضوع، فأظهر اعتراضه على عودتهم، بحجة عدم مواءمة ذلك للمصلحة العامة. فبقي المذكورون في إستانبول بعد ذلك منفيين، دون المكوث في السجن. فقيّض لهم الباب العالي راتبًا شهريًّا لكل واحد منهم. لكن الوثيقة لا تفيد بمعلومات تفصيلية أكثر في الموضوع، فهل قضوا مدة طويلة في إستانبول أم أخلي سبيلهم بعد فترة وجيزة؟

٢- الولايات الآسيوية للدولة العثمانية

أ- ولاية إزمير:

تقع إزمير في غرب الأناضول، وتطل على بحر إيجه. وقد نفي إليها الحاج عمر بادرب، بسبب مقتل القناصل الأجانب في جدة[٢٣]، ضمن من نفوا إلى جزيرة ساقز، حيث قضوا فيها فترة من الوقت ثم حوّلوا إلى إزمير، ومنها إلى مدينة حلب السورية، ثم إلى مدينة الطائف. أمّا بادرب فقد بقي منفيًّا في حلب، بينما نفي زملاؤه إلى محل أقرب إلى موطنهم وهو الطائف. كما ذكر ذلك في المعروض الذي قدّمه صديقه محمد أفندي، حيث ذكر "أنّ بعض أهالي جدة نفوا إلى جزيرة قبرص، ثم حوّلوا إلى إزمير، ومن بعدها سمح لهم بالإقامة في الطائف بعد العفو عن جنحهم. أمّا الحاج عمر بادرب

فقد أرسل في ذلك الوقت إلى حلب للإقامة فيها، منفى له. وهو مقيم فيها حتى الآن. وبناءً عليه فقد طلب من مراحم جناب السلطان التعامل معه على غرار زملائه المرخص لهم بالإقامة في الطائف. ولذلك فالمرجو من جنابكم إشعار والي حلب بذلك": ٢١ شوال ١٢٨٣هـ.

وبناءً على ذلك، رفع الصدر الأعظم معروضًا إلى السلطان في ١٠ ذي القعدة ١٢٨٣هـ[٢٤] قال فيه: "سيدي صاحب العطوفة؛

بمناسبة صدور العفو عن المنفيين من أهالي جدة إلى جزيرة ساقز قبل حوالي ثماني سنوات، ومنها إلى إزمير، بسبب حادثة جدة، فقد تقدّم الحاج محمد أفندي نيابة عن صديقه محمد بادرب -الذي كان ضمن المنفيين- و لم يشمله العفو السلطاني، حيث تقررت إقامته في حلب، فقد ذكر المذكور في المعروض الذي تجدونه بطيه الترحم عليه بأن يشمله العفو السلطاني على غرار زملائه. وبما أن فترة النفي التي قضاها المذكور قد مضى عليها وقت طويل، وأنه قد أصلح نفسه، ولعله أسقط من القائمة و لم تشمله الشفقة التي شملت زملاءه، ولذلك فإذا صدر أمركم السامي بالعفو عنه حتى يتوجه مع قافلة الحج برًّا وإطلاق سراحه، فإنه سوف يقيم في الطائف مثل الآخرين وحتى لا يمر بجدة. والأمر منوط برأي جنابكم. وسوف يتم تنفيذ أمركم بحذافيره. ١٠ ذوالقعدة ١٢٨٣[هـ].

وقد صدرت الإرادة السلطانية بإطلاق سراح المذكور والعفو عنه بعد يوم واحد. إلاّ أنّ الملفت للنظر أنّ الصدر الأعظم ذكر في معروضه أنّ الجزيرة المذكورة هي جزيرة ساقز، بينما عرضها محمد أفندي على أنها جزيرة قبرص. كما أنّ الصدر الأعظم قد زكاه في معروضه على السلطان،

وطلب منه إطلاق سراحه على غرار أصدقائه، لكن للإقامة في الطائف، وليس في جدة. بل إنه احترازًا من ذلك، طلب ترحيله مع قافلة الحج البري، وليس البحري، تأكيدًا منه على إطلاق سراحه.

ب- ولاية قونيا

تقع مدينة قونيا في الوسط الجنوبي من الأناضول. وهي مدينة شهيرة في العصر السلجوقي، وفي عهد الإمارة القره مانية، كما كانت كذلك في العهد العثماني. وقد نفي إليها بعض الأهالي من النجديين، حسب ما أفادت به الوثيقة العثمانية[٢٥]. وطلب هؤلاء المنفيون إطلاق سراحهم، والعفو عنهم، بمناسبة قدوم عيد الأضحى المبارك. وهذا نص البرقية التي رفعوها إلى مقام الصدر الأعظم، بغية عرضها على السلطان، وذلك في ٨ ذي الحجة ١٣٢٤هـ:

"ترجمة البرقية العربية المرسلة إلى الصدر الأعظم بغية تقديمها إلى جناب الخليفة من محمد العبيسي واثنين من زملائه في ٩ كانون الثاني ٣٢٢ [١ رومي: ٨ ذي الحجة ١٣٢٤هـ]:

نحن العباد الضعفاء كنا نشتغل بالتجارة في نجد، و لم نكن من الفئة التي تتدخل في الأمور السياسية، بل إنه لما وقعت الأحداث الأليمة في السابق، وفي أثناء نشوب قتال بين رؤساء نجد وأهاليها فقد هاجرنا إلى البصرة حفاظًا على أرواحنا وأموالنا، وهناك أيضًا اشتغلنا بالتجارة، فاشترينا بعض الأملاك والنخيل، وأصبحنا نعيش حياتنا في راحة تامة بما وفّره لنا جناب أمير المؤمنين وإمام المسلمين من عدل. وكنا نؤدي التكاليف الميرية [الضرائب] في وقتها، وسارعنا إلى تقديم العون اللازم للخدمات العسكرية بكل سرور. وكنا في عملنا مسرورين، ندعو الله تعالى ليل نهار أن يمد في عمر جناب الخليفة. أمّا الآن ومنذ أكثر من

سنتين ونحن مسجونون هنا، فقد انتشر أولادنا وعيالنا في الأطراف، وأصبحوا في وضع يرثى له، وفقدنا تجارتنا ومعاملاتنا المالية بالكامل. بل إنّ أمير شمر متعب بن رشيد قد طلب وترجى إطلاق سراحنا بالبرقية التي بعث بها إلى جناب الخليفة قبل شهرين. وبناءً على ذلك فإننا نرجو من جنابكم أن تعطفوا علينا وأن يشملنا عفوكم. والله شاهد على ما نقول، إنه ليس لنا أيّ ذنب أو جرم اقترفناه. ونطلب من جنابكم الكريم إخلاء سبيلنا حرمة لهذا العيد السعيد، بحيث نقضيه مع عيالنا. ونظرًا لعدم وجود ملجأ لنا فإننا نرجو من جنابكم التحقق من الظلم الذي تعرضنا له بالترحم علينا والإشفاق فينا".

وبعد رفع تلك البرقية بأربعين يومًا (أي في ٩ من المحرم عام ١٣٢٥هـ)، عُرض الموضوع على السلطان بواسطة الصدر الأعظم. وإن كنا لا نعلم رد السلطان على الطلب المذكور، إلا أنّ الأمر الملفت للنظر أنّ المذكورين كانوا من التجار، وأنّ نفيهم إلى قونيا قد تم بناءً على تدخلهم في أمر سياسي مخالف لوجهة الدولة العثمانية، وأنهم قضوا في منفاهم سنتين حتى ذلك الوقت.

ج- ولاية سوريا

وعاصمتها دمشق. وقد نفي إليها سعيد بغلف وصالح الجوهر، المتهمين في حادثة مقتل القناصل بجدة[٢٦]. وذلك تخفيفًا عليهما؛ إذ إن دمشق تعدّ قريبة من موطنهم الحجاز، بالمقارنة بالأماكن البعيدة التي نفوا إليها من قبل. ونص الوثيقة التي بعث بها الباب العالي في ١٨ ربيع الأول ١٢٨٤هـ[٢٧]:

"إلى أيالة ولاية الحجاز

لقد تم الاطلاع على خطاب ولايتكم المتضمن ضرورة نقل سعيد بغلف وصالح الجوهر -اللذين كان لهما دخل في حادثة جدة، وسبق أن تم القبض

عليهما ونفيهما ثم إطلاق سراحهما وإقامتها في مكة المكرمة- مع أفراد أسرتهما إلى الشام الشريف، للإقامة فيها. وبناءً على سياق معروضكم، فإنّ إرسالهما بتلك الصورة إلى المحل المذكور مناسب. وعليه فقد تم إبلاغ ولاية سوريا بذلك. والمرجو من جنابكم سرعة إرسالهما إلى الشام الشريف".

وتفيد هذه الوثيقة أنّ سعيد بغلف وصالح الجوهر كانا من أهالي مكة المكرّمة، على الرغم من أنّ الوثائق الأخرى تفيد أنهما من جدة، وأنه أطلق سراحهما بعد فترة من القبض عليهما، ثم أعيد اعتقالهما ونفيهما إلى جزيرة ساقز أو قبرص ثم إلى إزمير فدمشق. ويبدو أنّ الفترة التي قضيا فيها في السجن وإطلاق السراح والنفي هي في حدود عشر سنوات. ثم أخلي سبيلهما بعدما خمدت ثائرة الدول الأجنبية الراعية لتلك القنصليات في جدة والتي شهدت مقتل بعضهم عام ١٢٧٤هـ.

٣- الولايات الإفريقية للدولة العثمانية

فقد أورد دفتر العينيات من دفاتر الأرشيف العثماني بإستانبول القرار الصادر من الباب العالي في ٩ ربيع الأول ١٢٨٩هـ بإخلاء سبيل ١٦ شخصًا من أهالي مكة المكرّمة ممن نفوا إلى طرابلس الغرب في ليبيا. وكان السبب الذي أدى إلى نفيهم إلى طرابلس الغرب قيامهم بالتمرد في وجه الدولة في مكة المكرّمة[٢٨].

٤- الجزر العثمانية

أ- جزيرة قبرص

وهي تقع في البحر الأبيض المتوسط. ومقسّمة إلى قسمين في الوقت الراهن: قبرص التركية، وقبرص اليونانية. وكانت في العهد العثماني تابعة للدولة العثمانية. ونفي إليها تسعة أشخاص من أهالي جدة (في ١١ رجب ١٢٧٦هـ) بسبب مقتل القناصل الأجانب في جدة[٢٩]. منهم: قائممقام جدة إبراهيم،

ويوسف باناجه، وعمر بادرب، وعبدالقادر باغفار[٣٠]. وتوفي في هذه الجزيرة كل من يوسف باناجه وعبدالقادر باغفار. أمّا عمر بادرب فقد طلب نقله إلى الشام أو حلب. فصدرت الموافقة على نقله إلى حلب في ٥ صفر ١٢٨١هـ[٣١].

ب- جزيرة ساقز

تقع جزيرة ساقز في بحر إيجه، قريبة من سواحل تركيا الغربية، تابعة في الوقت الراهن لليونان. وكانت في العهد العثماني تابعة للدولة العثمانية.

وقد نفي إلى جزيرة ساقز كل من: محمد سعيد بغلف، وجوهر سعيد صالح، وعبدالله بكري، وهم من أهالي جدة، فقضوا فيها خمس سنوات، ثم نقلوا إلى مدينة إزمير. وبعد توسط والي إزمير في موضوعهم، صدر العفو السلطاني عنهم (في ٨ صفر ١٢٨٣هـ)[٣٢].

ج- جزيرة رودس

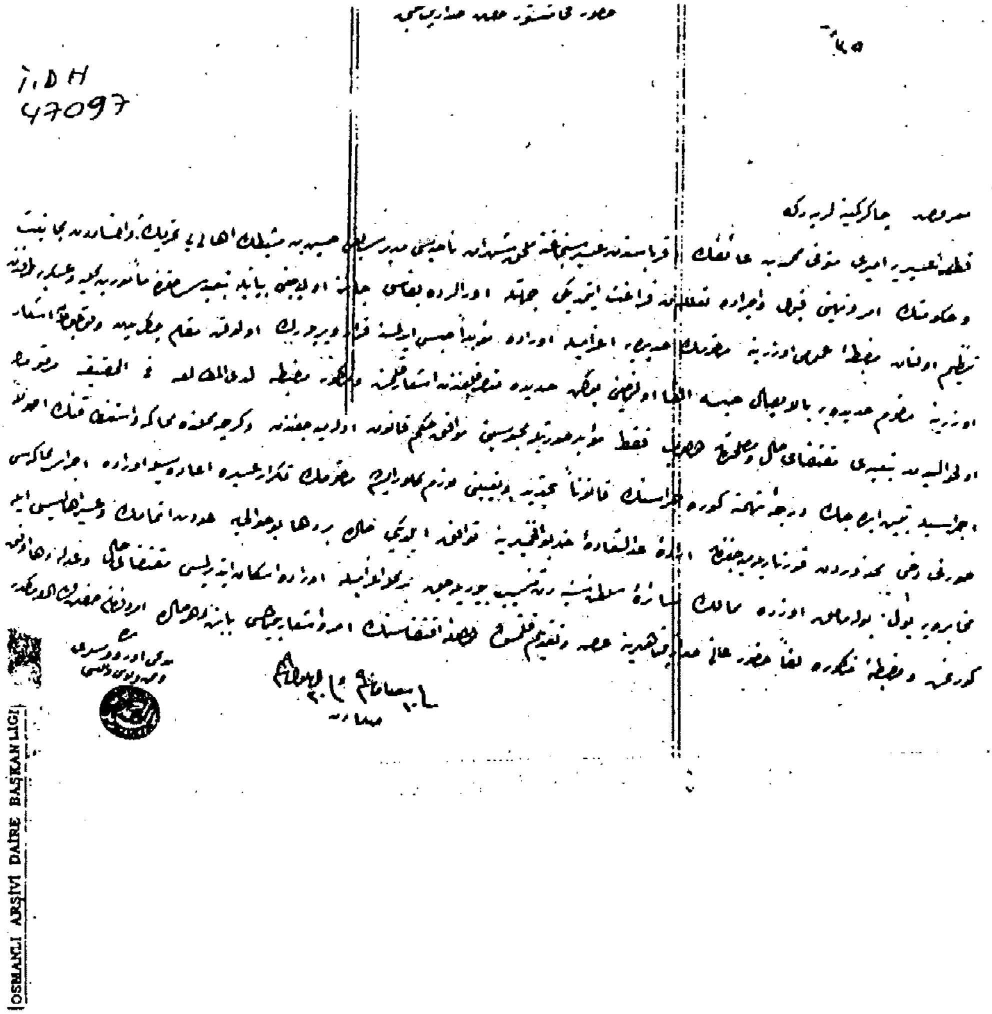
وتقع جزيرة رودس في بحر إيجه أيضًا، تبعد عن سواحل تركيا الغربية بمسافة ١٢ ميلاً. ومساحتها ١٤١٢كلم مربع. وكانت في عهد الدولة العثمانية تابعة لها.

وقد نفي قاضي جدة عبدالقادر أفندي إلى جزيرة رودس بسبب مقتل القناصل الأجانب في جدة عام ١٢٧٤هـ[٣٣].

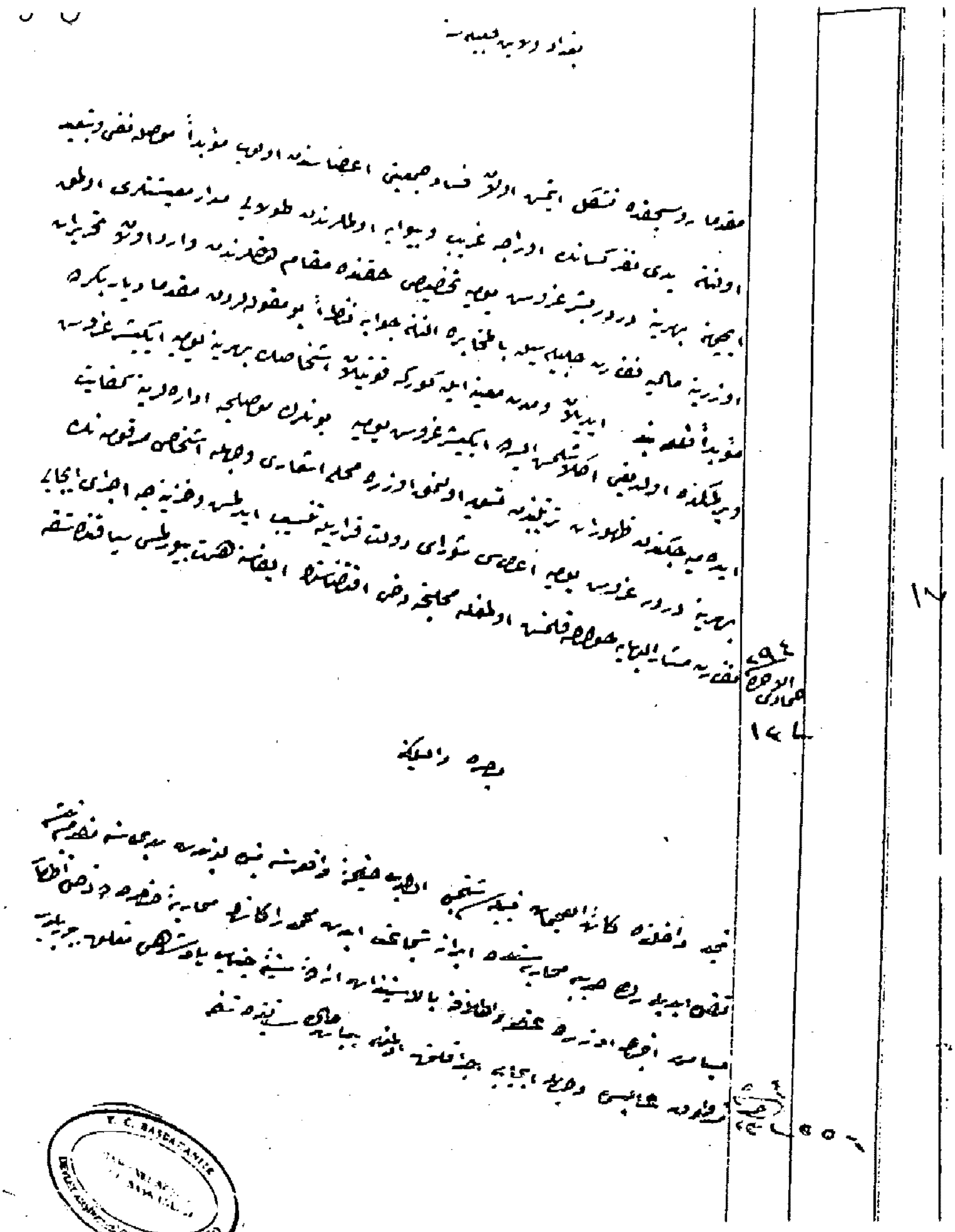
الخاتمـــة

وكما تبيّن سابقًا فإنّ عددًا غير قليل من شيوخ القبائل وزعماء المناطق في الجزيرة العربية وغيرهم من أهاليها نفوا إلى مختلف المدن العثمانية البعيدة عن بلادهم. واتضح أيضًا أنّ السبب الأساسي الذي أدى إلى نفيهم هو الجانب السياسي، أي معارضة بعض سياسات الدولة العثمانية في المنطقة التي كانوا يقطنونها. وقد حصل الباحث على وثائق عن بعضهم، ولم يحصل على معلومات

مفصّلة عن كثير منهم. ولاشك أنّ الأرشيف العثماني الثر يخبّئ بين كنوزه معلومات أخرى أكثر تفصيلاً مما أدرج في هذا البحث المختصر، إلا أنّ استخراجه والولوج في أعماقه منوط بهمّة الباحثين الجادين ممن يريد أن يسهم في خدمة تاريخ هذه البلاد، ولديه صبر وتحمّل على عناء البحث والمتابعة.



صورة وثيقة عن نفي حسين بن مشيط عام ١٢٩٠هـ



صورة وثيقة إطلاق سراح راكان بن حثلين عام ١٢٩٤هـ

الهوامش:

* مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف HH. ٢٧٤٦١-A

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف BEO. ١٨٨٨٥٢, ١٩٠١٣٢ وتبين من ملاحق هذه الوثيقة أنّ المقصودين بالترويج للمذهب الوهابي هم حمد العساف وثابت الألوسي وشكري الألوسي، حيث ذكروا في البرقية التي بعثوا بها من ولاية الموصل على نظارة الداخلية أنّ ما اتهموا به كان افتراءً، وأنهم ينتسبون لأسرة علمية، خدمت الدولة العثمانية أبًا عن جد، طالبين إعادتهم إلى بغداد، أو إبقاءهم في الموصل على أقل تقدير، وعدم نفيهم إلى الولايات المذكورة. انظر الوثيقة السابقة.

العرب: المذكورون من أهل العراق بمن فيهم العساف، الذي كانت أسرته نجدية، وبالتالي فلا ينطبق عليهم عنوان البحث.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف HH. ٢٠٥٩٥-C. (٤) الروملي: الأراضي العثمانية الواقعة في أوربا.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف AYNIYAT DEFT. No.٨٤٩. sy.٢٠١

(٦) أي قبل أن ينصب صدرًا أعظم،حيث عيّن في هذا المنصب في بداية حكم السلطان عبدالحميد الثاني (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م).

(٧) حول هذا الموضوع، انظر:

Mithad Pasa ve Taif Mahkumlari/Ismail Hakki Uzuncarsili. -Ankara: Turk Tarih Kurumu, ١٩٩٢.

(٨) الأرشيف العثماني، تصنيف AYNIYAT DEFT. No.١٠٢٢.sy.١٢٠ (٩) نفس المصدر No.١٠٢٤.sy.١٧٦

(١٠) نفسه No.٨٤٩.sy. ٧٢

(١١) الأرشيف العثماني، Vilayat:Gelen-Giden deft.٢. No.٢٦٦. sy.٤

(١٢) الأرشيف العثماني، تصنيف AYNIYAT DEFT. No.٨٥١.sy. ٢٦٤،٢٧٤; No.٨٤٩.sy.٢٤٣

(١٣) للتفصيل في هذا الموضوع انظر: Basra Korfezinde Bir Arap Kabilesi: Ucman Urbani/Zekeriya Kursun-Belleten. Vol.٥٨, No.٢٢٦ (Aprr.١٩٩٩), pp.١٢٣-١٦٣.

(١٤) الأرشيف العثماني، تصنيف AYNIYAT DEFT. No.٨٥٢.sy.٩

(١٥) نفس المصدر No.٨٧٤.sy.١٧-١٩ (١٦) نفسه No.٨٧٦.sy.٥٣

(١٧) الأرشيف العثماني، تصنيف I.DH.٤٧٠٩٧ تتكون هذه الوثيقة من محضر عربي طويل وقّع عليه أعضاء مجلس إدارة عسير وفيه تعداد للأعمال التي تجاسر عليها الشيخ حسين بن مشيط، ومعروض والي اليمن السيد أحمد، ومعروض الصدر الأعظم إلى السلطان.

(١٨) الأرشيف العثماني، تصنيف AYNIYAT DEFT. No.٨٧٥.p.٦٨. (١٩) ن. م. No.٨٧٥.p.١٣٥.

(٢٠) الأرشيف العثماني، تصنيف AYNIYAT DEFT. No.٨٧٤.sy.٦٦،٦٩;No.٨٧٦.sy.٧،٤٤،٥٣.

(٢١) لمعلومات أخرى عن الشيخ أحمد الحفظي ومكانته العلمية، وما منح من أوسمة من الدولة العثمانية من واقع وثائق الأرشيف العثماني، انظر: مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني/سهيل صابان، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١١.

(٢٢) الأرشيف العثماني، تصنيف I.DH.٦٩٠٤٦

(٢٣) تعرّض بعض القناصلة الأجانب، ومنهم قنصلا فرنسا وبريطانيا، للقتل عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م. وأصبحت الدولة العثمانية في وضع محرج أمام الدول الغربية على وجه الخصوص. وهذا الموضوع جدير بالدراسة من أبعادها المختلفة. حول بعض وثائق هذا الموضوع انظر: الأرشيف العثماني، تصنيف I.MEC.MAH.٥٣٢/١،٦١٤/١

(٢٤) الأرشيف العثماني، تصنيف I.DH.٣٩٠٠١ تتكوّن هذه الوثيقة من صفحتين، إحداهما المعروض الذي قدّمه زميله الحاج محمد أفندي، والثاني معروض الصدر الأعظم إلى السلطان.

(٢٥) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.Hus.٥٠٩/٥٨

(٢٦) وهي الحادثة التي قتل فيها قناصلة بعض الدول الأجنبية في جدة. ولها وثائق كثيرة في الأرشيف العثماني، يجدر برسالة علمية، يتم فيها توضيح الحادث في ضوء وثائق الأرشيف العثماني مع الروايات المحلية.

(٢٧) الأرشيف العثماني، تصنيف Ayniyat deft.٨٧١.p.٤٣ (٢٨) م.ن. Ayniyat deft.٨٧٢.p.٦٠

(٢٩) نفسه A.MKT.MHM.١٦٤/٥٦ (٣٠) نفسه A.MKT.MHM.١٧٥/٤

(٣١) الأرشيف العثماني، تصنيف MV.٢٢١٨٨ وحول أسماء الآخرين الذين نفوا إلى جزيرة قبرص انظر: الأرشيف العثماني، تصنيف I.MVL.٢٠٠٢١ وحول المساعي التي بذلها متصرف قبرص في إطلاق سراح المنفيين إلى قبرص من أهالي جدة انظر: الأرشيف العثماني، تصنيف A.MKT.UM.٣٩٤/٣٣

(٣٢) الأرشيف العثماني، تصنيف MV.٢٣٠١٣. I.DAH.٣٨٢٩٩

(٣٣) الأرشيف العثماني، تصنيف A.MKT.MHM.١٧٣/٧٥. A.MKT.UM.٤٣٤/١٤, ٥٣٨/٥٥

جهود أبي عبيدة في رواية الشعر العربي

بقلم: د. زكي ذاكر العاني*

توطئة

أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠هـ من أشهر العلماء الرواة البصريين. وصفه المبرِّد بأنه كان "عالما بالشعر والغريب والأخبار و النسب"[(١)]. ويهدف البحث إلى الكشف عن سمات رواية هذا العالم للشعر ونهجه فيها. ومعروف أنّ الرواية الشعرية في معناها المتطور، أي في الحقبة التي عاش فيها أبو عبيدة تمتد إلى فهم معاني الشعر، وتعرف ما فيه من غريب، والتثبت من قائله، وإيراد الأوجه المختلفة في قراءة الشعر، ومعرفة مناسبة القصيدة، ونسب الشاعر[(٢)]؛ فهي على وفق هذا المفهوم تقترب كثيرًا مما ندعوه في عصرنا الحاضر بـ(تحقيق النصوص). لذا سيكون حديثنا عن تحقيق أبي عبيدة للشعر وليس حمله أو إنشاده فقط.

مصادر أبي عبيدة في رواية الشعر:

توافرت لأبي عبيدة حصيلة ضخمة من الأشعار. ويمكن أن نقسّم المصادر التي استقى منها هذا العالم قسمين:

أ- الشيوخ. وأبرزهم:

١- أبو عمرو بن العلاء.

كان أبو عمرو رأس علماء البصرة في العربية. قال ياقوت الحموي: "أخذ عنه الأدب وغيره طائفة منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى..."[٣]. وقال أبوعبيدة: "أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر"[٤]. توفي سنة ١٥٤هـ بالكوفة[٥].

٢- يونس بن حبيب

وهو من مشاهير علماء البصرة في العربية. "كانت حلقته مجمع فصحاء الأعراب وأهل العلم والأدب"[٦]. قال أبو عبيدة: "اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه". توفي سنة ١٨٢هـ[٧].

٣- الأخفش الكبير

هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، أحد العلماء اللغويين الأجلاء. روى عنه سيبويه والأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري وغيرهم[٨]. قال الزجاجي: "وقد حكى عنه أبو عبيدة وسيبويه أشياء كثيرة"[٩]. وذكر أبو البركات الأنباري أنّ الأخفش الكبير "كان مؤدبًا لأبي عبيدة"[١٠].

٤- عيسى بن عمر

وهو أحد أكابر علماء العربية في البصرة: شُغف كثيرًا بالغريب ولزم الأعراب طويلا[١١]. ذكر أبو الطيب اللغوي أنّ أبا عبيدة أخذ عنه العلم[١٢]. وكانت وفاة هذا الشيخ سنة ١٤٩هـ[١٣]. وكما أفاد أبو عبيدة من شيوخه أفاد من أقرانه وزملائه من علماء بلدته. وربطت بينه وبعض علماء الكوفة صلات وثيقة. فقد أوردت المصادر محاورات بينه والمفضّل الضبّي وبينه وأبي عمرو الشيباني أيضًا[١٤].

ب- الأعراب:

على الرغم من أنّ المصادر لم تحدثنا عن رحلات أبي عبيدة إلى البادية مثلما حدثتنا عن رحلات علماء آخرين كأبي عمرو بن العلاء والكسائي والأصمعي وأبي عمرو الشيباني وغيرهم، فإننا نعتقد أنّ أبا عبيدة لم يتأخر عنهم في الذهاب إلى البادية ولقاء أعرابها. فمن الأعراب الذين أخذ عنهم: أبو الوجيه، وأبو الوثيق، وأبو مهدية، وأبو طفيلة، وأبو خيرة، وأبو البيداء، وأبو مالك عمرو بن كركرة، وأبو الدقيش، وشُبيل بن عَزرة، وأبو بُردة، وأبو الزَّعراء، وأبو فراس، وأبو سَريرة، والأغطش[١٥]. ويبدو أنّ أبا عبيدة استمد أشعارًا كثيرة من الأعراب الذين كانوا يحلون بظاهر البصرة. فقد كان حريصًا أشد الحرص على لقائهم. قال: "قَدِم علينا رجال من بادية بني جعفر بن كلاب، وكنا نأتيهم فنكتب عنهم"[١٦].

سمات رواية أبي عبيدة:

في وسع المتتبع لجهود أبي عبيدة في رواية الشعر أن يلاحظ أنّ هذه الرواية تتسم بما يأتي:

١ - تمحيص المروي والتحقق من صحته:

لم يكن أبو عبيدة يأخذ الشعر من غير أن يكون له موقف منه. فقد وجدنا هذا الأخذ يتسم بالحذر من الخطأ والاحتياط له. فأبو عبيدة يمحص المروي ويتأكد من صحته حين يخضع الشعر المروي إلى الدرس والتدقيق والتأمل ليخرج من هذا النظر الطويل فيه والفحص الدقيق له بنتائج علمية مجدية. ففي أشعار العرب المروية ما هو صحيح سليم، وفيها ما هو منحول مشكوك في صحته. وكان لأبي عبيدة من الفهم الثاقب والبصر النافذ والحس المرهف ما يمكنه من فرز الصحيح من المزيّف. فعندما قدم ابن داود بن متمم

من البادية إلى البصرة توجه إليه أبو عبيدة ليأخذ عنه شعر جدّه متمم بن نويرة. فلما أخذ ابن داود يتصنع في الرواية ويتزيد تيقظ أبو عبيدة لهذا الانحراف أو هذا التزييف في الرواية. قال: "فلمّا نَفِد شعر أبيه** جعل يزيد في الأشعار ويصنعها لنا. وإذا كلام دون كلام مُتَمِّم.وإذا هو يحتذي على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها مُتَمِّم والوقائع التي شهدها، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله"(١٧). ولم يطمئن إلى صحة نسبة قصيدة لشاعر يقال له العَرَنْدَس يقول فيها:

هَيْنون لَيْنونَ أيسارٌ ذوو كَرَمٍ سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أبناءُ أيسارِ
إنْ يُسْألوا الخيرَ يُعْطُوه وإنْ خَبَرُوا في الجهدِ أُدركَ منهم طِيبُ أخبارِ

وذلك لأنّ العرندس من بني بكر بن كلاب والشعر المنسوب له في مدح بني عمرو الغنويين. قال: "هذا واللهِ مُحالٌ. كلابي يمدح غنويًّا!". وينسب هذا الموقف أو هذه العبارة إلى الأصمعي غير أنّ أبا عبيد البكري يقول: "والذي قال: هذا المحالُ، كلابي يمدح غنويًّا هو أبو عبيدة لا الأصمعي"(١٨). ونسب المرزباني في "**معجم الشعراء**" هذا القول إلى أبي عبيدة. وتوقف أبو عبيدة عند قصيدة للحارث بن حلزة يقول فيها:

يا أيها المزمِعُ ثم انثَنَى لا يَثْنِكَ الحازي ولا الشّاحِجُ

فاكتفى برواية خمسة أبيات منها، وعدّ ما سواها مما أضيف إلى القصيدة، وحمل على الشاعر. قال: "أنشدنيها أبو عمرو. وليست إلا هذه الأبيات، والباقي مصنوع"(١٩). ولم يعد الأبيات الآتية المنسوبة إلى هند بنت النعمان:

ألا مَنْ مُبَلِّغ بَكْرًا رَسُولاً فَقَدْ جَدَّ النَّفيرُ بِعَنْقَفِيرِ
فليتَ الجيشَ كلَّهم فداكُمْ ونفسي والسريرُ وذو السريرِ

فإن تَكُ نعمةٌ وظهـــور قومي   فيـــا نِعمَ البشـــارةُ للبشيرِ

من الشعر الصحيح بعدما سأل عنها الأعراب الذين يروى عنـــهم. قـــال: "وهي مصنوعة، لم يعرفها أبو بُردة ولا أبو الزَّعراء وأبو فراس وأبو سَريرة ولا الأغطش. وسألتهم عنها قبل مخرج إبراهيم بن عبدالله بسنتين فلم يعرفوا منها شيئًا"(٢٠). وتوقّف عند قصيدة لعوف بن عطية بن الخَرِع التَّيمي يُعيِّر فيها لَقيط بن زرارة أَسْرَ بني عامر أخاه معبدًا وفرار لقيط في الحرب. فصح عنده منها أربعة أبيات فقط أولها:

هلا فوارسَ رَحْرحانَ هَجَوتُمُ   عُشَرًا تَناوحُ في سَرارةِ وادِ

وقال بعد أن أورد الأبيات الأربعة: "وبقية هذه القصيدة مصنوعة"(٢١). ولم يطمئن إلى صحة قصيدة عُزِيَتْ للشاعر نفسه في يوم النِّسار، منها قوله:

مازال حَيْنُكُمُ ونَقْصُ حُلومِكُمْ   حتى بَلَوتُم كيفَ وَقْعُ الأسودِ

فعدّ هذه القصيدة مصنوعة، ذلك لأنّ مصادره من أسد وغطفان أفادته بأن الأسود لم يشهد يوم النِّسار(٢٢). واكتفى برواية ثلاثة أبيات من قصيدة لعمرو ابن معد يكرب هي:

أَمرتُكَ يومَ ذي صـــنعا   ءَ أمرًا بَيِّنًـــا رَشَـــدُهْ

أَمرتُكَ باتّقـــاءِ اللـــــ   ــه تأتيـــه وتَتّعـــدُهْ

فكنت كَذي الْحُمَّيِّرِ غَرَّ   هُ من عَيْـــرِهِ وتَـــدُهْ

قائلاً إنه "لم يعرف سائرها"(٢٣).

وذكر أبو حاتم السجستاني أنه أنشد شيخه أبا عبيدة رجزًا كان المفضّل الضبي رواه لبعض أهل اليمن، فقال له أبو عبيدة: "انقطْ عليه. هذا من قول

المفضّل". وفي رواية أخرى "انقطْ عليه. هذا صنعةُ المفضّل"[٢٤]. ويبدو أنّ سبب إنكار أبي عبيدة هذا الرجز ما فيه من شذوذ؛ ففي قول الراجز:

أيُّ قَلُوصِ راكبٍ تَراهـــا   طاروا عليهنَّ فَشَل عُلاها

واشْدُدْ بِمَثْنَي حَقِبٍ حَقْواها   ناجيـــةً وناجيًا أباهـــا

يرد (علاها) بدل (عليها)؛ لأنّ بني الحارث بن كعب يقلبون الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفًا، فيقولون: أخذت الدرهمان، واشـــتريت الثوبـــان، والسلام علاكم. وهذا الرجز على لغتهم. أمّا قول الراجز: "ناجيًا أباهـــا" فمخالف لقواعد النحو التي توجب مجيء (أبوها) بدل أباها. لكن بني الحارث وقبائل أخر يجرون المثنى بالألف دائمًا[٢٥]. ومثل هذا ما أنشده الفراء للمتلمِّسِ الضُّبَعي، وهو:

فأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى   مسَاغًا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لصَمَّمَا

وقد قال الأزهري فيه: "هكذا أنشده الفراء على اللغـــة القديمـــة لـــبعض العرب"[٢٦]. ولكن أبا عبيدة وزملاءه من اللغويين البصريين لا يعترفون بمثل تلك اللغات القديمة التي أشار إليها الأزهري. ولا يوافقون المفضّل الضـــبِّي على روايته شعرًا فيه ما يخرج على قواعدهم ويشذّ عن قوانينهم، فهـــم في مثل هذه الأحوال يرمون الشعر بالوضع والراوي بالصنعة أيًّا كان ومهمـــا بلغ من العلم والمعرفة في فهم اللغة والإحاطة بها. ولم يكن الراجز الـــذي أنشد أبو حاتم السجستاني رجزه لأبي عبيدة نطق إلا بلغة قومه، غـــير أنّ ذلك لم يكن شفيعًا له لأن يحتج أبو عبيدة بشعره. وقد أفاد أبو عبيدة من معاصريه من الشعراء الحفظة لأشعار العرب معرفة بما لحق ببعض القصائد من زيادات، فبيت الأعشى:

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنَ الحوَادِثِ إلاّ الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا

زيد على قصيدته. قال أبو عبيدة في هذه الزيادة: "إنّ بشارًا أعلم الناس بالشعر وألفاظ العرب. قال لي وقد أنشدني أول هذه القصيدة للأعشى، فمر هذا البيت: وأنكرتني... كأن هذا ليس من لفظ الأعشى. وكان قوله هذا قبل أن أسمع هذا من قول*** أبي عمرو بعشرين سنة"[٢٧]. ولم يروِ أبو عبيدة فيما روى من مطولة امرئ القيس الأبيات:

وَقِرْبَةِ أقوامٍ جعلتُ عصامَها على كاهلٍ منّي ذَلولٍ مُرَحَّلِ
ووادٍ كجوفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ به الذئبُ يعوي كالخليعِ المُعَيَّلِ
فقلتُ له لَمّا عوى: إن شأننا قليلُ الغنى إن كنتَ لَمّا تَمَوَّلِ
كلانا إذا ما نال شيئًا أفاتَهُ ومَنْ يَحترِثْ حَرْثي وحَرْثَك يَهْزَلِ

وذكر "أنها ليست منها"[٢٨]. قال الزوزني: "لم يروِ جمهور الأئمة هذه الأبيات الأربعة في هذه القصيدة. وذكروا أنها لتأبّط شرًّا"[٢٩]، بيد أنّ كثيرًا من الرواة والشراح كالطوسي والسكري وأبي سعيد الضرير وابن الأنباري وأبي جعفر النحاس والتبريزي وأبي زيد القرشي أوردوا هذه الأبيات ضمن مطوّلة امرئ القيس[٣٠]. وكان الأعلم الشنتمري[٣١] والبطليوسي[٣٢] اعتمدا على موقف أبي عبيدة، فلم يوردا الأبيات الأربعة المذكورة ضمن النص.

ولاحظ أبو عبيدة أنّ قصيدة أبي دؤاد الأيادي التي يقول فيها:

وكلُّ حِصْنٍ وإنْ طالتْ سلامَتُهُ يومًا سيدْخُلُهُ النَّكراءُ والحُوبُ

قد تضمنت أبياتًا معزوّة إلى يزيد بن عمرو الحنفي، فعمل على فصل ما قاله أبو دؤاد عما قاله يزيد الحنفي. قال بعد أن أورد شيئًا من قصيدة أبي دؤاد

البائية: "ويُحمَلُ بعض ما في هذه الكلمة على يزيد بن عمرو الحنفي، وقد أعدتُهُ في شعره"[٣٣]. ولامرئ القيس قصيدة بائية مشهورة مطلعها[٣٤]:

خليلَيَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدُبِ   نُقَضِّ لُبانات الفؤادِ المُعَذَّبِ

ولعلقمة الفحل قصيدة مثلها مطلعها[٣٥]:

ذَهَبْتَ مِن الهجرانِ في غيرِ مذهبِ   و لم يكُ حقًّا كلُّ هذا التجنُّبِ

وقد تداخلت أبيات من قصيدة امرئ القيس وأبيات من قصيدة علقمة المتفقة معها في الوزن والقافية. واضطرب في الفصل بين ما تداخل من القصيدتين بعضه ببعض بين العلماء[٣٦]. غير أنه لم يعسر على أبي عبيدة الفصل الحاذق بين هذه وتلك. قال في قصيدة علقمة البائية: "وقد يُخلط قوله بشعر امرئ القيس بن حُجْر. وقد نسبتُ شعر امرئ القيس وأفردته من شعر علقمة"[٣٧]. ونراه يتوقف عند كل بيت مما يروي متفحصًا. فلجرير قصيدة مشهورة في هجاء الراعي النميري مطلعها:

أَقِلّي اللَّومَ عاذلَ والعتابا   وقولي إنْ أصَبْتُ لقد أصابا

يُخرجُ منها أبو عبيدة بعد تأمل وتدبر البيت:

وخُورُ مجاشعٍ تركوا لَقيطًا   وقالوا: حِنْوَ عينكَ والغُرابا

الذي فيه إشارة إلى مقتل لقيط بن زرارة يوم جبلة. والمعنى فيه أهم بعد أن تركوه صريعًا قالوا له: احذر الغراب أن يأكل عينك. قال: "هذا البيت مصنوع ليس لجرير"[٣٨].

٢- مواقف مميزة في عزو الأشعار:

أدى اختلاف مصادر أبي عبيدة عن مصادر سواه من الرواة إلى أن تكون له مواقف مختلفة عنهم فيما يتعلق بعزو الأشعار. فالقصيدة الحائية التي يصف فيها الشاعر السحاب والسيل بقوله:

دانٍ مُسِفٌّ فُويقَ الأرضِ هَيْدَبُهُ   يكادُ يدفعُهُ من قام بالرَّاحِ
فمن بنَجْوتِهِ كمَنْ بِمَحْفَلِهِ   والمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يمشي بقِرْواحِ

رواها أبو عبيدة لعبيد بن الأبرص(٣٩) بينما رواها المفضّل الضبي والأصمعي لأوس بن حجر(٤٠).

ويذكر ابن سلام أنه سمع أبا الورد الكلابي يسأل أبا عبيدة عن قائل الشعر:

مِن سَبَأِ الحاضِرِينَ مأربَ إذ   يبنونَ مِنْ دُونِ سَيْلِه العَرِمَا

وأنّ أبا عبيدة أعلم أبا الورد أنّ الشعر لأُميّة بن أبي الصلت. ويقول ابن سلام: "ثم أتينا خلفًا الأحمر، فسألناه، فقال: للنابغة. وقد يقال: لأميّة"(٤١).

والقصيدة البائية المشهورة التي يصف فيها الشاعر فرسه بقوله:

طويلٌ طامحُ الطَّرْفِ   إلى مَفْزَعَةِ الكلبِ
حديدُ الطَّرْفِ والمَنْكَبِ   والعُرقوبِ والقَلْبِ

عزاها ابن قتيبة وأبو علي القالي إلى أبي دؤاد. وهي مثبتة في ديوانه الذي نشره غرنباوم(٤٢). لكن أبا عبيدة كان يروي القصيدة لعقبة بن سابق الهِزّاني(٤٣).

وروى الأصمعي للمُسَيَّب بن عَلَس قوله:

نَصَفَ النَّهارُ الْمَاءُ غَامِره   وَرَفِيقُهُ بِالْغَيْبِ لا يَدْرِي

لكن أبا عبيدة كان يروي الشعر لأعشى بكر(٤٤).

ورويت لزهير بن أبي سلمى أبيات أولها قوله:

إنّ الرّزيــةَ لا رزيةَ مثلُهــا ما تبتغي غَطَفانُ يومَ أَضَلَّتِ

لكن أبا عبيدة ذكر أنها لقُراد بن حَنَش، وأنّ زهيرًا أغار عليهـا وادعاهـا لنفسه(٤٥).

ورويت لعنترة أبيات سبعة أولها قوله:

لا تذكري مُهــري وما أطعمتُهُ فيكونَ جلدُك مثلَ جلدِ الأجربِ

وهي مثبتة في ديوانه، غير أنّ أبا عبيدة رواها لخُزَر بن لَوذان، وهو شاعر قديم أورد له الآمدي في كتابه "**المؤتلف والمختلف**" شعرًا. وقد كانت لخُزَر امرأة من بَجيلة ظلت تلومه في فرس كان يؤثرها على خيله ويطعمها ألبان إبله(٤٦).

ورويت لأبي عُيينة المهلبي من شعراء صدر الدولة العباسية أبيات منـها قوله:

زُرْ واديَ القصرِ نِعْمَ القصرُ والوادي لا بُــدّ من زَوْرةٍ عن غيرِ ميعــادِ

تُرْفَى بهـا السُّفنُ والغلمانُ واقفــةٌ والضَّبُّ والنونُ والمــلاحُ والحادي

لكن أبا عبيدة صرفها إلى خلف بن خليفة الذي كان معاصرًا للفــرزدق، وذكر أنّ أبا عُيينة سرقها من قائلها(٤٧).

وعُزيت للسفاح بن بُكير اليربوعي قصيدة أولها قوله:

صلّى على يَحْيَى وأشياعِهِ ربٌّ رحيمٌ وشَفيعٌ مُطاعْ

غير أنّ أبا عبيدة عزاها إلى رجل من بني قُريع في رثاء يحيى بن ميسرة صاحب مصعب بن الزبير(٤٨). على هذا النحو كان أبو عبيدة يعزو الأشعار إلى قائليها في ثقة عالية بالنفس واطمئنان كثير إلى مصادره التي يستقي منها غير ملتفت إلى من خالفه من الرواة وذهب غير مذهبه في عزو تلك الأشعار.

٣- التنوّع والتوسع في الرواية:

يجد القارئ في المصادر إشارات إلى اختلاف توجه كل راوٍ عن زميله في رواية الشعر؛ فالأصمعي شُغِف كثيرًا بالغريب. وقد لاحظ ذلك أستاذه أبو عمرو بن العلاء حين قرأ الأصمعي عليه شيئًا مما حصله من الشعر (فمرت ستة أحرف لم يعرفها، فخرج يعدو في الدَّرَجَة وقال: شَمَّرْتَ في الغريب)(٤٩).

ولا يعني هذا أنّ أبا عبيدة لم يُعْنَ بالغريب و لم يَسْعَ في طلبه؛ فلقد كــان الغريب بضاعة ثمينة ومرغوبًا فيها من الرواة اللغويين عامة، وقد تنافسوا في طلبه تنافسًا شديدًا. ويمكن القول إن أبا عبيدة لم يتأخر عن زملائه في طلب الغريب، فله في هذا الشأن كتاباه: "**غريب القرآن**" و"**غريب الحــديث**".

وقد لاحظ الجاحظ شيئًا من سمات اتجاه شيخه أبي عبيدة أو منحاه في رواية الشعر فقال: "إنه وجد أبا عبيدة (لا ينقل إلاّ ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيــام والأنساب)(٥٠)، غير أنّ قول الجاحظ هذا ينطوي على مبالغة. فالأوفق أن نقول: إن هذا الذي ذكره الجاحظ هو الغالب على رواية أبي عبيدة. وفي وسع المتتبع أن يلاحظ أنّ رواية أبي عبيدة للشعر لم تقتصر على نمط واحد، بــل شملت أشعارًا متنوعة؛ وذلك راجع إلى تعدد الهدف من الرواية وتنوعه. فهو أديب، أخباري، نسابة، لغوي، نحوي. ويكون التوسع في الرواية وعدم التضييق في المصادر المعلم الآخر لرواية أبي عبيدة الأدبية، لذلك وجدنا ابن مناذر**** يقول: "كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها"(٥١). وذلك (لأنّ الأصمعي كان يضيّق ولا يُجوّز إلا أفصح اللغــات)(٥٢)؛ وهــذا التضييق لدى الأصمعي والتوسع لدى أبي عبيدة في رواية اللغة هما منهاجهما في روايتهما للشعر؛ إذ اللغة تستنبط قواعدها في الغالب من الشعر. فالأصمعي لا يروي من شعر الأغلب العجلي سوى قصيدتين ونصف.قال: "أعياني شعر

الأغلب. لم أعرف له إلا اثنتين ونصفًا"[٥٣]. ويروي لمعقّر البارقي أقل من خمس قصائد[٥٤]. وهو يحجم على رواية شعر أبي دؤاد الإيادي وعَدي بن زيد؛ لأنّ ألفاظهما غير نجدية[٥٥]، و لم يَرْوِ الأصمعي من شعر طرفة بن العبد قصيدته التي يقول فيها:

سائلوا عنا الذي يَعْرِفُنـــا   بِقُوانا يومَ تَحلاقِ اللِّمَمْ

وكان أبو عبيدة يرويها لطرفة[٥٦]. و لم يرو الأصمعي لزهير قصيدته في مـــدح الحارث بن ورقاء وذم بني نوفل التي يقول فيها:

أَبْلِغْ بني نَوْفَلٍ عني فقد بلغـــوا   مني الحفيظةَ لما جـــاءني الخَبَرُ

القائلينَ: يســـارًا لا تناظِـــرُهُ   غِشًّا لسيدهم في الأمر إذ أَمَرُوا

في حين رواها أبو عبيدة[٥٧]. و لم يرو الأصمعي لزهير قصيدته الأخرى في مدح الحارث بن ورقاء التي يقول فيها:

أبلِغْ لديكَ بني الصَّيْداءِ كلَّهُمُ   أنّ يســـارًا أتانا غيرَ مغلـــولِ

ورواها أبو عبيدة له[٥٨]. وفي ديوان زهير قصيدة أولها قوله:

شَطَّتْ أُمَيْمَـــةُ بعد ما صَقِبَتْ   ونأتْ وما فَنِيَ الجنابُ فيَذْهَبُ

رواها أبو عبيدة وحده[٥٩]. و لم يرو الأصمعي ولا غيره من الرواة بيـــت الأعشى:

له رِدافٌ وجَوْزٌ مُفأَمٌ عَمِلٌ   مُنَطَّقٌ بسِجالِ الماءِ مُتَّصِلُ

ورواه أبو عبيدة وحده[٦٠]. و لم يرو الأصمعي من مطولة امرئ القيس البيت:

ترى بعرَ الآرامِ في عَرَصاتِها   وقيعانِها كأنه حَبُّ فُلْفُلِ

فقد قال: "هو منحول لا يعرف" في حين رواه أبو عبيدة[٦١].

و لم يرو الأصمعي من هذه المطوّلة أيضًا قول الشاعر:

هَصَرْتُ بِفَوْدَي رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ عَلَيّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيّا المُخَلْخَلِ

ورواه أبو عبيدة(٦٢). فمن هذه الأمثلة وغيرها يتضح لنا أنّ نهج أبي عبيدة في رواية الشعر يتسم بالتوسع وهو يختلف عن نهج منافسه الأصمعي الذي يتسم بالتضييق. وهما نهجاهما في اللغة نفساهما اللذان أشار إليهما ابن مناذر. ولكن ذلك لا يعني أنّ أبا عبيدة كانت تجوز عليه أبيات أو قصائد كثيرة فيرويها. كلا فإنه كما رأينا كان يمحص المروي من الشعر تمحيصًا شديدًا؛ فهو -كما ذكرنا- لم يرو من شعر زهير الأبيات التي تبدأ بقول الشاعر:

إنّ الرَّزيّــةَ لا رزيــةَ مثلُها ما تبتغي غَطَفانُ يومَ أضَلَّتِ

ولم يرو من شعر امرئ القيس القصيدة المنسوبة إليه التي يقول فيها:

الخيرُ ما طلعتْ شمسٌ وما غربتْ مُعلَّقٌ بنواصِي الخيـلِ مَطلوبُ

فقد رأى أنّ هذا الشعر "لم يقله امرؤ القيس. ولكنه لرجل من الأنصار"(٦٣). وأسقط من شعر امرئ القيس أيضًا قصيدة أخرى أولها:

لِمَن طللٌ أبصرتُه فشجـاني كخطِّ زَبُورٍ في عَسيبِ يماني

فقد رأى "أنهما محمولة عليه"(٦٤). ولم يرو من شعر كعب بن زهير قصيدته التي أولها(٦٥):

ألا أسماءُ صَرَّمَتِ الحبـالاَ فأصبح غاديًا عَزَمَ ارتحالا

والأمثلة على هذا الأمر قد تطول. وكلها يدل على أنّ التوسع في الرواية لم يكن على حساب الدقة ولم يكن يتعارض والتمحيص الذي عرف به أبو عبيدة.

٤- عدم تغيير المروي من الشعر:

يجد المتتبع لمناحي رواة الشعر في الرواية أنّ ثمة رواة يصلحون الشعر وآخرين يروونه كما سمعوه. فقد ذُكِر أنّ الأصمعي قرأ على شيخه خلف الأحمر قول جرير:

فيا لكَ يومًا خيرُهُ قبلَ شَرِّهِ   تَغَيَّبَ واشيهِ وأقْصَرَ عاذِلُهْ

فنبّهه على قصور في عبارة الشاعر. وقال له: "الأجود له لو قال: فيا لك يومًا خيره دون شرّه، فاروه هكذا؛ فقد كانت الرواة قديمًا تُصلح من أشعار القدماء". فقال الأصمعي: "هكذا قرأتُه على أبي عمر" فأجابه خلف: "صدقتَ وكذا قال جرير... وما كان أبو عمرو لِيُقرِئَكَ إلاّ كما سمع"(٦٦). فمن هذه المحاورة بين خلف والأصمعي يتضح لنا اختلاف منحى خلف في الرواية عن منحى أبي عمرو. فخلف من الرواة المصلحين للشعر. أما أبوعمرو فمن الرواة الذين لا يصلحون ما يروون. واقتدى الأصمعي بشيخه خلف في هذا الشأن فكان من الرواة المصلحين للشعر؛ فحين وجد ما لم يسغه من قول امرئ القيس:

رُبَّ رَامٍ من بني ثُعَلٍ   مُخرجٍ زَنْدَيْهِ من سُتُرِهْ

عمد إلى تغيير قول الشاعر (مُخرج زَنْدِيه) بـ(مُخرج كفَّيه). وقال مسوغًا تغييره: "أما عَلِمَ أنّ الصائد أشدُّ ختلاً من أن يُظهرَ شيئًا منه"(٦٧). أمّا أبو عبيدة فقد كان مثل شيخه أبي عمرو بن العلاء لا يروي إلاّ كما يسمع؛ فقول عبيد بن الأبرص:

هي الخمـــرُ تُكنَى الطــلاءَ   كما الذئبُ يُكْنَى أبا جَعْدَةِ

رواه أبو عبيدة على هذه الهيأة غير المستقيمة. قال البطليوسي "ذُكِر أنّ أبا عبيدة مَعْمر بن المثنى هو الذي رواه هكذا"[٦٨]. أمّا الخليل بن أحمد فــرواه على النحو الآتي[٦٩]:

وَقَالُوا: هِيَ الخمْرُ يُكْنُونَها بِالطِّلا كَمَا الذِّئْــبُ يُكْنَى أبا جَعْدَة

وقيل: "إنّ الخليل هو الذي أصلحه" و"إنما وقع الفساد فيه من قبل عبيد"[٧٠]. وفي الحق أن ليس ثمة فساد في قول عبيد، وإنما الأوفق أن نقول: إنّ البيت في هيأته الأولى يمثّل مستوى من الصياغة والتركيب في الشعر قديم يختلــف عما آل إليه فيما بعد وبمرور الزمن تخلص الشعر مما عُدّ أخطـــاء وعيوبًـــا ونواقص في الوزن والصياغة والتعبير، وارتقت أساليبه إلى درجة أصـــبحت فيها أكثر نضجًا واكتمالاً واتساقًا. فقد وجد الرواة في القرن الثاني الهجري الشعر الجاهلي وفيه الكثير من سمات مرحلة قديمة من عمره كان فيها يحتوي على قدر غير قليل مما عدّ نواقص وعيوبًا وثغرات في الوزن والتعبير والصياغة. وقد عمد قسم من الرواة إلى ذلك الخلل المتبقي في الشعر من المرحلة السابقة الذي لم يصلحه رواة القرن الأول بصورة تامة فأصلحوه، وليتهم نقلوه كما وجدوه ورووه على ما بلغهم و لم يغيّروا فيه شيئًا، ولو أنهم فعلــوا ذلــك لأحسنوا صنعًا وأفادونا علمًا. ولكنهم فوّتوا علينا -وا أسفاه- إمكان تعــرّف الشعر العربي في مرحلة متقدمة من عمره.

عرفنا أنه لم يكن من نهج أبي عبيدة في رواية الشعر أن يتجرأ على المرويّ فيغيّر فيه ويبدل على وفق ذوقه وتبعًا لما يستسيغ، غير أنّ هذا المنحى في الرواية لم يتضح لدى ابن قتيبة الذي قال في أبي عبيدة: إنه "كان مع علمه، ربما لم يُقِم البيتَ إذا أنشده" ثم جاء أبو الطيب اللغوي، فكرر ما قال ابن قتيبة؛ إذ

ذكر أنّ أبا عبيدة "كان ربما أنشد البيت فلم يُقِم وزنه حتى يكسـره"(٧١).
ولكن البطليوسي -وهو عالم لغوي كبير- فطن إلى حقيقة هذا الاتهام، فلم يشأ أن يردد تلك المقولة بل قال: "فأمّا ما ذكروا عن أبي عبيدة من أنه كان لا يقيم وزن كثير من الشعر فما أظنه صحيحًا. و لم يكن لـيروي إلاّ مـا سمع"(٧٢). لقد أراد البطليوسي أن يقول إنّ أبا عبيدة لم يكن مـن الـرواة المصلحين وأنه حين روى بيت عبيد بن الأبرص على تلك الهيأة ما كان يجهل أنه غير مستقيم الوزن.

٥- تفرّده في كثير مما روى:

ظهر لنا من متابعة لما رواه أبو عبيدة من الأشعار أن قسمًا منه هو ممـا تفرد فيه وخالف الرواة الآخرين فلم يكتب له الذيوع والشهرة. فقد روى قول امرئ القيس:

أَفَاطِمُ مَهْـلاً بعضَ هذا التذلُّـلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صُرْمي فأجملي

"...وإن كنتِ قد أزمعتِ قتلي فأجملِي"(٧٣). وروى قوله الآخر:

مِسَحٌّ إذا ما السابحاتُ على الونَى أَثَرْنَ الغبـارَ بالكديدِ المُرَكَّـلِ

"بالكثيبِ السَّمَوَّلِ"(٧٤) والسَّمَوَّل في اللغة: (الأرض الواسعة والسهلة التراب)(٧٥)
و لم يتابع أحد من الرواة أبا عبيدة في روايته هذه للبيتين المذكورين.

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضَة ترائبُها مَصْقولةٌ كالسَّجَنْجَلِ

(...مصقولةٌ بالسَّجنجل) وذكر أنّ السجنجل هو الزعفران و لم تشع هذه الرواية(٧٦). وروى قول امرئ القيس أيضًا:

كدأبكَ من أمِّ الحُوَيرِث قبلَها وجارتها أمِّ الرَّبـاب بِمَأْسَـلِ

(كَدِينِكَ...)(٧٧) و لم تشتهر. وروى قول امرئ القيس أيضًا:

فمثلكِ حُبْلَى قد طَرَقتُ ومُرْضِعٍ   فألهيتُها عن ذي تمائـــمَ مُحْوِلِ

(...عن ذي تمائم مُغْيِلِ). وذكر في معنى (مُغْيَل) أنه الذي تُؤتى أمّه وهـــي ترضعه(٧٨). ولم تكن روايته بالشائعة. وروى قول امرئ القيس الآخر:

مِكَر مِفرٌّ مُقبِـــلٍ مُدبِـــرٍ معًـــا   كجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ عَلِ

(مِكَر مِمَرٌّ...)(٧٩). ولم تثبت هذه الرواية إذ لم يأخذ بها أحد من الرواة بعده.

وروى قول طرفة:

فلو شاء ربي كنتُ قيسَ بنَ خالدٍ   ولو شاء ربي كنتُ عمرَو بنَ مرثَدِ

على النحو الآتي(٨٠):

أرى كـــلَّ ذي جَدٍّ ينوءُ بِجَـــدِّهِ   فلو شاء ربي كنتُ عمرَو بن مَرْثَدِ

ولم تشع هذه الرواية.

وروى قول زهير:

وفيهنَّ مَلْهًى لِلَّطيفِ ومَنظَرٌ   أنيقٌ لعينِ الناظرِ المُتَوَسِّمِ

على النحو الآتي(٨١):

تجرَّدَ في السِّرْبالِ أبيضُ حازِمٍ   مُبينٌ لِعَينِ الناظِـــرِ المتوسِّمِ

ولم يأخذ بها الرواة بعده.

وروى قول عنترة:

حَلَّتْ بِأَرضِ الزائِرينَ فأصبحَتْ   عَسِرًا عليَّ طلابُها ابنة مَخْرَمِ

على النحو الآتي(٨٢):

شَطَّتْ مَزارُ العاشقينَ فأصبحَتْ   عَسِرًا على طِلابُكِ ابنة مَخْرَمِ

ولم تسر روايته.

وروى قول النابغة:

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيرَ يَمْسَحُها   رُكبانُ مكةَ بين الغَيْلِ والسَّنَدِ

(...بين الغِيلِ والسَّعَدِ) بكسر الغين. وقال: هما أجمتان كانتا بين مكة ومنًى غير أنّ الأصمعي أنكر هذه الرواية[٨٣] التي لم يكتب لها الذيوع. وروى قـــول عمرو بن كلثوم:

تركنا الخيلَ عاكفةً عليه   مُقَلَّدَةً أعنتُها صُفُونـــا

(تركنا خيله نوحًا عليه...)[٨٤] بيد أنّ هذه الرواية ظلت غير معروفة؛ إذ لم تشع و لم تشتهر.

وروى قول عنترة:

وَخَلا الذُّبَابُ بها فَلَيْسَ بِبَارِحٍ   غَرِدًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ

على النحو الآتي[٨٥]:

وَخَلا الذُّبابُ بِها يُغَنِّي وَحْدَهُ   هَزِجًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ المتَرَنِّمِ

و لم تشتهر روايته.

وأمّا قول الأعشى:

صَدَّتْ هُريرةُ عنَّـــا ما تُكَلِّمُنا   جهلاً بأُمِّ خُلَيدٍ حبلَ من تَصِلُ

فقد رواه: صَدَّتْ خُليدةُ... وقال: هي هُريرة[٨٦]. و لم يتابعه أحد في هـــذا الشأن. وروى قول الأعشى أيضًا:

كأنَّ مِشْيَتَها من بيتِ جارتِها   مَرَّ السَّحابَةِ لا ريثٌ ولا عَجَلُ

(مَوْرُ السَّحابةِ)[٨٧] و لم تكن هذه الرواية بالذائعة. ومما هو جدير بالذكر أنّ معظم الرواة والشراح الذي أعقبوا أبا عبيدة مالوا إلى رواية سواه لما ذكرنا من أبيات مرجحين إياها على رواية أبي عبيدة. ومن هؤلاء الرواة والشراح واللغويين أبو بكر الأنباري وأبو جعفر النحاس والبطليوسي والشـــنتمري

والقرشي والزوزني والتبريزي. غير أننا لاحظنا أنّ ابن سلام الجمحي اتخذ المنحى نفسه الذي وجدناه عند أبي عبيدة في إيراده روايات غير مشهورة وغير سائرة لكثير من الأشعار. وإذا عرفنا أنّ ابن سلام كان تلميذًا مخلصًا لأبي عبيدة أدركنا مدى تأثير التلميذ بأستاذه في هذا الشأن، فاعتماد روايات غير معروفة لدى ابن سلام بعد أبي عبيدة يمكن أن يرد إلى اقتداء التلميذ بأستاذه وسيره على نهجه وخطاه[٨٨].

خلافات أبي عبيدة مع سواه في قراءة الشعر:

لم يسلم الرواة العلماء من الخطأ في قراءة الشعر. فهذا أبو عمرو بن العلاء يقول: "لو كنتُ كلما أخطأتُ، وقعتْ في حِجْري جوزة، لامتلأ حِجْري جوزًا"[٨٩]، ولم تكن قراءة أبي عبيدة للشعر دائمًا راجحة على قراءة سواه من الرواة العلماء، فمما أخذه الأصمعي على أبي عبيدة أنّ أبا عبيدة أنشد لحاجب بن زرارة قوله:

يا قومُ قد أهلكتموني باللَّوْمْ ... ولم أقاتِلْ عامرًا قبل اليَــوْمْ

شتّانَ هذا والعنــاقُ والنَّومْ ... والمشربُ الباردُ في ظل الدَّومْ

فرأى الأصمعي أنّ أبا عبيدة وهم وأنّ الصواب: في الظل الدَّوم، أي الدائم مثل زائر وزَور، ونائم ونوم، واحتج بأن ليس بنجد دوم. قال الأصـــمعي: "أنّى لأهل نجد دوم، والدَّوم: شجر المَقْل، وهو يكون بالحجاز وحاجـــب نجدي، فأنّى له دوم"[٩٠]. وقرأ أبوعبيدة قول امرئ القيس:

تجاوزتُ حُرَّاسًا إليها ومعشرًا ... عليّ حِراصًا لو يُسِرُّونَ مقتلي

فرأى الأصمعي في قراءته تصحيفًا وأنّ الرواية: لو يشرون ومعنى (يُشِرُّون) بالشِّين المعجمة، يُظهرون ويُخفون، واللفظ من الأضداد، واحتجّ أبو عبيدة

لقراءته بقوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾، أي أظهروه[٩١].

وهكذا يكون لكل قراءة وجه، وقرأ أبو عبيدة قول الشاعر:

مَازَالَ يَضْرِبُنِـــي حَتى خَزِيـــتُ لَهُ   وَحَالَ مِنْ دُونِ بَعْضِ البُغْيَةِ الشَّفَقُ

وذكر كيسان***** أنه نبّه أبا عبيدة على الوجه الصحيح، وهو: حتى خَذِيتُ له. ويزعم كيسان أنّ أبا عبيدة قال له: صدقتَ يا أبا سليمان[٩٢]، ومن المآخذ على قراءة أبي عبيدة أنه أنشد بيت امرئ القيس:

فظَـــلَّ يُرَنّحُ في غَيْطَـــلٍ   كما يستديرُ الحمارُ النَّعِرْ

فسُئِل عن النعر فقال: هو الذي تدخل في أنفه النُّعْرَة وهي ذبابة، فقـــال أحد الذين حضروا مجلسه: يرحمك الله. قد قيل ذاك، ويقول هذا المعترض: فقلت: هو والله داء وأنا أعالج منه[٩٣]، وكانت قراءة أبي عبيدة في الغالب هي الراجحة على سواها، وإن خولف فيها. فقد روى أبو عبيدة قول الأعشى:

إني لَعَمرُ الذي حَطَّتْ مناسِمُها   تَخْذِي وسِيقَ إليه الباقِرُ الغُيُلُ

لكن الأصمعي اعترض على هذه الرواية وقال: لا معنى لـــــ(حطـــت) هاهنا، وإنما يقال: حَطَّتْ: إذا اعتمدتْ في زِمامِها... قال: والرواية حَطَّتْ، أي: سَفَّتِ الترابَ بمناسمها[٩٤]. بيد أنّ رواية أبي عبيدة لهذا البيت لم تكن مرجوحة بل إنها أوفق من رواية الأصمعي؛ فقد قال الخليـــل بـــن أحمـــد الفراهيدي في كتاب "**العيـــن**": والحَطُّ: الحَدْرُ من العُلو. وحَطَّتِ النجيبةُ وانْحَطَّتْ في سيرها من السرعة[٩٥]. ووافق أبو عمرو الشيباني أبا عبيدة في روايته (حَطَّت) بالحاء المهملة لا (خَطَّت) بالخاء المعجمة. وقال الصغاني في "**العباب**": وَحَطَّ البعيرُ حَطاطًا: إذا اعتمد زِمامَهُ... ثم أورد قول الأعشى في هذا الشأن:

إنّي لَعمرُ الّذِي حَطَّتْ مَنَاسِمُها   تَخْدِي وَسِيقَ إلَيْهِ الْبَاقِرُ الغُيُلُ

ورواية هذا البيت على هذا النحو كما ورد في "**العباب**" هـــي روايـــة أبي عبيدة كما ذكر أبو جعفر النحاس[٩٦]. غير أنّ ثمة قولاً آخر في هذا الشأن وهو أنّ أبا عبيدة روى (العُثُل) بدل (الغُيُل)، وأنّ أبا عمرو الشيباني أرسل إليه راجيًا الإقلاع عن روايته والانتباه على ما فيها من تصحيف. ويبدو مما ذكره النحاس أنّ أبا عبيدة أخذ بملاحظة زميله أبي عمرو. والغُيُل: جمع غَيْل، وهو الكثير، والعُثُل: الجماعة. والغُيُل أيضًا: الكثيرة. أمّا رواية الأصمعي لبيت الأعشى المذكور فهي[٩٧]:

إني لعمرو الذي حَطَّت مناسِمُها   تَخْدِي وجَدَّ عليها الباقرُ العُجُل

لكن رواية أبي عبيدة رجحت على رواية الأصمعي؛ فقد أخذ بها رواة القصائد السبع الطوال وشراحها وأثبتوها في المتن متن القصيدة.

وروى أبو عبيدة قول الراجز:

زوجكِ يا ذاتَ الثنايا الغُرِّ   والرَّتَلاتِ والجبينِ الحُرِّ

فخالفه ابن الأعرابي، وقرأ: الرَّبَلات، والرَّتَلات: استواء الأسنان، ولا يزيد منها شيء على شيء. وقد ردّ أبو ملحم الأعرابي قراءة ابن الأعرابي منتصرًا لأبي عبيدة، فقال: "ما موضع الربلات هنا إن كان أرادها؟ فهذا أبعد بعيد وأقبح كلام. وإنما الوجه أن يقال: الرتلات والجبين الحر". وقد أثبت ابـــن الأعرابي روايته التي خالف فيها أبا عبيدة في كتابه "**النوادر**". قال ابن دريد: "فأملاه قديمًا بالياء تحتها نقطة، ثم رجع فأملاه ببغداد بتاء فوقها نقطتـــان"[٩٨].

وروى الرواة قول أوس بن مَغْراء السعدي:

وَلا يَريمونَ في التَّعْرِيفِ مَوْقِفَهُمْ   حَتَّى يُقَالَ: أَجيزُوا آلَ صُوفَانَا

غير أنّ أبا عبيدة رأى أنّ الرواية: (آل صَفْوانا). قال الصغاني مؤيدًا مـــا ذهب إليه أبو عبيدة: "والصواب في الرواية: آل صَفْوانا. وآل صفوان: قوم من بني سعد بن زيد بن مناة، وهكذا ذكر أيضًا أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب التـــاج"(٩٩).

وروى الرواة قول النابغة الذبياني يخاطب عمرو بن هند:

مَن مبلغٌ عمرو بنَ هندٍ آيــةً ... ومِن النصيحةِ كثرةُ الأنذارِ
لا أعرفَنَّكَ عارضًــا لرماحِنا ... في جُفّ تغلبَ وارد الأمْرارِ

بيد أنّ أبا عبيدة كان يرويه: (في جُفِّ ثعلبَ) وذكر أنّ الشاعر يريد ثعلبة ابن عوف بن سعد بن ذبيان(١٠٠)... والجُفّ: جماعة الناس، وبذلك يكون قد عزز قراءته بما من شأنه أن يجعلها راجحة على قراءة سواه من الرواة. وروى الأصمعي قال الأعشى:

ولقد أُرَجِّــلُ لِمَّـــتي بعشـــيةٍ ... للشَّربِ قبل سَنابكِ المُرتادِ
والبيضِ قد عَنَسَتْ وطال جراؤُها ... ونشان في قِنٍ وفي أذوادِ

غير أنّ أبا عبيدة روى (في قِنّ) بدل (في فَنَن) ومعنى (في فَنَن): في نعمــــة. وأصلها أغصان الشجر، ومعنى (في قِنّ): في عبيد وخدم، وقد رجحت قراءة أبي عبيدة على قراءة الأصمعي؛ فقد أخذ بها الرواة والشراح بعد أبي عبيدة(١٠١)؛ لأنها أكثر ملاءمة لما قصد إليه الشاعر في البيت.

وقرأ الأصمعي قول الراعي النميري:

وكأنّ ريضَهـــا إذا باشَرْتَها ... كانت معاودةَ الرحيلِ ذَلولاَ

فسئل: ما معنى باشرها؟ فقال: ركبتها. من المباشرة. ويقول هذا التلميذ السائل: فسألنا أبا عبيدة عن ذلك، فقال: صحف والله. إنما هو: ياسرها: إذا لم تُعارها وتَقْتسرها. قال: ومن ذلك قول عنترة[١٠٢]:

إذا يُسِرَتْ كانت وقورًا أديبةً وتَحْسِبُها عُوسِرَتْ لم تُؤَدَّبِ

ويبدو أنّ رواية أبي عبيدة هنا هي الراجحة على رواية الأصمعي. واستمع أبو عبيدة إلى أبي الخطاب الأخفش، ينشد أبا عمرو بن العلاء، قول الأعشى:

قالتْ قُتيلةُ: ما لـه قد جُلِّلَتْ شَيْبًا شَواتُهْ!

يقول أبو عبيدة: إنّ أبا عمرو اعترض على قراءة أبي الخطاب قائلاً: إنما هو: سَراته، وقد رأى أبو عبيدة أنّ قراءة أبي الخطاب هي الأصوب. قال: "سمعت ما قال أبو الخطاب من رجل من البادية. قال: أقشعرّت شَواتي"، وشواته: جِلدة رأسه، أمّا سَراتُه في رواية أبي عمرو فمعناها: عاليته[١٠٣].

وأنشد المفضّل الضبي قول الشاعر:

أفاطمَ إني هالكٌ فتبيّنـي ولا تجزعي كلُّ النساءِ يتيمُ

فخالفه أبو عبيدة ذاهبًا إلى أنّ الصواب: كل النساء تئيم. يقول أبو عبيدة: "فقلت: إنما هو: تئيمُ"، أي تصير إيِّمًا. ويضيف قائلاً: "فضحك وقال: صدقتَ وبررتَ يا أخي"[١٠٤]. وأخذ أبو عبيدة على المفضّل قراءته قول الشاعر:

وكنتُ زُمينًا جارَ بيتٍ وصاحبًا ولكنّ قيسًا في مسامعهِ صَمَمْ

ورأى أنّ الصواب: زَمينًا، أي: قريبًا[١٠٥].

وروى الأصمعي والمفضّل الضبي لأبي ذؤيب قوله:

حتَّى كَأَنِّي لِلْحَـوَادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا الْمُشَرَّقِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ

والمشرّق: مسجد الخيف بمنى. وإنما خصّه لكثرة مرور الناس به، غير أنّ أباعبيدة رواه: (بصفا المُشَقَّر) وذكر أنه سوق الطائف. وقال في شرحه: "يقول: كأني مَرْوَةٌ في السوق يمر الناس بها يقرعها واحد بعد واحد"(١٠٦). والمروة: حجارة بيض.

وقال أبو ذؤيب في هذه القصيدة يصف حُمر الوحش وفتك الصائدين بهن:

يَعْثُرْنَ في حَدِّ الظُّبـــاتِ كأنما كُسِيَتْ بُرودَ بني يزيدَ الأذرُعُ

غير أنّ أبا عبيدة روى: (بُرود أبي يزيد) قال: وكان تاجرًا يبيع العَصْب بمكة(١٠٧).

مما تقدّم يظهر لنا مدى ما بلغته رواية أبي عبيدة للشعر من إتقان وضبط وأنّ قراءة هذا العالم الجليل كانت في الغالب الراجحة على قراءة سواه من الرواة العلماء. لقد كان أبو عبيدة -مع سعة علمه- متواضعًا. فهو حين يجد قراءة له مرجوحة لا يميل إلى المكابرة والعناد؛ فقد مر بنا أنه حين خاطبه أبو عمر الشيباني بقوله: "إنك تُصَحِّفُ في هذين الحرفين فارْجِعْ عنهما" أجابه: "قد سمعتُها". رحم الله أبو عبيدة، فقد خدم الدِّين الإسلامي الحنيف واللغة العربية العزيزة خدمة جليلة، وترك لنا تراثًا غنيًّا نافعًا شاهدًا على علم غزير ونظر ثاقب ورأي سديد؛ وذلك شأن النوابغ تبقى آثارهم تدل على نبوغهم وتألقهم على مر العصور وكر الدهور.

الهوامش:

* كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العراق. وقد انتقل إلى رحمة الله في ٢٠/٨/٢٠٠٥م.

(١) السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، تح. الزيني وخفاجي، القـاهرة، ١٩٥٥م، ص٥٣؛ أبوالبركات الأنباري، **نزهة الألباء**، تح. د. إبراهيم السامرائي، الأردن، ١٩٨٥م، ص٨٥.

(٢) د. ناصر الدين الأسد، **مصادر الشعر الجاهلي**، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٢٥١-٢٥٢.

(٣) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، تح. مرجليوث، القاهرة، ١٩٧٢م، ٢١٧/٤.

(٤) الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح. عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٥م، ١/٣٢١.

(٥) أبوالطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، تح. محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢٢؛ أبوبكر الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تح. محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٥٣.

(٦) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ٧/٣١٠. (٧) المصدر نفسه، ٧/٣١٠، ٣١٢.

(٨) أبوبكر الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ٤٠.

(٩) أبوالقاسم الزجاجي، **مجالس العلماء**، تح. عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٨٣م، ص١٢٤.

(١٠) أبوالبركات الأنباري، نزهة الألباء، ٢٣.

(١١) أبوالطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ٢١؛ أبوبكر الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ٤٣.

(١٢) أبوالطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ٣٩. (١٣) المصدر نفسه، ٢١.

(١٤) أبو أحمد العسكري، **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، تح. عبدالعزيز أحمد، القاهرة، ١٩٦٣م، ١٣٨؛ السيوطي، **المزهر في علوم اللغة**، تح. جاد المولى والبجاوي وأبي الفضل، نشرة البابي الحلبي، القاهرة، ٢/١٨٣.

(١٥) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١/١٧٢؛ أبو أحمد العسكري، **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، ٢١٥؛ أبوالطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ٣٩؛ السيوطي، **المزهر**، ١/١٨٠.

(١٦) أبوزيد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، تح. علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٦٧م، ١/٣١.
** المقصود بأبيه جدّه.

(١٧) ابن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، تح. محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٧٤م، ١/٤٧.

(١٨) أبوعبيد البكري، **التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه**، نشر مع **أمالي القالي** بتحقيق الميمني في القاهرة سنة ١٩٢٦م، ص٧٣؛ المرزباني، **معجم الشعراء**، تح. عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٧٣؛ المرزوقي، **شرح ديوان الحماسة**، تح. عبدالسلام محمد هارون وأحمد أمين، القاهرة، ١٩٥٣م، ٤/١٥٩٣ (الحماسية ذات الرقم ٦٩١).

(١٩) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٣/٣٠٣. (٢٠) السيوطي، **المزهر**، ١/١٨٠.

(٢١) أبوعبيدة، **شرح نقائض جرير والفرزدق**، تح. بيفان، بريل، ١٩٠٥م، ص٢٢٨.

(٢٢) المصدر نفسه، ٢٤٠.

(٢٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، القاهرة، ١٩٥٥م، ٥٨٤/٢؛ ديوان عمرو بن معد يكرب، تح. هاشم الطعان، بغداد، ١٩٧٠م، ص٨٣.

(٢٤) أبوزيد الأنصاري، **النوادر في اللغة**، تح. محمد عبدالقادر أحمد، بيروت، ١٩٨١م، ٤٥٧.

(٢٥) ابن عقيل، **شرح ألفية ابن مالك**، تح. محمد محيي الدين عبدالحميد، مصر، ١٩٦٠م؛ السيوطي، **همع الهوامع**، القاهرة، ١٣٢٧هـ، ٤٠/١.

(٢٦) الأزهري، تهذيب اللغة، تح. عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٤-١٩٦٧م، مادة (صمم)، ١٢٨/٢.

*** هكذا في المطبوع. ولعل الصواب: من قبل.

(٢٧) الزجاجي، **مجالس العلماء**، ١٨٠. والبيت من قصيدة طويلة في ديوان الأعشى، ١٠١، تح. محمد محمد حسين.

(٢٨) أبوبكر الأنباري، **شرح القصائد السبع الطوال**، تح. عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٨٢؛ أبوجعفر النحاس، **شرح القصائد التسع المشهورات**، تح. أحمد خطاب، بغداد، ١٩٧٣م، ١٦٢/١.

(٢٩) الزوزني، **شرح القصائد السبع**، بيروت، ١٩٩٠م، ص٤٠؛ شعر تأبط شرًا، جمع وتحقيق سلمان داود وجبار تعبان، النجف، ١٩٧٣م، ص١٢٨.

(٣٠) **ديوان امرئ القيس**، تح. محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٨٤م، ٣٧٢.

(٣١) الأعلم الشنتمري، **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**، نشر دار الآفاق الجديد، بيروت، ٩-٤٠.

(٣٢) أبوبكر عاصم بن أيوب البطليوسي، **شرح الشعار الستة الجاهلية**، تح. ناصيف سليمان عواد، بغداد، ١٩٧٩م، ص٦٨-١١٥.

(٣٣) شعر أبي دؤاد، (ضمن كتاب **دراسات في الأدب العربي** لغرنباوم) ترجمة إحسان عباس وزملائه، بيروت، ١٩٥٩م، ص٥؛ أبوعبيدة، **الخيل**، حيدر آباد، ١٣٥٨هـ.

(٣٤) **ديوان امرئ القيس**، تح. محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ٤١.

(٣٥) البطليوسي، **شرح الأشعار الستة** (شعر علقمة)، ١/٥٧٨.

(٣٦) أبوعلي المرزوقي، شرح المفضليات، مخطوط مصوّر عن نسخة برلين، ورقة ٤٩٢.

(٣٧) أبو عبيدة، **الخيل**، ١٣٦.

(٣٨) **ديوان جرير**، تح. د. نعمان أمين طه، دار المعارف بمصر، ٢/٨١٧؛ السيوطي، **المزهر**، ١/١٨٠.

(٣٩) الجاحظ، **الحيوان**، تح. عبدالسلام محمد هارون، بيروت، ١٩٦٩م، ٦/١٣٢؛ **ديوان عبيد بن الأبرص**، تح. د. حسين نصار، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٣٤-٣٦.

(٤٠) ابن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ١/٩٢؛ **ديوان أوس بن حجر**، تح. د. محمد يوسف نجم، بيروت، ١٩٦٠م، ص١٥-١٦.

(٤١) ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ١/١٢٧.

(٤٢) ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، تح. محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٩٦-٩٧؛ ابن قتيبة، **المعاني الكبير**، الهند، ١٩٤٩م، ١٢٠؛ القالي، **الأمالي**، ٢/٢٥٠؛ غرنباوم، **دراسات في الأدب العربي** (شعر أبي دؤاد)، ص٢٨٨-٢٩٠.

(٤٣) أبوعبيدة، **الخيل**، ٨٣-٨٤؛ البطليوسي، **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**، تح. مصطفى السقا وحامد عبدالمجيد، بغداد، ١٩٩٠م، ٣/٩٤.

(٤٤) البطليوسي، **الاقتضاب**، ٣/٢٢٠.

(٤٥) ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ٢/٧٣٣؛ شرح ديوان زهير للأعلم، ١٦٣، تح. فخر الدين قباوة.

(٤٦) ابن الشجري، **الحماسة الشجرية**، تح. عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي، القسم الأول، ص٢٨؛ البطليوسي، **شرح الأشعار الستة** (شعر عنترة)، ٢/١١٠؛ الآمدي، **المؤتلف والمختلف**، تح. عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، ١٩٦١م، ص١٤٣؛ الجاحظ، **البرصان**، تح. عبدالسلام محمد هارون، بغداد، ١٩٨٢م، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٤٧) الحافظ اليغموري، **نور القبس**، تح. زلهايم، بيروت، ١٩٦٤م، ص١١٦؛ المرزباني، **معجم الشعراء**، تح. عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١١٠.

(٤٨) أبو محمد الأنباري، **شرح ديوان المفضليات**، تح. ليال، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٢٠م، ص٦٣٠.

(٤٩) القالي، **ذيل الأمالي**، ص١٨٢.

(٥٠) ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٧٢م، ١٠٥/٢.

**** محمد بن مناذر شاعر بصري، صحب الخليل بن أحمد وأبا عبيدة وأخذ عنهما اللغة، وصفه ياقوت الحموي في "**معجم الأدباء**"، ١٠٧/٧ بأنه (شاعر فصيح، متقدم في العلم باللغة إمام فيها، أخذ عنه كثير من اللغويين".

(٥١) أبو الطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ص٤١. (٥٢) المصدر نفسه، ص٤١.

(٥٣) الأصمعي، **فحولة الشعراء**، تح. خفاجي والزيني، القاهرة، ١٩٥٣م، ص٢٥؛ المرزباني، **الموشح**، تح. البجاوي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٣٣٣.

(٥٤) الأصمعي، **فحولة الشعراء**، ٢٦؛ المرزباني، **الموشح**، ١١٩.

(٥٥) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تح. أحمد محمد شاكر، بيروت، ١٩٦٤م، ١٨٢/١.

(٥٦) ابن الشجري، **مختارات شعراء العرب**، تح. البجاوي، القاهرة، ١٩٧٥م، القسم الأول، ص٣٩؛ **ديوان طرفة**، ١٣٢، تح. علي الجندي، دار الفكر العربي.

(٥٧) الأعلم الشنتمري، **شرح ديوان زهير**، تح. فخر الدين قباوة، بيروت، ١٩٨٠م، ص٩٤.

(٥٨) المصدر نفسه، ٩٧.

(٥٩) ثعلب، **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**، الدار القومية بمصر، ١٩٦٤م، ٣٦٨.

(٦٠) أبوجعفر النحاس، **شرح القصائد التسع**، ٧١١/٢. أخلّ به ديوانه (نشرة محمد محمد حسنين).

(٦١) البطليوسي، **شرح الأشعار الستة**، ٢٣/١.

(٦٢) المصدر نفسه، ٥٥/١-٥٦. (٦٣) أبوعبيدة، الخيل، ١٤.

(٦٤) **ديوان امرئ القيس**، تح. محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٣٩٨.

(٦٥) ثعلب، **شرح ديوان كعب بن زهير**، ٢٠٠.

(٦٦) المرزباني، **الموشح**، ١٩٨-١٩٩. (٦٧) المصدر نفسه، ٥٨.

(٦٨) البطليوسي، **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**، ٢/٨٨.

(٦٩) الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تح. د. مهدي المخزومي ود. وليد إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٨٠-١٩٨٥م، مادة (جعد)، ١/٢١٩؛ وفيه: (تكنى بأمّ الطلا)، البطليوسي، **الاقتضاب**، ٢/٨٨.

(٧٠) أبوبكر الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ١٧٥.

(٧١) أبوالطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ٤٦.

(٧٢) البطليوسي، **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**، ٢/٨٩.

(٧٣) أبوجعفر النحاس، **شرح القصائد التسع المشهورات**، ١/١٢٥.

(٧٤) أبوبكر الأنباري، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، ٨٧.

(٧٥) الفيروزآبادي،، **القاموس المحيط**، مادة (سمل)، ٣/٣٩٨.

(٧٦) أبوجعفر النحاس، **شرح القصائد التسع**، ١/١٤١.

(٧٧) أبوبكر الأنباري، **شرح القصائد السبع الطوال**، ٢٨. (٧٨) المصدر نفسه، ٤١.

(٧٩) أبوأحمد العسكري، **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، ٨٣.

(٨٠) أبوبكر الأنباري، **شرح القصائد السبع الطوال**، ٢٠٩.

(٨١) نفسه، ٢٥٢.

(٨٢) أبوجعفر النحاس، **شرح القصائد التسع**، ٢/٤٦٢.

(٨٣) المصدر نفسه، ٢/٧٦٠.

(٨٤) الصغاني، **العباب**، تح. الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد، ١٩٨١م، مادة (عكف) ص٤٥١.

(٨٥) البطليوسي، **شرح الأشعار الستة** (شعر عنترة)، ٢/٣١٥.

(٨٦) أبوجعفر النحاس، شرح القصائد التسع، ٢/٦٩٧.

(٨٧) المصدر نفسه، ٢/٦٨٨.

(٨٨) ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ١/٤٢، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ١٣٨، ٢/٣٦٥.

(٨٩) أبوأحمد العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ٧٣.

(٩٠) المصدر نفسه، ٨٢.

(٩١) نفسه، ٨٧.

***** هو كيسان بن معروف. لغويّ بصريّ، ذكره الزبيدي في **طبقات النحويين واللغويين**، ١٧٨-١٧٩.

(٩٢) العسكري، **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، ٨٤.

(٩٣) نفسه، ٨٦؛ والبيت في ديوان امرئ القيس من قصيدة مشهورة، ١٦٢.

(٩٤) أبوجعفر النحاس، **شرح القصائد التسع**، ٢/٧٢٤.

(٩٥) الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، مادة (حط)، ٣/١٨؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ٣/٣٥٤. الذي في مطبوع العين: الحور من العلو. ولعل الصواب: الحَوْرُ من عُلُوٍّ.

(٩٦) الصغاني، **العباب**، حرف الطاء، مادة (حط) ص٣٧. النحاس، **شرح القصائد التسع**، ٢/٧٢٣-٧٢٤، وقد أورد النحاس رواية أبي عمرو الشيباني للبيت.

(٩٧) النحاس، شرح القصائد التسع، ٢/٧٢٤.

(٩٨) أبوأحمد العسكري، **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، ٨٥.

(٩٩) الصغاني، **العباب**، حرف الفاء مادة (صوف) ٣٦٢.

(١٠٠) الصغاني، **العباب**، حرف الفاء مادة (جف) ٦٣-٦٤.

(١٠١) الصغاني، **العباب**، حرف السين مادة (عنس) ٢٩٨، ورواية أبي عبيدة هي الرواية التي في ديوان الأعشى بتحقيق د. محمد محمد حسين، ص١٣١.

(١٠٢) أبو أحمد العسكري، **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، ١٠٦، وقد ورد بيت الراعي في **كتاب سيبويه**، ٢/٢١١، نشرة بولاق، برواية أبي عبيدة، وهو من قصيدة مشهورة للراعي النميري في ديوانه، ٤٨، نشرة القيسي وهلال ناجي، بغداد، ١٩٨٠م.

(١٠٣) أبو أحمد العسكري، **شرح ما يقع فيه من التصحيف والتحريف**، ٧٤.

(١٠٤) نفسه، ١٣٨.

(١٠٥) المبرّد، **الفاضل**، تحقيق الميمني، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٨٢٠.

(١٠٦) أبو محمد الأنباري، **شرح المفضليات**، تح. ليال، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م، ص٨٥٧.

(١٠٧) المصدر نفسه، ٨٧٠؛ **ديوان الهذليين**، ١/٣؛ نشرة دار الكتب.

الاصطلاحات اللغوية العربية في المعجم الأردي

بقلم: د. علي جميل السامرائي*

ظلت اللغة العربية أينما حلت وحيثما امتدت بها القرون قادرة على التأثير في اللغات التي تحتك بها لما لها من نظام لغوي قادرٍ على مواجهة أنواع الصراعاتِ اللغوية، فحينما رحلت إلى بقاع من المعمورة، وجدنا الأثر الواضح لهذه اللغة في اللغات الأصلية، وقد رسمت خارطة واضحة بدا تأثيرها واضحًا في مفاصل كثيرة في مستويات هذه اللغات، وخير مثال على هذا التأثير ما تركته العربية في اللغةِ الأردية التي استقطبت الناطقين بها حتى غدت لها موقعٌ على خارطةِ اللغاتِ في العالمِ يشار إليها إذ يتكلم بها ملايين الناس في الهند والباكستان(١) والتي أصبحت لغة باكستان الرسمية، فقد استعارت من العربيةُ الشيء الكثير وقربوا هذا في أكثر من بحث لها(٢) ولا ريب أنّ هذا الافتراض يعدُّ من أعظم مصادر نمو اللغات(٣) وقد كان كذلك في هذه اللغة فقد شمل تأثيرُ العربية في أهم مفصل من مفاصل اللغات ذلك هو افتراض الاصطلاح، إذ يمثل الاصطلاح أداة من أدوات التفكير، كما أنه وسيلة من وسائل التواصل والتفاهم بين المجموعة البشرية عامة أو في الأقل بين طبقة أو فئة خاصة في مجال محدود من مجالات المعرفة(٤) أو أنه العرف الخاص(٥) وهذا الاصطلاح بالضرورة قد استقى

مادته من المعنى المعجمي، وقد تجاوز فيه المعنى اللغوي، لأنّ المعنى المعجمي عامّ يحتمل في معظمِ حالاتهِ أكثرَ من جهة وصفة على حين أنّ المعنى الاصطلاحي استعمالي لأنه أكثر دقة وتخصصًا[٦].

ومع الحاجة الملحة التي أوجدها التطور الهائل في شؤون المعرفةِ الإنسانية نشأ المصطلحُ للتعبير عن هذا الانفجار المعرفي. إذ الغاية منه هي البحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبّر عنها[٧]، ومع نشوء هذا العلم ووضع ضوابطه ومناهج دراسته[٨]، إلا أنّ المصطلح يظل قضيّة يثار حولها النقاش والجدلُ، مع أن لكل صناعة ألفاظًا قد حصلت لأهلها بعد امتهان سواها فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة[٩] وقد استعمل المعجم الأردي كلمة (اصطلاحات) بمعنى صيغ فنية، أو عبارات اصطلاحية أو أقوال حكمية أو ألفاظ علمية، أو قول مأثور أو معنى تقليدي[١٠]. هذا الفهم العام لمعنى الاصطلاح وجدناه على صفحات المعجم الأردي حيث انتقلت المفردة العربية إلى هذه البيئة الجديدة ضامّةً المعنى اللغوي الأصيل فيها والمعنى الاصطلاحي فضلاً عما أُضيف إليها من المعاني الجديدة. هذا النهجُ في الاستعمال جاء مشفوعًا بالمعنى الاصطلاحي وقد ظهر واضحًا في فهم مدلول المصطلح عند أهل هذه اللغة مما جعلهم ينسبون هذا الاصطلاح إلى أهل هذه الصنعة كاللغوي والنحوي والصرفي والبلاغي والفقهي والفقيه[١١]؛ ففي مادة (نحو) ذكر هذا المعجم أكثر من سبعة عشر معنى لغويًّا منها: الطريق، السبيل، الناحية، النقطة، الاتجاه، الوجهة، النــزع، العادة، الصيغة، الشكل، الزي، النمط...

ثم أردف الاصطلاح ليضع له مصطلحًا شائعًا هو "الإعراب" وهو بناء جملة، أو تركيب كلمات الجملة في أشكالها وعلاقاتها الصحيحة أو علامات الإعراب وفوق هذا كلهِ فقد وسع دائرة الاصطلاح هذا ليضمّ إليه "علمَ الصرف أو التصرف" كما أطلق عليه[١٢] وهذا التوسع في مفهوم النحو قد عرفته العربية[١٣]، غير أنه في "حد الصرف" ذكر جملة معان لغوية زادت على ستة عشر معنى، منها الثمن والكلفة، والتحريك والتغير، والتبديل، غير أنه في هذا الاصطلاح جعل له ميدانًا آخر وهو دراسة أصل الكلمات وتاريخها، وما له صلةٌ بالقواعد وأصولِ الكلمة وتصريف الأفعال ووضعه في دائرة تضمّ العلمين معًا هي (Grammer)[١٤] أمّا اصطلاحه (النحويّ) فهو فهمٌ تعليميّ حديث إذ أطلقه على الذي يقوم بتدريس القواعد وهكذا هي الاصطلاحات ولكثرة ما استقرينا منها أمكن أن نصنِّفها على النحو الآتي:

(١) اصطلاحاتٌ تتعلقُ بالنظام الصوتي.
(٢) اصطلاحاتٌ تتعلقُ بالبنيةَ.
(٣) اصطلاحاتُ النظامِ التركيبي وما يجري من جراء التركيب.
(٤) اصطلاحات تتعلق بظواهرَ لغويةَ.
(٥) اصطلاحات خاصةٌ بعلم الإملاء العربي.
(٦) اصطلاحاتٌ عامةٌ.

(١) وفي الاصطلاحات المتعلقة بالمجال الصوتي فقد اخترنا منها اصطلاح:

(أ) "غُنّة" والغنّة صفة لازمة للنون والميم تحركتا أو سكنتا، ظاهرتين أو مخفيتين أو مدغمتين، وللتنوين كذلك وقد توسع العرب فيها كثيرًا[١٥].

(ب) مُخرَج وجمعها مخارج وهو الموضع أو الحيّز الذي يُنتج فيه الصوت[١٦].
(ج) الإدغام وهو تشديد الحرف، أو ضم الحرفين المتشابهين، أو الخلط[١٧].
(د) حرف ترديد: غير رابط، حرف عطف[١٨].

(٢) ومن الاصطلاحات المتعلقة ببنية المفردة نذكر منها:

التعليل ومراده: إبدال حروف العلة، والمصطلح الشائع هو الإعلال[١٩].

الإلحاق واللواحق وهو: الضم أو الربط أو الإضافة وهو عند الصرفيين: إضافة لإلحاق بوزن آخر[٢٠].

(٣) اصطلاحات النظام التركيبي:

يكاد المعجم أن يكون قد أتى على معظم الاصطلاحات الأساسية المستعملة في هذا المجال فبعد أن يذكر المعاني للمادة يشير صراحة إلى جانب الاصطلاح فيها حيث يذكر أنها "نحو" بمعناه الواسع الذي ينضوي تحت مصطلح (Grammer).

إنّ هذا الاستقراء لهذا الجانب قد هيأ للباحث مجالاً في أن يوجد مبادئ مشتركة يمكن من خلالها تبويب هذه الاصطلاحات ومنها:

(أ) ذكر أكثر من مصطلح يبدو مترادفًا أو هو كذلك، فقد ذكر "المبتدأ والخبر" وعبّر عنه بما وجده في لغة العرب في أثناء ذكره مصطلح "المسند والمسند إليه" فقد ذكر عنه كما ذكر في المبتدأ والخبر[٢١]. وقد استخدم سيبويه هذين الاصطلاحين بقوله "فالمبتدأ الأول والمبنى ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه"[٢٢].

(ب) محاولة الاستقصاء للحدود التي تحمل دلالة تختلف في الحرف أو في النوع كما في:

ذكر، اصطلاحات، المفاعيل، المفعول، المفعول له، المفعول معه، المفعول به، مفعول ثاني ذكر أنه مفعول به غير مباشر[٢٣].

وفي ذِكره للحَرْف، ذكر أنواعًا من الحروف واتسع مفهومه في هذه اللغة ليشمل:

حرف تشبيه: ويعني شبه، وجه، شبه حال أو ظرف.

حرف تكبير: أداة النكرة في العربية.

حرف جر: المعروف بجره الاسم.

حرف شرط: وهو أداة الشرط.

حرف علة: أصوات اللين الطويلة، أو العلة، الألف، والواو والياء.

حرف نداء: هو المعروف في النحو العربي فضلاً عن أخذه معنى (الصوت) و(تعجب).

حرف عطف وضم: لا يختلف مفهومه عن مفهومه في العربية.

حرف تعريف: أداة التعريف في اللغة العربية.

فضلاً عن: حروف التهجي، وحرف الترديد، وهو حرف العطف، والصلة، وعدم الرابط[٢٤] وهذه الاصطلاحات التي تحمل معنى الحرف ومفهومه الواسع في الفكر اللغوي العربي قد أطّر "بما دلّ على معنى في غيره"[٢٥] كما أنّ اصطلاح الحرف قد استعمل بمعان مختلفة منها الكلمة والصوت، هذا المفهوم العام نجد صداه في المعجم الأردي.

وفي مفهوم ((الفعل)) ذكرت اصطلاحات كثيرة حيث نظر إلى الاصطلاح من جوانب الوظيفة والزمن والشكل، وقد عبر الفكر النحوي العربي عنه خير تعبير ليضم هذه الاصطلاحات بكلمات دالات وهو ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة في عرف النحاة[٢٦] وهنا جاء التأثر واضحًا في استعمال المعجم الأردي اصطلاحات على نحو:

المتعدّي واللازم: فالفعل اللازم فسّر على أنه غير متعدٍّ.

وفعل متعدٍّ: معناه فعل غير لازم.

وفعل مجهول: فعل في صيغة المبني للمجهول.

فعل ناقص: فعل ناقص في عرف النحاة العرب.

فعل معروف: فعل في صيغة المبني للمعلوم[٢٧].

أمّا من حيث الزمن فقد وردت جملة صالحة من الاصطلاحات قد أخذت مفاهيم محددة منها:

ماضي: أي صيغة الماضي.

ماضي استمراري.

ماضي ناقص: أي ناقص غير تام.

ماضي بعيد: بمعنى ماض تام.

ماضي قريب: بمعنى المضارع التام.

ماضي مطلق: أي غير محدد، تنكيري غامض[٢٨].

أمّا اصطلاح الأمر فقد عبّر عنه الأمر في النحو يعني: صيغته الأمر[٢٩].

ولاصطلاح الاسم نصيب كبير على صفحات هذا المعجم، فقد توسع في مفهومه بدءاً بالمعنى العام للاسم في علم النحو العربي؛ إذ هو في كلمات

قلائل: "كلمة تدل على نفسها من غير اقترانها بزمن"[٣٠] فقد ذكر اصطلاح مكثف تعمل مفرداته تراكمًا دلاليًّا انضوت تحته اصطلاحات كثيرة ذات معان مختلفة، فلكل اصطلاح حد يعرف به يميزه من غيره، يقع في دائرة لا يقع فيها مع غيره، يعرفه الدارسون ويعرفون حدوده، وهذا الأمر استوعبته الأردية من خلال هذا التفصيل الدقيق لكل اصطلاح فهو وإنْ حمل اصطلاح "اسم" إلاّ أنّ تركيبه مع مفردة أخرى دالة على حد معين أو عدم تركيبه، تجعل الدارس لهذه الاصطلاحات يطمئن إلى أنّ الفكر النحوي واللغوي العربي لم يشوه أو يبتر أو يغيّر عند انتقاله إلى ديار هذه اللغة وهذا ما سنراه في هذا التفصيل الدقيق لاصطلاحات الاسم وما ينضوي تحته:

اسم جامد: ومعناه الاسم الذي لا ينصرف[٣١].

اسم حالية: ذكر انه في النحو اسم الحال[٣٢].

اسم صفت: اسم الصفة[٣٣].

اسم ضمير: في النحو "الضمير"[٣٤].

اسم فاعل: اسم الفاعل[٣٥].

اسم معرفة: في النحو "المعرفة"[٣٦].

اسم مفعول: في النحو "اسم المفعول"[٣٧].

اسم موصول: الاسم الموصول[٣٨].

اسم نكرة: النكرة.

اسم استفهام، اسم إشارة، اسم تفضيل، اسم المفاضلة من أفعل، مع استعماله الجموع: أسماء الاستفهام، أسماء الإشارة[٣٩].

ومن الملاحظ أنّ مع الاسم قد وردت اصطلاحات (جامد، حال، صفة ضمير، فاعل معرفة، مفعول، موصول، نكرة) وكلها قد وردت في أماكن أخرى مجردة من "اسم" فكانت دلالاتها وحدها الاصطلاحي هي الحدود نفسها التي ذكرت في مؤلفات العربيّة.

وهناك طريقة أخرى في نقل المصطلح العربي إلى هذه اللغة تمتاز بالحرفية والنصيّة في المصطلح من غير زيادة أو توسع أو تفصيل أو إلحاق في صدر أو عجز في نحو: صفة وموصوف[٤٠]، ظرف زمان وظرف مكان[٤١]، مضاف، ومضاف إليه[٤٢]، عطف والمعطوف والمعطوف عليه[٤٣]...

وفي مجال اصطلاح التركيب ظهرت اصطلاحات منها:

الجملة والجمل بفحواها العربي، واستعمال اصطلاح "جملة معترضة" وقد فسرت بكونها: عبارة أو جملة تضاف لخلق تأثير في الجملة[٤٤].

(٤) اصطلاحات تتعلق بظواهر لغوية:

اشتقاق: وهو اشتقاق لفظة من لفظة أخرى[٤٥].

دخيل: كلمة دخيل[٤٦] وقد تناولته كتب العربية بأسماء مختلفة منها المعرّب والدخيل...

قياس: قياس المثيل في المنطق، تشابه أو تشابه جزئي، والقياس المنطقي[٤٧]... والقياس واحد من الأصول وعامل من عوامل نمو اللغات أخذت به المدارس النحوية وسيطر على الدرس النحوي سيطرة مطلقة في جوانب منه:

تضاد: التناقض، المغايرة، النقيض[٤٨]، وهو دلالة الكلمة على معنى وضده

لهجة: من معانيها النغمة، والصوت، واللحن، والقول[٤٩]، وفي عرف المحدثين: "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة[٥٠]...

وقد أضاف المعجم الأردي معنى آخر هو اللسان.

(٥) اصطلاحات خاصة بـ((علم الإملاء العربي)):

تكررت جملة طيّبة من هذا النوع الذي عرفته العربية وعدّته جزءًا من نظامها نذكر منها:

- ☐ أبجد، أبجدية[٥١]: هو نظام حروف الألفباء العربية حيث وضعت له في الأصل، إذ إنّ تنظيم الحروف أبجديًا يعطيها قيمة عددية..
- ☐ حروف تهجي[٥٢]: وهي حروف الألفبائية.
- ☐ الألف با[٥٣]: الحروف الأبجدية وهو العلامة الكتابية التي تستعمل في أية لغة للدلالة على أصوات معينة.
- ☐ تشديد (ـّ)[٥٤]: وضع علامة الشدة (ـّ) فوق الحرف إيذانًا بأنهما حرفان، وقد رسمت نفس العلامة العربية في المعجم الأردي وقد ترجمت بالإنكليزية: (double letter).
- ☐ حركة، حركات[٥٥]: وهي المعروفة من فتحة وكسرة وضمة... وما لها من أثر في الدلالة في العربية الفصحى.
- ☐ تنوين[٥٦]: نون ساكنة زائدة تلحق أواخر الأسماء لفظًا وتفارقها خطًّا ووقعًا وتكتب بصورة الحركة المرسومة على آخر الاسم وهو ثلاثة أنواع[٥٧].

(٦) **اصطلاحات عامة شائعة الاستعمال:**

ويمكن أن نصنّفها على نوعين: الأول خاصة بعلم من علوم العربية، والآخر فيما يستعمل من ألفاظ خاصة في علوم العربية وقد تستعمل في أكثر من فن فيها، ومنها:

- علم العروض[٥٨]: وهو علم نظم الشعر ومما يتعلق بهذا: ذكر اصطلاح "قافية"[٥٩]، وذكر بحر وبحور[٦٠]، وهي الأوزان الشعرية أو بحور الشعر العربي المعروفة.
- البلاغة[٦١]: علم البلاغة وممّا يتصل بهذا أفصح وفصيح: أبلغ، بلاغي[٦٢].
- أهل لسان[٦٣]: يعنى بهم علماء اللغة.
- أمثلة[٦٤]: تعني أمثلة وشواهد.
- تأويل[٦٥]: معناه يعيد السبك أو الصياغة، يفسر قولاً.
- تلخيص[٦٦]: ويعني اختزال، اختصار.
- تصحيح[٦٧]: تعديل، تنقيح، تحسين.
- باب[٦٨]: فصل أو كتاب، عنوان، موضوع...
- حذف[٦٩]: ويعني إسقاط، حذف الحرف أو المقطع من الكلمة.
- فصل، فصول[٧٠]: من معانيها فصل من كتاب أو فرع...
- سليقة[٧١]: منهجي، نظامي.
- صيغة[٧٢]: شكل، أو صورة.
- صواب[٧٣]: من معانيها القول الصحيح والعمل الصحيح...

- قرائن جمع قرينة[٧٤]: ومن معانيها في هذا المعجم: الظرف أو الحالة وهي انسب المعاني إلى هذا الاصطلاح.
- لفظ[٧٥]: بمعناها الواسع: كلمة أو قول...

من هذا كله إجمالا يرى القارئ الفاضل والباحث المحقق أثر اللغة العربية في هذه اللغة، وكيف أمدتها بهذا الفيض من حقول المعرفة يغنى ويسعد به أبناؤها من غير مِنّة، فهي اللغة التي سجلت أرث حضارات الأمم خير تسجيل، ولا تزال رافدة لها.

الهوامش:

* أستاذ مساعد- قسم اللغة العربية- كلية التربية للبنات- جامعة بغداد - العراق

(١) ينظر: **تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية** ٢٤١-٢٤٢.

(٢) ينظر: بحثنا أثر اللغة العربية في المعجم الأردي، منشور في **دراسات إسلامية بيت الحكمة** العدد الحادي عشر ٢٠٠٢. وينظر في: منهجية المعجم الأردي، بحث منشور في **مجلة كلية العلوم الإسلامية**، جامعة بغداد.

(٣) ينظر: **أسس علم اللغة**، ١٥٦، **واللغة بين القومية والعالمية** ١١٥.

(٤) ينظر: **المصطلح النقدي في نقد الشعر** ٩.

(٥) ينظر **كشاف إصلاحات الفنون** ٢١٧/٤.

(٦) ينظر: **اللغة بين المعيارية والوصفية** ١٢.

(٧) **مقدمة في علم المصطلح**، ١٧-١٨.

(٨) ينظر: **إشكالية المصطلح في الخطاب اللغوي والنقدي** ٩٢.

(٩) **الحيوان** ٣٦٨/٣.

(١٠) ينظر: **المعجم الأردي** ٥٦.

(١١) ينظر: **المعجم الأردي** ٧٧٠، ٤٨١، ١٢٥، ٥٣٣.

(١٢) ينظر: **المعجم الأردي** ٧٧٠. وقابل بما ذكر في: **العين** ٣٠٢/٣ (نحو)، **لسان العرب** "نحا" في الأصل القصد نحو الشيء.

(١٣) ينظر: **الخصائص** ٣٤/١ **والاقتراح في علم أصول النحو** ٦.

(١٤) ينظر: **المعجم الأردي** ٤٨١.

(١٥) ينظر: **المعجم الأردي** ٥١٩ (وليس الغنّة إلاّ إطالة لصوت النون مع تردد موسيقي محبب فيها)، وينظر: **الأصوات اللغوية** ٧١، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ٢٢٠.

(١٦) ينظر: **المعجم الأردي** ٦٨٥ وقابل بما ذكر في الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ١٧٤، ٣١٣.

(١٧) ينظر: **المعجم الأردي** ٤١.

(١٨) ينظر: **المعجم الأردي** ٣١٢.

(١٩) ينظر: **المعجم الأردي** ٢١٨.

(٢٠) ينظر: **المعجم الأردي** ٦٩، ٦٥٢ وقابل بما ذكر في المفصل ٢١٨، **أوزان الفعل ومعانيها** ١٦٣، **دروس التصريف** ٧٠-٧٢، **تصريف الأفعال** ٥٩٨-٥٩٩ ضمن شرح ابن عقيل.

(٢١) ينظر: **المعجم الأردي** ٦٦٦، ٧٠٤.

(٢٢) ينظر: **الكتاب** ١٢٦/٢؛ **والمقتضب** ١٢٦/٤.

(٢٣) ينظر: **المعجم الأردي** ٧٢٠.

(٢٤) ينظر على التتالي: **المعجم الأردي** ٣١٢-٣١٣.

(٢٥) ينظر: **التفاحة في النحو** ١٤؛ **الحلل في إصلاح الخلل** ٧٤؛ **المفصل** ٢٨٣؛ **شرح الحدود النحوية** ٥١ وقابل بما ذكر عند المحدثين: دراسات في علم اللغة ٧٦.

(٢٦) ينظر: **التعريفات** ٥٢؛ **أسرار النحو** ٢٢٩؛ **الفصول الخمسون** ١٤؛ **المغني في النحو** ١٢٨، الفعل زمانه وأبنيته ١٥.

(٢٧) ينظر: **المعجم الأردي** ٥٣٢-٥٣٣.

(٢٨) نفس المرجع ٦٦١.

(٢٩) نفسه ٧٣.

(٣٠) ينظر: **الخلل في إصلاح الخلل** ٦٤؛ **دقائق التصريف** ٣٩٤؛ **التعريفات** ٢١؛ **شرح الحدود النحوية** ٤٦.

(٣١) ينظر: **المعجم الأردي** ٥٢، ٢٤٩.

(٣٢) نفس المرجع ٥٢.

(٣٣) نفسه ٥٢، ٤٨٢، ٨٠٢.

(٣٤) نفسه ٥٢، ٤٨٧.

(٣٥) نفسه ٥٢، ٥٢٢.

(٣٦) نفسه ٥٢، ٧١٥.

(٣٧) نفسه ٥٢، ٥٢٢، ٧٢٠.

(٣٨) نفسه ٥٢، ٧٤٧.

(٣٩) نفسه ٥٢.

(٤٠) نفسه ٤٨٢.

(٤١) نفسه ٤٩٥.

(٤٢) نفسه ٧١٠.

(٤٣) نفسه ٥٠٥، ٧٤٧.

(٤٤) نفسه ٢١٤.

(٤٥) نفسه ٥٣.

(٤٦) نفسه ٣٤٩.

(٤٧) نفسه ٥٢٥.

(٤٨) نفسه ٢١٧.

(٤٩) نفسه ٦٥٤.

(٥٠) **في اللهجات العربية** ١٦.

(٥١) ينظر: **المعجم الأردي** ٢٥.

(٥٢) نفس المرجع ٣١٣.

(٥٣) نفسه ١.

(٥٤) نفسه ٢١٥.

(٥٥) نفسه ٣١٣.

(٥٦) نفسه ٢٣٠.

(٥٧) ينظر: **دراسات في علم اللغة** ٧٦.

(٥٨) ينظر: **المعجم الأردي** ٥٠٨.

(٥٩) نفس المرجع ٥٣٨.

(٦٠) نفسه ١٠٨.

(٦١) نفسه ١٢٥.

(٦٢) نفسه ٦٢.

(٦٣) نفسه ٨٨.

(٦٤) نفسه ٧٣.

(٦٥) نفسه ٢٠٣.

(٦٦) نفسه ٢٢٥.

(٦٧) نفسه ٢١٦. (٦٨) نفسه ٩٣. (٦٩) نفسه ٣١٢.

(٧٠) نفسه ٥٣١. (٧١) نفسه ١٤٨. (٧٢) نفسه ٤٨٤.

(٧٣) نفسه ٤٨٣. (٧٤) نفسه ٥٤٣. (٧٥) نفسه ٦٤٨.

المصادر والمراجع:

- أسرار النحو، ابن كمال باشا، تحقيق أحمد حسن حامد، دار الفكر عمان (د.ت).
- أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا ١٩٧٣م.
- إشكالية المصطلح في الخطاب اللغوي والنقدي، د.إبراهيم أحمد ملحم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد الثالث والثلاثون، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعية المساجد للثقافة.
- الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.
- الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، دار المعارف، حلب، سوريا (د.ت).

- أوزان الأفعال ومعانيها، هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م.
- تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، د.محمد إسماعيل الندوي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.
- تصريف الأفعال، محمد محيي الدين عبد الحميد، ضمن شرح ابن عقيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- التعريفات، السيد الشريف الجرجاني، تحقيق د.أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م.
- التفاحة في النحو، النحاس، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٥م.
- الحلل في اصطلاح الخلل من كتاب الجمل، السيد البطليوسي، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.
- الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ط١ ١٩٣٨م.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت ط٢.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، ١٩٨٦م.
- دراسات في علم اللغة، د.كمال محمد بشر، دار المعارف مصر ١٩٧٣.
- دقائق التصريف، القاسم بن محمد المؤدب تحقيق د.أحمد ناجي القيسي، د.حاتم صالح الضامن، د.حسين تورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧م.
- شرح الحدود النحوية، للفاكهي دراسة وتحقيق د.زكي فهمي الآلوسي، بيت الحكمة بغداد (د.ت.).
- شرح شذوذ الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري مطبعة السعادة، مصر ط٦ ١٩٥٣م.
- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي ج٣ ١٩٨١م.
- الفصول الخمسون، يحيى بن معطي تحقيق محمود محمد الطناحي مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر (د.ت).

- الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٦م.
- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس ط٤ مطبعة الأنجلو المصرية.
- الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٧م.
- كشاف اصطلاحات الفنون، لمحمد التهانوي تحقيق لطفى عبد البديع، ج٤، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب (د.ت).
- لسان العرب، ابن منظور، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب بيروت.
- اللغة بين القومية والعالمية، د.إبراهيم أنيس دار المعارف في مصر (د.ت).
- اللغة بين المعيارية والوصفية، د.تمّام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م.
- المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض حمد القوزي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٩٨١م.
- المصطلح النقدي في نقد الشعر، إدريس ناقوري، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس، ليبيا، ط٢، ١٩٨٤م.
- المغني في النحو، لابن فلاح اليمني تقديم وتحقيق وتعبق د.عبد الرزاق أسعد السعدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٩م.
- المفصل في علم العربية، الزمخشري، بيروت، ط٢.
- المقتضب، للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، ج١، ٢ عالم الكتب ج٣،٤ مؤسسة دار التحرير (د.ت).
- مقدمة في علم المصطلح، د.علي القاسمي، الموسوعة الصغيرة، دائرة الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٥م.
- Al- Mawrid Al-Qareeb Munir, Dr.Rohi Baalabaki.
- Urdu- English Dictionary

از

ڈاکٹر مولوی عبد الحق

بَابَائی اُردُو)

المستدرك على بعض الدواوين المطبوعة
(٢)

بقلم: د. وليد بن محمد السراقبي*

- مطيع بن إياس:

قافية الحاء

قال[١]: [الطويل]

وما كنت أدري ما فواضل كفِّه ... على الناس حتَّى غَيَّبَتْهُ الصفائحُ

قافية القاف

قال[٢]: [المنسرح]

قد دلَّهتنـــي طويلةُ العُنُـــقِ ... وَحُبُّ طولِ الأعناقِ من خلُقي

- هدبة بن الخشرم العذري:

قافية الراء

قال[٣]: [البسيط]

لَتَجدعَنَّ أنوفٌ من انوفكمُ ... بني أميَّة إلا تقبلوا الغِيَرَا

- الهيثم بن الربيع (أبو حيَّة النميري):

قافية الراء

قال[٤]: [البسيط]

١- إنِّي رأيتُ وفي الأيام تجربةٌ ... للصبـــر عاقبةً محمـــودةَ الأثرِ

٢- وقلَّ من جَدَّ في أمرٍ يُحاوِلُهُ   واستصحبَ الصبرَ إلا فازَ بالظَّفرِ

- وضَّاح اليمن:

قافية الميم

قال(٥): [الطويل]

١- أيا نخلتَي وادي بوانـــة حَبَّذا   إذا نامَ حراسُ النخيل جناكما

٢- وحُسناكما زادا على كل بهجةٍ   وزاد على طيب الغناء غناكما

- يزيد بن عبيد السعدي (أبو وجزة السعدي):

قافية العين

قال(٦): [البسيط]

سلَّ الهـــوى ولباناتِ الفؤاد بها   والقلبُ شاكي الهوى من حبَّها شِكَعُ

- يوسف بن لؤلؤ الذهبي:

قافية الباء

قال(٧): [الرجز]

١- يا حسنَ جنَّاتٍ لنا بجلَّقٍ   وقد ثنتْ أغصانها ريحُ الصَّبا

٢- بكى لها غمامُها وزهرها   يضحك في أكمامه على الرُّبى

قافية الباء

قال(٨): [مخلَّع البسيط]

١- اللوز أشجارُه نَشاوى   تَميلُ أغصانُه الرطـــابُ

٢- مشبك زهره علينـــا   فظلُّه الرَّطب مستطاب

٣- ونحن من سكرنا نراه   كأنـــه فوقنـــا ضبـــابُ

قافية الزاي

وقال[٩]: [الطويل]

١- على روضة غنَّاء قد فَرَشَتْ لنا   على نَهرها المنساب من نسجها خزًّا
٢- موشَّعة قد نبَّت الطلُّ ذيلــها   وكف حواشيها وأكمامها دَرْزا
٣- بها ألفــاتٌ من غصون تمثّلتْ   كأنّ عليهــا من حمائمها حمــزا

قافية الميم

قال[١٠]: [السريع]

وبلبلُ الدَّوح فصيحٌ على الــ   أيكــة والشحرور تمتــامُ

قافية السين

وقال[١١]: [السريع]

١- انظر إلى اللوز تجدْ غُصْــنَه   أحْوى رشيق القــدِّ ميَّاسَهْ
٢- بزهـــره تعبث ريح الصَّبــا   وقَصْدُهــا تأخــذ أنفاسَــهْ

- ابن حيُّوس (محمد بن سلطان):

قافية الهمزة

قال[١٢]: [الطويل]

١- لنا إبلٌ غرٌّ يضيق بها الفضــا   ويفترّ عنها أرضهــا وسماؤها
٢- فمن دونها أن تستباح دماؤها   ومن دوننــا أن تُستذمَّ دماؤها
٣- حمىً وقرىً، فالموت دون مرامها   واهونُ خطبٍ يوم حقّ فناؤها

قافية الدال

وقال[١٣]: [الطويل]

بمدحٍ إذا ما ضاعَ في القوم نشره   فما النَّدُّ أهلٌ أن يكون له نِدُّ

- ابن الرومي (علي بن العباس):

قافية الباء

قال[١٤]: [المنسرح]

١- أترجَّة كالقضيب ناعمةٌ   ما شانها مُذْهبٌ بتذهيبِ

٢- حَلتْ بلـــونٍ لها ورائحةٍ   لـــون محب وريح محبوبِ

وقال[١٥]: [السريع]

١- وبركةٍ تزهو بنيلـــوفَرٍ   نسيمُها يشبه ريحَ الحبيـــبْ

٢- مفتّح الأجفان في يومهِ   حتى إذا الشمس دنت للمغيبْ

٣- أطبق جفنيه على عينه   وغاص في البركة خوف الرقيبْ

قافية الجيم

وقال[١٦]: [البسيط]

١- كأنَّ نرجسها والريح تلقحه   وقد غدتْ غضَّةً قضبانه الدّمجُ

٢- وصائف رقصتْ في عرس سيدها   وقت الزّفاف على هاماتها السرُجُ

وقال[١٧]: [الكامل]

١- وبنفسجٍ غضٍّ القطاف كأنّما   نثرت عليه محاسن الماذيـــجِ

٢- لا شيء يحكي غير زرقة أثمدٍ   أو دمعةٍ قَطَـــرَتْ على فيزوجِ

قافية الدال

قال[١٨]: [مجزوء الكامل]

١- اشربْ على ورق البنفـــ   ـــسج قبل تأنيب الحسودِ

٢- وكـــأنّمـــا أوراقـــه   آثـــار قَـــرْصٍ في خـــدودِ

قافية السين

قال(١٩): [البسيط]

١- وناظرٍ نحو عين الشمس يرمُقُها   حتَّى إذا غربتْ أغضى بتنكيسِ
٢- كأنــه ودروع المـــاء تشمله   تحت الشعـــاع أكاليل الطواويسِ

قافية العين

قال(٢٠): [مجزوء الخفيف]

١- والثريَّـــا كأنهـــا   في بـــروج المطـــالعِ
٢- كفّ خَوْدٍ تختَّمتْ   في رؤوس الأصابـــعِ

قافية القاف

قال(٢١): [الكامل]

قبِّل أناملَـــه فلسْنَ أناملاً   لكنّهنّ مفاتحُ الأرزاقِ

قافية الميم

قال(٢٢): [الوافر]

١- كأنَّ الرازقيَّ وقد تناهى   وتاهتْ بالعناقيـــد الكرومُ
٢- قوارير بماء الورد مـــلأى   تشـــقّ ، ولؤلؤ فيها يعـــومُ
٣- وتحسبُه من العسل المصفّى   إذا اختلفت عليك به الطعومُ
٤- فكل مجمَّـــع منه الثريّـــا   وكلّ مفـــرّق منه النجـــومُ

قافية اللام

قال(٢٣): [الطويل]

١- تصوغ لنا كفُّ الربيع حدائقاً   كعِقْد عقيقٍ بين سمط لآلي
٢- وفيهنّ نُوّار الشقائق قد حكى   خدود غوانٍ نقطت بغوالي

قافية النون

قال(٢٤): [الكامل]

١- قِشْرٌ من الذهب المصفّى حَشْوه   شَهْدٌ لذيذٌ طعمــه للجــاني

٢- فكأنما الأفلاك من طــرب بنا   نثرتْ كواكبها على الأغصانِ

قافية الهمزة

قال(٢٥): [الكامل]

١- والغصن فوق الماء تحت شقائقٍ   مثـــل الأســنَّة خُضِّـــبتْ بـــدماءِ

٢- كالصَّعْدة السمراء تحت الراية الـــ   حمـــراء ، فـــوق اللامة الخضـــراءِ

قافية الضاد

قال(٢٦): [الطويل]

١- أرى بارقاً بالأبرق الفرد يومضُ   يذهِّب أكفاف الدُّجى ويفضّضُ

٢- كأن سُلَيْمى من أعاليه أشرقتْ   تمـــدّ لنا كفًّا خضيبًـــا وتقبضُ

- ابن الساعاتي:

قافية القاف

قال(٢٧): [الرجز]

١- منـــزَّه أن يقتدى فكلّمـــا   أسدى يداً أبدع فيها وخَلَقْ

٢- يشبهه البدر وما أشـــبهه   بالبحر لولا المِلْح فيه والغَرَقْ

٣- كالليث في السطوة لولا قُبْحه   والغيثِ في أنوائه لولا اللثقْ

قافية اللام

قال(٢٨): [المتقارب]

١- لدى منـــزلٍ سابغٍ ظلُّه   بمنـــزل من أسبغ اللهُ ظلَّهْ

٢- أتانـــا بأقماره وانثنـــي   بهنَّ وقد صيـــغ منها أهلَّهْ

قافية الميم

قال[٢٩]:   [الطويل]

١- ويومٍ من اللذّات بكرٍ خطبته   فأصبحت من صِرْف المدام بأيِّمِ

٢- وكل قضيب كالقناة رشاقةً   تحامـــل من نوّاره تحت لهـــذمِ

- ابن سناء الملك:

قافية الدال

قال[٣٠]:   [الطويل]

حلا في ذراك العيش أو خلته لمى   ورقَّ إلى أنْ كِدْتُ أحسبه خضْدا

قافية العين

قال[٣١]:   [الوافر]

١- وساقيةٍ نزلتُ بها وإلفي   أودِّعـــه كتوديـــعِ المـــروعِ

٢- فصوت حنينها يحكي حنيني   وفيضُ دموعها يحكي دموعي

- ابن طباطبا:

قافية الباء

قال[٣٢]:   [المنسرح]

١- من لم يرَ البدر لم يرى عجباً   في ساعة التمِّ إذْ بدا طربا

٢- أسفر للشمس كي يلاحظَها   فما رآهـــا فعـــاد منتقبـــا

وقال[٣٣]:   [الخفيف]

١- أو ما تبصر السحابَ كخودٍ   أقبلتْ في ممسَّكات الثياب

٢- وكأنَّ البروق فيها تحاكي   لمعان السيوفِ عند الضّراب

– ابن قلاقس:

قافية الدال

قال[٣٤]: [مجزوء الكامل]

والشمس في وقت الأصيـــ ـــلِ بهارةٌ لُفّتْ بـــوردِ

قافية اللام

قال[٣٥]: [المتقارب]

١– أتانا الغـــلامُ ببطيخــــةٍ وسكّينة قد أجيدتْ صِقالا

٢– فقطّع بالبرق بدر الدّجى ونـــاوَلَ كُلٌّ هِلالٍ هِـــلالا

قافية النون

قال[٣٦]: [المتقارب]

١– كأنّ بأجياد عقد النخيل بخضر الملابس سمر الغواني

٢– قلائد منظـــومة من جمانٍ تميدُ غـــراقًا كما تنثنـــي

وقال[٣٧]: [الكامل]

وعصابةٍ مال الكرى برؤوسهم ميل الصَّبا بذوائب الأغصانِ

– ابن مخلاة الحمار:

قافية العين

قال[٣٨]: [الطويل]

ويومٍ ترى الرايات فيه كأنّها حوائم طير مستدير وواقعُ

قافية النون

قال[٣٩]: [الطويل]

لقد طار في الآفاق أنّ ابن بجدَلٍ حُمَيْداً شفى كلْباً فقرَّت عيونُها

قافية الهاء

قال[٤٠]: [الكامل]

جئتم من البلد البعيد نياطُه والشَّأم تنكرُ كهلها وفتاها

قافية الياء

قال[٤١]: [الطويل]

١- لعمري لقد أبقت وقيعة راهط على زُفَرٍ داء من الداء باقيـا
٢- تبكِّي على قتلى سُلَيْم وعامرٍ وذبيانَ معروراً وتبكي البواكيا

- ابن نباتة المصري:

قافية الراء

قال[٤٢]: [الطويل]

١- إذا حوَّمتْ فوق الجموع عقابُهُ تباشـر عقبانٌ بها ونسـورُ
٢- حواجل أو رُبْد الظهور قشاعم قوانصها للـدارعين قبـورُ

- أبو الشيص الأعمى:

قافية الباء

قال[٤٣]: [الكامل]

يسْعى بها خنِثٌ عليه لدينه سمتان: زُنَّار له وصليبُ

- أبو نواس (الحسن بن هانئ):

قافية الهمزة

قال[٤٤]:

وزنَّا الكأس فارغة وملأى فكان الوزن بينهما سواءَ

قال[45]: [البسيط]

١- حتى إذا الدهر أبقى من سلافتها جزءَ الحياة وقد ألوى بأجزاءِ

٢- دبَّت إليها من الأحداث ماسكةً أبلت، عوائدُ من أخبار تيماءِ

٣- لم يبق من شخصه إلا توهّمه فالشيء منها إذا استثبتَّ كاللاء

قافية الباء

قال[46]: [الطويل]

١- ومثل قتيل الزنج سالت دموعُهُ برائعة الأوصاف تنْشي وتطرِبُ

٢- قطعت قبيل الصبح عنه رباطه فأبـــرزها تختال واللونُ مُذْهبُ

وقال في وصف الفخ[47]: [الرجز]

١- ربَّ بُنيٍ للـــردى منصـــوب ضمَّ العـــروق عصب الظنبوبِ

٣- ينتزع الحبَّ مـــن القلـــوبِ لّما أتى العصفـــورُ من قريـــبِ

٥- لاحظـــه لحظـــةَ مســـتريبِ مُرَجِّمـــاً في الظـــن بـــالغيوبِ

٧- ثمَّ دعاه الحـــين للتكـــذيبِ بما ارتأى فيه مـــن الخطـــوبِ

٩- فرام لقط الحـــبِّ بالتقليـــبِ حتَّـــى إذا أمكـــنَ للوثـــوبِ

١١- هوت أكف ابن الردى المنصوبِ منـــه إلـــى جؤجئـــه النكيـــبِ

وقال في بازي[48]: [الرجز]

١- قد أغتدي والليلُ في حجابه بكُـــرَّزيٌّ صـــاد في شـــبابهِ

٣- بأحجن الكفِّ إذا افتلى به كأنَّ صوت الحلْق إذْ صأى بهِ

٥- تـــأوّه الشاكي لما أمسى به فانقضَّ كالجلمود إذْ رمـــى بهِ

٧- فقلب النيـــزك في انقلابـــه فما يزال خـــرب يشقى بـــهِ

٩- منتـــزع الفؤاد من حجابه ينـــزو وقد أثبت في إهـــابهِ

١١- مخالبًــا ينشبن من إنشابه   مثــل مدى الفرَّاء أو قصَّابــه

١٢- يخرُّ للأنف إذا كبابه

وقال في فَهْدة(٤٩):   [الرجز]

١- قد أغتدي والشمس في حجابها   مستورةٌ لم تبدُ من جلبابهـا

٣- لم يقطع الليل عــرا أطنابهـا   مثل الكعاب الرود في نقابهـا

٥- في فتية لا مَذْق في أحسـابها   معروفة بالفضــل في آدابهـا

٧- بفهدة بــورك في جَلاّبهـا   سُقياً لها وللذي غــدا بهـا

٩- راكبــةً تختــالُ في ركابهـا   كأنها بعض ليــوث غابهـا

١١- ترنو بعينٍ خلتُ في أثقابها   ضرام نارٍ طــار من لُهابهـا

١٣- كأنّما النمــرة في اغترابها   رَقْــم ديابيج علــى أثوابهـا

١٥- مُخْطفة الكشحين في اضطرابها   كأنها القنــاةُ في انتصـابها

١٧- والحيَّة الرقطاءُ في انسـيابها   وسرعة العُقــاب في انصبـابها

١٩- وتارة كالليث في وثوابهـا   معفيــة السائس من عتابــها

٢١- نزَّاهةٌ لنفسها عــن عابهـا   فأبصرتْ من حيث أمَّمنا بها

٢٣- عُفْر الظباء وهي في أسرابها   ترتــع في المرتــع من جَنَابها

٢٥- ثوانيَ الأجياد من رقابهـا   فأقبلــتْ تمرح في جذابهـا

٢٧- حتى إذا ما أكثرتْ رمى بها   فذهبتْ تنســلُّ في طلابــها

٢٩- تاكل وجه الأرض في ذهابها   فلو تــرى الفَهْدة في التهابها

٣١- وشدَّة الغلو إذا اغلولى بهـا   في نأيهـا عنــهنَّ واقترابهـا

٣٣- تكاد أن تخرج من إهابهـا   فالويلُ منهن لمَنْ يصلى بهـا

٣٥- إذ أدركتهنَّ بــلا إتعابهـا   فأقبلتْ حطماً على أصــلابها

٣٧- وعرَّ ضتهنَّ على عــذاها بين شبــا مخلبها ونابـــها

٣٩- يا حسنَ هنانة في احتضاها من صائك الأوداج وانشخاها

٤١- فلو تراها وهي في انكباها من هسها للحم واســتلاها

٤٣- كلٌّ يفدِّيهــا لدى إيابــها ولــذَّةٍ ونعمــةٍ نغنى بــها

٤٥- بيــن قدور حمَّةٍ نؤتــى ها وبيــن خاميــزٍ ومن كَباهــا

٤٧- عطية من ربِّنا وهَّاها

قافية التاء

قال[٥٠]: [البسيط]

١- غطَّت يد الماء ثوبيها فحسَّر عن جسمٍ من النور في تمثال مبهوتِ

٢- كأنما كتبتْ أيدي المــزاج ها سطرين من لؤلؤ في رقٍّ ياقــوتِ

وقال في طير الماء الشاهين[٥١]: [الرجز]

١- يا ربَّ وادٍ زاهرِ النبــاتِ هــوي إليه الطيرُ زاهــراتِ

٣- أغنجةً خضراً مطوَّســاتِ ببلّــق الــريش مولّــعاتِ

٥- صفرَ الحماليق مقرَّطــاتِ أقرطــةً تضحك في اللّبــاتِ

٧- بفاخر الوشــي مُرَدِّيــاتِ وبالدبابيــج موشَّحــــاتِ

٩- صوامتاً طوراً وصــارخاتِ ملحّنــــاتٍ ومرجِّعــــاتِ

١١- بواكياً يُسعدْن باكيــاتِ لم يشجهنَّ عــدمُ الأمــواتِ

١٣- باكرها بصادق الكرَّاتِ على الشمــال حسن الثبــاتِ

١٥- فمرَّ نحو الطير ذا التفاتِ يحفــزهُ قلبٌ لــه مــــواتِ

١٧- يمنحها مّشْقاً على السَّراتِ ضربَ أخي الضبطاب للكراتِ

١٩- فكلهــنَّ لافظ الحبَّــاتِ لمــَّا تــوافيــن من الميقــاتِ

قافية الجيم

وقال في بازي[52]: [الرجز]

١- قد أغتدي والليل في الدياجي قبل طلوع الفجر بانبلاج
٣- وكُرَّز عام جاء من منهاج ألبسه وشيًا بلا نسَّاج
٥- منقّط ناظره بزاج تخاله ينظر من سراج
٧- ومنسرٍ يشرف باعوجاج تخاله صُدْغًا على مغناج
٩- زرفنه إذ قام للمزاج في وجنة تبرقُ مثل العاج
١١- حللت سَيْريه كفعل الرَّاجي ثمّ دعوت دعوة المناجي
١٣- فمرَّ كالبرق بلا انعراج فصاد خمسين من الدّرّاج

قافية الحاء

وقال[53]: [الكامل]

١- بُنيت على قدْرٍ ولاءم بينها طبقانِ من قيرٍ ومن ألواح
٢- فكأنها والماء ينطحُ صدرها والخيزرانة في يدِ الملاّح
٣- جَوْنٌ من العقبان تبتدر الدجى تهوي بصوت واصطفاق جناح

وقال[54]: [المديد]

١- هات باليسرى فقد عجزتْ راحتي اليُمْنى عن القدح
٢- أرعشتها بعد شدّتها سطوة الإبريق للصبح

قافية الراء

وقال[55]: [مخلّع البسيط]

١- بنتٌ من الليالي [....] كبيرة شاها كبارُ
٢- تخيرت والنجوم وقف لم يتمكّن بها المدارُ

وقال[٥٦]: [الطويل]

تعاطيكهـــا كفٌّ كأنَّ بنانَها إذا اعترضتها العَيْن صفٌّ مداري

وقال[٥٧]: [المديد]

أرعشتني الخمرُ من إدمانها ولقد أرعشـــت من كبرِ

وقال[٥٨]: [الكامل]

لو لم يكن في شربها من راحةٍ إلا التخلّـــص من يد الغيرِ

قافية الزاي

وقال[٥٩]: [الرجز]

١- سبتٌ ونوروز ورام وروز والورد قد حلي بمرمـــاحوز

٢- اشربْ سقاك الله صرفاً قهوةً بالكأس والجامات بعد الكوز

قافية السين

وقال[٦٠]: [السريع]

١- صبَّحتها في جوف قنينةٍ كالكوكب الدريِّ في الحِنْدسِ

٢- تلك التي هام فـــؤادي بها لا زلت منهـــا عامر المجلسِ

قافية القاف

قال في الإوز[٦١]: [الرجز]

سودُ المآقي صُفُر الحمالقِ

كأنما يصفرْن من ملاعقِ

صرصرة الأقلام في المهارقِ

- أبو الحسن العقيلي:

قافية الجيم

قال[٦٢]: [البسيط]

١- تاه الربيع بآذريونه وزها لما بـــدا منه نَشْرٌ في الربا أرجُ

٢- كأنّ أغصانه فيروزجٌ بهجٌ من فوقه ذهبٌ في وسطه سَبَجُ

قافية الراء

قال[٦٣]: [المنسرح]

١- قم نصطبح تحت رفرف السَّحَرِ على عنـــاءٍ يحـــثّ بالوتـــرِ

٢- فإن دجـــن الغمام ينثر في ديباجـــة الروض زئبر المطـــرِ

الهوامش:

* حمص، سوريا.

(١) البيت في شرح **مقصورة ابن دريد**: ٣٧٤.

(٢) البيت في **البرصان والعرجان**: ٢١٨؛ **والحيوان**: ٥/٦٣.

(٣) البيت في **غريب الحديث**: ١٦٩، **واللسان** (غير) ونسب فيه إلى بعض بني عذرة، وهو في **تاريخ مدينة دمشق** (عثمان بن عفّان: ٣٦٥) منسوبًا إلى هدبة.

(٤) البيتان في **حماسة النجفي**: ق١٠٢/و.

(٥) البيتان في **معجم البلدان**: ١/٥٠٦ (بوانة)، وليسا في **ديوان وضاح اليمن**، تح. د. حنـــا جميل حداد، والدكتور محمد خير البقاعي. بوانة:موضع بين بلاد الشام وديار بني عامر. **معجم ما استعجم**: ١٢٣٦.

(٦) **البيت في غريب الحديث** لابن قتيبة: ٢/٥٤٩. الشكع: الكثير الأنين.

(٧) الأبيات في **الكشف والتنبيه**: ٣٠٢.

(٨) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٢٦٤. (٩) الأبيات في **الكشف والتنبيه**: ٤١٥.

(١٠) البيت في **الكشف والتنبيه**: ٤٠٥. الموشعة: جعل حولها شجر وشوك منعًا للداخلين.

(١١) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣٠٣. الأحوى: الأسود الضارب إلى الخضرة.

(١٢) البيت في **الأفضليات**: ١٥٩. تستذمّ: تذم.

(١٣) البيت في **الأفضليات**: ١١٣. الندُّ: الطيب.

(١٤) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣٤٩.

(١٥) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣١٠، وهي بلا نسبة في **نهاية الأرب**: ٢٢٤/١١.

(١٦) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٢٧٦.

(١٧) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣٠٦.

(١٨) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣٠٦.

(١٩) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣٠٩، وبلا نسبة في **نهاية الأرب**: ٢٢٥/١١.

(٢٠) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ١٨٠.

(٢١) البيت في **الأفضليات**: ١٦٢.

(٢٢) الأبيات في **الكشف والتنبيه**: ٣٧٥. وهي له في **غرائب التنبيهات**: ١٠٨، **ومباهج الفكر**: ٣٨٧ – ٣٨٨، **ونهاية الأرب** ١٥١/١١-١٥٢.

(٢٣) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣٣٩؛ **ونهاية الأرب**: ٢٨٢/١١.

(٢٤) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣٥٤؛ **ونهاية الأرب**: ٢٨٢/١١.

(٢٥) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣٣٨.

(٢٦) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٢٤٠، وفي **مباهج الفكر**، ورقة ٨٤ (نقلاً عن **الكشف والتنبيه** ٢٤٠، وفي **نهاية الأرب**: ١٥/١، ونسبا إلى الدقاق البلنسي، وهو تصحيف.

(٢٧) الأبيات في **الكشف والتنبيه**: ٨٧-٨٨. اللثق: الطين اللزج.

(٢٨) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣٦٠.

(٢٩) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ١٢٥.

(٣٠) البيت في **الكشف والتنبيه**: ١٢٢.

(٣١) **الكشف والتنبيه**: ١٣٩.

(٣٢) **الكشف والتنبيه**: ١٩٥.

(٣٣) **الكشف والتنبيه**: ٢٣٥.

(٣٤) **الكشف والتنبيه**: ٢١٩.

(٣٥) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣٥٩، ونسبا في **غرائب التنبيهات** إلى ابن الرومي، وهما في **نهاية الأرب**: ٣٤/١١ بلا نسبة.

(٣٦) البيتان في **الكشف والتنبيه**: ٣٦٤، وهما مختلفا الروي.

(٣٧) البيت في **الكشف والتنبيه**: ٩٨.

(٣٨) البيت في **ديوان الحماسة**: ١٨٢، و**شرح الحماسة** ٢/٩٨-٩٩، و**الأغاني** ١٤١/١٩، وشعر عمرو بن مخلاة، مجلة **العرب**، ج ٧-٨ سنة ٣٧ ، ٢٠٠٢م، ص ٣٧٤. والبيت غير موجود في **شعر قبيلة كلب**، صنعة الأستاذ أحمد محمّد عبيد، طبعة المجمّع الثقافي، أبو ظبي.

(٣٩) البيت في **الأغاني**: ١٨٩/٢٣.

(٤٠) البيت في **لسان العرب** (شأم)، ومجموعه الشعري، ص ٣٧٧، مجلة **العرب**، ج ٧، ٨، السنة ٣٧، ٢٠٠٢م.

(٤١) الأبيات في **الأغاني** ١٤١/١٩، ويرويان لجوّاس بن قعطل في **تاريخ الطبري** ٥٤٢/٥، و**المؤتلف والمختلف**: ٩٩.

(٤٢) البيتان في **الأفضليات**: ٩٢. الرَّبدْ: المغبّرة. القشاعم: جمع قشعم، وهو المسنّ من الرجال والنسور. القوانص للطير: كالمصارين لغيرها.

(٤٣) البيت في **فصول التماثيل**: ١٤١-١٤٢.

(٤٤) البيت في **الكشف والتنبيه**: ١٢٠.

(٤٥) الأبيات غير موجودة في **ديوان أبي نواس**، وهي في فصول التماثيل: ٢١١، ٣٠٨. وأوردها فاغنر في **ديوان الحسين بن الضحّاك**: ٢٦-٢٨ ضمن نقائضه مع الشعراء.

(٤٦) البيتان في **فصول التماثيل**: ١٢٢.

(٤٧) الرجز غير موجود في **ديوان أبي نواس**، وهو في كتاب **الأنوار** ٢/ ٢٨٨-٢٨٩. بُـنيّ: تصغير بناء. الظنبوب: عظم الساق. الحَيْن: الهلاك. الجؤجؤ: الصدر. النكيب: المنكوب.

(٤٨) الرجز في كتاب **الأنوار** ٢/١٨٠-١٨١. الكرَّزي: الصقر والبازي. الأحجن: ذو مخالب معقوفة. افتلى به: بحث فيه وفتش. صأى: صاح. النيزك: الرمح القصير.

(٤٩) الكُعاب: الجارية التي نهد ثديها. المذق: التخليط وعدم النقاء. الدَّيابيج: جمع ديباج، وهي النقوش. العُفْر: جمع عفراء، وهي التي يعلو بياضها حمرة. اغلولى النبت: ارتفع. الشبا: الحدّ. النهس: أخذ اللحم بمقدّم الأسنان. الخاميز: المرق المصفّى من الدهن، أعجمي. الأبيات ٢/١٥٥-١٥٨.

(٥٠) البيتان في **فصول التماثيل**: ١٦٦.

(٥١) الرجز في **الأنوار**: ٢/٢١٩-٢٢٠.

(٥٢) الرجز في **الأنوار** ٢/ ١٧٣-١٧٤. الكرّز: الصقر أو النسر. الصُدغ: ما بين العين والأذن، والشعر المتلي على هذا الموضع، والمراد هنا تشبيه منقار النسر. زرفنه: زرف في الكلام، زاد فيه.

(٥٣) الأبيات في **الأنوار**: ٢/٢٨؛ **والمصون**: ٥٤؛ **والحماسة الشجرية**: ٢٧٣؛ **ورغبة الآمل**: ٧/٥٣.

(٥٤) البيتان في **فصول التماثيل**: ٢١٠-٢١١.

(٥٥) البيتان في **فصول التماثيل**: ٨٤.

(٥٦) **الكشف والتنبيه**: ٩٧.

(٥٧) البيت في **فصول التماثيل**: ٢١٠.

(٥٨) البيت في **فصول التماثيل**: ٥٠ .

(٥٩) البيتان في **فصول التماثيل**: ١٣٧.

(٦٠) البيتان في **فصول التماثيل**: ١١٩. الحندس: الليل المظلم.

(٦١) **الكشف والتنبيه** : ٤٢٥ .

(٦٢) البيتان في **الكشف والتنبيه** : ٢٣١ .

(٦٣) البيتان في **الكشف والتنبيه** : ٣٢٦ .

ثبت المصادر والمراجع:

١- الأشباه والنظائر: الخالديان، تح. السيد محمد يوسف، القاهرة، ١٩٥٨م.

٢- إصلاح المنطق، ابن السكيت، تح. أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.
٣- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
٤- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، مؤسسة عمر جمال الدين للطباعة والنشر، بيروت.
٥- الأفضليات: بن الصيرفي، تح. د. وليد قصاب ود. عبد العزيز المانع، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٢م.
٦- الأنوار في محاسن الأشعار، الشمشاطي، تح. د. السيد محمد يوسف، الكويت، مطبعة الحكومة، ١٩٧٧م.
٧- البرصان والعرجان: الجاحظ، تح. محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.
٨- تاريخ الرسل والملوك: الطبري، تح. محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.
٩- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر (الجزء الخاص بترجمة عثمان بن عفّان) تح. سكينة الشهابي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٤م.
١٠- الجيم، أبو عمرو الشيباني، تح. إبراهيم الأبياري، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٤م.
١١- الحيوان: الجاحظ، تح. عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٢- حماسة النجفي: عباس النجفي، مخطوطة مصوّرة بحوزتي، نسخة الظاهرية.
١٣- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: تح. محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
١٤- ديوان الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم: تحقيق ودراسة سعود عبيد الجاسم، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.
١٥- ديوان هدبة بن الخشرم العذري: تح: د. يحيى الجبوري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٦م.
١٦- ديوان المعاني: أبو هلال العسكري، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٣٢م.
١٧- روضة المحبين: ابن قيّم الجوزية، دار الوعي، حلب.
١٨- زهر الآداب: الحصري القيرواني، تح. علي البجاوي، القاهرة، ١٩٥٣م.
١٩- شرح ديوان الحماسة: الخطيب التبريزي، عالم الكتب، بيروت.
٢٠- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: أبو هلال العسكري، تح. السيد محمد يوسف، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٩م.

٢١-شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، طبعة مصوَّرة، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٢- غرائب التنبيهات: علي بن ظافر الأزدي، تح. د. محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
٢٣- غرر الخصائص الواضحة: برها الدين الوطواط، دار صعب، بيروت.
٢٤- غريب الحديث: ابن قتيبة، تح. د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.
٢٥- الفصوص: صاعد البغدادي، تح. عبدالهادي التازي سعود، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٩٩٤م.
٢٦- فصول التماثيل وتباشير السرور: عبد الله بن المعتز، تح. جورج قنازع وزميله، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٩م.
٢٧- الكشف والتنبيه: خليل بن أيبك الصفدي، تح. هلال ناجي ووليد الحسين، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة، بريطانيا، ط ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٨- المحب والمحبوب: السري الرفاء، تح. المرحوم مصباح غلاونجي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦م.
٢٩- المراثي: اليزيدي، تح. نبيل طريفي، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.
٣٠- لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف، القاهرة.
٣١- نضرة الإغريض في نصرة القريض: المظفر بن المفضل العلوي، تح. د. نهى عارف الحسن، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٦م.
٣٢- نهاية الأرب: النويري، تح. مجموعة من المحققين، دار الكتب المصرية والهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.
٣٣- وضح البرهان في مشكلات القرآن: بيان الدين النيسابوري، تح. صفوان عدنان الداودي، قدّم له مصطفى الجن، دار القلم، دمشق، ١٩٩٠م.

المجلات:

- مجلة "**العرب**"، السنة ٣٧، ج٧ و٨، ٢٠٠٢م.
- مجلة معهد المخطوطات العربية، مج. ٣٠، ج٢، ١٩٨٦م.

حول كتاب "المعجم الجغرافي: شمال المملكة"

ورد إلى "**العرب**" من الأستاذ عايد بن ريشود عايد الحصيني الحازمي، من مدينة عرعر، ما يلي:

لقد استدركت في هذا العمل بعض الأماكن الجغرافية بمنطقة عرعر (الحدود الشمالية) التي فات الشيخ حمد الجاسر –رحمه الله– ذكرها في كتابه "**المعجم الجغرافي: شمال المملكة**" بأجزائه الثلاثة، وقد رتّبتها وفق حروف المعجم وهي:

باب الألف (الهمزة)

أمّ خِنْصر (الخنصر) أيضًا[1]: قال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله[2]:

"موضع فيه منهل وقارة تدعى أمّ خِنْصر، وجبيل صغير يدعى حِمار أمّ خِنْصر، تقع شمال خط الأنابيب بجواره في أعلى وادي أبا القور (بقرب خط الدول ٣٥-٤١ وخط العرض ٤٥-٣٠) تابعة لمنطقة الحدود الشمالية، ويتبع هذا المركز من الأمكنة الخواضة وأمّ الضيّان والأمغر، وتبعد عن الدويد (٥٠) كيلاً شماله".

وهناك موضع آخر يعرف بـ(أمّ خِنْصر) لم يذكره الشيخ حمد الجاسر –رحمه الله– في المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة وهو: أمّ خنصر (الطوسية): خبراء من عدة خباري وهي:

١- الطوسية: أمّ خنصر.

٢- الطوسية: أمّ صداء.

٣- الطوسية: نقذة.

٤- الطوسية: غرفة.

٥- الطوسية: أمّ متاريس.

وهذه الأماكن كلها بمنطقة الحدود الشمالية (عرعر).

الأوداة: أو منطقة الوديان[٣]

أطلق الجغرافيون العرب القدماء على بعض وديان منطقة عرعر قديمًا اسم (الأوداة)، وهذا اصطلاح قديم انفرد به الأوائل من أصحاب كتب البلدانيات كأبي علي الهجري وياقوت الحموي وغيرهما، رحمهما الله.

قال أبو علي الهجري: "وإنما هي الأودية ولكنها لغة طيئ؛ فأول واد من أودية الأوداة ذو القور، ثم أحامر، ثم عرعر والغمار برك تمتلئ من ماء السماء مثل الحياض، ثم أُبلي، ثم تبل، ثم نطن ظبي كلها أودية". أهـ[٤].

وأنبّه هنا: أنه ليس هنالك تناقض بين ما أورد الهجري والحموي، وذلك لأنّ أصحاب كتب البلدانيات القديمة يعتبرون شمال الجزيرة العربية من الشام[٥].

والأوداة كانت لبني كلب في الجاهلية والإسلام[٦]، وقد ذكرها شعراؤهم كقتادة بن شعاث الكلبي الذي قال:

إليك من الأوداه يا خير مذحج ... عفت بها أهوال كل تنوف

حملت عن التيمي ثقلاً وقد أبت ... حمالته كلب وجمع ثقيف

وذكر الأوداة أيضًا الشاعر حيان بن قيس فقال:

لعمري لقد أمست إليّ بغيضة ... نوى فرّقت بيني وبين أبي عمرو

فإن أرهم لا أصدف الدهر عنهم   سوى سفر حتى أغيب في القبر

إذا هبطــوا الأوداة والبحر دوننا   فقل في ثنـــاء بيننا آخر الدهر

وعن الأوداة قال الشيخ حمد الجاسر في "**المعجم الجغرافي قسم شمـــال المملكة**"[٧]: "يطلق على الأوداة الآن اسم الوديان السبعة، وهي أودية تنحدر من المرتفعات الواقعة شرق الحماد، متجهة صوب الشرق حتى تغـــيض في سهول الفرات الغربية. ومن أشهرها وادي المراء وحامر وأبوالقور". وقـــال أيضًا: و"يقصدون بالسبعة التعدد والكثرة لا انحصارها بسبعة من العدد"[٨].

أَقْرَنُ (جبل):

قال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله[٩]: "أَقْرَنُ: بفتح الهمزة والراء وإسكان القاف وآخره نون- هضبة دقيقة طويلة، يبلغ ارتفاعها نحو (١٠٠٠) متـــر عن مستوى سطح البحر، تقع غرب بلدة طُرَيف، جنوب دَوْقَــرًا، شمـــال أُفيحم، من أبرز أعلام الحرة - حرة وادي السرحان".

وقال الراوي ماطر بن مخلف الدرويشي الحازمي[١٠]: "أقرن جبل طويل يسمَّى أقرن حيث رأسه منقسم إلى شفقتين، أي (جزئين)، ولهذا الســـبب سُمِّي أقرن".

أجام حامر (جبال):

قال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله: "أجام حامر موضع مضاف إليـــه - أي وادي أحامر"[١١].

أقول: أخبرني الأستاذ صالح بن مهدي المجلاد أنها تعرف الآن بالحجول (حجول حامر)، وهذا تشبيه لها بالحجل، وشبه بالذي يوضع بالساق، وهي

جبال صغيرة تلجم وادي أحامر كاللجام، ولهذا شبهها بالعرب باللجام من (اللجم)[١٢]؛ وهي جبال سود كبيرة.

أقول: لقد ذكرها المؤرخ البكري في كتاب "**معجم ما استعجم**"[١٣].

أعيوج أبا القور (شعيب)[١٤]:

أعيوج أبا القور: وهو ثلاث شعاب تنحدر من جبال الجوف باتجاه وادي أبا القور.

الأقرع (وادي):

قال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله: "الأقرع أيضًا: شعبتان كبيرتان من روافد وادي عرعر، تنحدران من الطرف الشرقي للحَماد، وتلتقيان بالوادي (أي وادي عرعر) في أعلاه" انتهى.

أقول: الأقرع واد ينحدر من الحماد تحديدًا من حزم الشوان، ويتجه شرقًا حتى يصبّ في وادي عرعر، وهو الوادي الوحيد المنحدر انحدارًا شديدًا، حيث إنّ أهل البادية يخشون سيله أثناء هطول الأمطار، لقوة انحداره وجريانه.

وقال ياقوت الحموي، رحمه الله: "القرع -بضم القاف المعجمة- كأنه جمع أقرع: اسم لأودية في بادية الشام، سُمِّيت بذلك لأنها لا تنبت شيئًا".

أقول: قوله (لا تنبت شيئًا) هذا غير صحيح؛ لأنّ وادي الأقرع بمنطقة عرعر (الحدود الشمالية) ينبت النباتات الحمضية مثل أشجار: الشعران، والرغل، والروثة، والفرس وغيرها. أمّا الأعشاب فهو ينبت جميع أنواعها.

باب الباء

بَدَنَة (واد):

قال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله[١٥]: "بَدَنَة -بفتح الباء والدال المهملة بعدها نون فهاء- واد من روافد وادي عرعر يتمع به بقرب مدينة عرعر...".

وقال أيضًا: "ومهما يكن فإنّ بدنة المعروفة الآن واقعة في بلاد كلب"[١٦].

أقول: وسُمِّيت بَدَنة بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة من الصفويين أو الثموديين[١٧]؛ وبدنة في اللغة هي: الإبل[١٨]، وتنطق عند العامّة والبادية عمومًا (إبدنه).

البردويل (خبراء):

قال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله[١٩]: "البردويل علم على أرض منخفضة تقع شرق بلدة طريف، شرق شمال أمّ أوعال".

أقول: وفاته ذكر بردويل الطبيق، وهذا تعريفه:

البردويل (خبراء): ويُسمَّى بردويل الطبيق في رأس شعيب يُسمَّى شاظي الدبوسة[٢٠].

البولية (شعيب):

البولية رافد من روافد وادي أحامر من جهة الشرق يلتقي به بالقرب من غدير المخطم[٢١].

و لم يذكره الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**".

وإنما سُمِّي بذلك؛ لأنهم إذا صاروا إليه في المطر زلقت فيه الإبل ووحلت[٢٢].

أقول: شعيب البولية يجتمع بأحامر من جهة الشرق قبل الحجول[٢٣] بكيلوين أو ثلاثة.

* * *

باب التـــاء

تبـــل (واد):

وادي تبل اشتقاقه من شيئين لا ثالث لهما:

أولاً: إمّا من التبل وهو الخلط: أي لتنوّع كثرة النباتات البرّيـــة في هـــذا الوادي، فسُمِّي بهذا الاسم (تبل).

ثانيًا: أو أنّ اسمه مشتقّ من البلل؛ لغزارة الأمطار وكثرتها التي تنـــزل على هذا الوادي (تبل)؛ فهو دائمًا مبتل من البلل حتى قيل في المثل عندنا بمنطقة عرعر (الحدود الشمالية) عن وادي تبل وذلك في قولهم: "تبل كل عرقه تبل"، أي تبل من البلل، وهذا ما أرجحه هنا.

وإن كان من اختلاط النباتات البرّية، فقد وصفه الشعراء بكثرة النبات، وهذا شاعر شعبي قبل مئة عام -كما يقول الرواة- يصف الربيع في وادي تبل، ولا أعرف اسمه إلا أنه قديم:

بس النواوير لـــه شـــوبه   تشبع به الدق والجلـــي
من مزنة صب حالوبـــه   كتت على وادي تبـــل
تشـــاوروا به وحطـــو به   وتنازلوا به عرب خلي

وقوله "بس النواوير له شوبه": أي تنوع الأزهار، وهذا يدل على كثرتها وتنوعها.

وقوله: "تشبع به الدق والجلي": أي تشبع من هذا العشب الغنم والماعز والإبل، والمقصود بالدق: الدقيق، وهو الضعيف من بهيمة الأنعام كالمـــاعز والغنم. والمقصود بالجلي: الجليلة، أي الضخمة كالإبل وغيرها.

* * *

باب الجيـــم

الجندلية (واد)[٢٤]:

قال علاّمة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله:

"الجنْدَلي: كأنه منسوب إلى الجندل: واد يقع غرب جديدة عرعر، وينحدر إلى وادي حَامِر"[٢٥].

قال الأستاذ صالح بن مهدي المجلاد: الصواب الجندلية مؤنث جندل.

الجوهدي: موضع قرب وادي أحامر لم يذكره الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**"؛ فهو من فوائت المعجم.

* * *

باب الحـــاء

حامر (واد)[٢٦]:

قال الشاعر الشعبي[٢٧]:

نطيـــت أُنا العبد والعبـــده   وأشوف اللي وراء حامر[٢٨]
وقـــرون خلي علـــى كبـــده   مثل السفايف على الضامر[٢٩]

الحَجْرَة (أرض):

الحجرة بفتح الحاء وإسكان الجيم بعدها راء مهملة فهاء، يطلق هذا على أرض ذات آكام وأودية ومناهل متعددة... ومن أشهر مناهل الحجرة أيضًا: رفحا ولَوْقة والهبكة والهبيكة والدُّوَيْر والعويقلية.

ومن أوديتها: أودية الهذاليل (طرفها الشرقي) ووادي الحشيبـــي، ووادي زبالة، ووادي فيحان، ووادي أُعيوج، ووادي الخُرّ... وتشمل الحجرة قســمًا كبيرًا من حزن بني يربوع وقسمًا من حزن كلب[٣٠].

* * *

باب الـــدال

دُوَيْخِلَة الأقرع:

تصغير داخلة مضافة إلى الأقرع، والأقرع واد من روافد وادي عرْعر... ودُوَيْخِلَة وادي الأقرع شعيب يدخل وادي الأقرع؛ فسُمِّي بهذا الاسم، و لم يرد لها ذكر في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**".

دُوَيْخِلَة وادي الشاظي:

تصغير داخلة مضافة إلى وادي الشاظي، وهو شعيب يدخل وادي الشاظي ويصبّ فيه، و لم يرد لها ذكر في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**".

دُوَيْخِلَة الحنظلية:

تصغير داخلة مضافة إلى الحنظلية، وهو شعيب يصبّ في الحنظليـــة، و لم يرد لها ذكر في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**".

* * *

باب الـــذال

ذو القور (واد)[٣١]:

أورد الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد، رحمه الله، في كتابه "**ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه**" ص٢٢٢ قصيدة للشيخ ساجر الرقدي، ونسبها خطأ إلى الشاعر الخمشي. والصواب: أنها للشاعر ساجر الرفدي، و لم ينبّه محقق الكتاب الدكتور محمد بن سعد بن حسين[٣٢] إلى هذا الوهم، وأورد الأبيـــات مصحّفة في (ص٢٢٢) من الكتاب المذكور، و لم يشر المحقق إلى هـــذا في حاشية الكتاب.

أقول: لقد أوردها الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، في كتابه "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**" ١/٢٤، وذكر مناسبة الأبيات[٣٣] نقلاً عن كتاب "**أبطال من الصحراء**" ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٦. أرجو أن يلاحظ هذا في الطبعات القادمة، وبالله التوفيق.

* * *

باب الــراء

رَفْحا:

قال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله[٣٤]:

"رَفْحَا: بالفتح وإسكان الفاء بعدها حاء مهملة فألف... وقال أيضًا: وسُمِّيَت رَفْحا بقويرة صغيرة تقع شرقها، بالقرب منها كان اسمها رَفحا...".

أقول: رَفْحا أيضًا موقع بالعراق وردت فيه أشعار شعبية لشعراء من قبيلة عنزة.

الرصيف:

موضع بمنطقة الجوف لم يرد ذكره في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**"؛ فهو من فوائت المعجم.

ويقع الرصيف شمال زلوم، به حجارة مرصوفة، ولهذا سُمِّي بالرصيف، وكل موضع في شمال المملكة العربية السعودية به حجارة وآثار قديمة مرصوفة على الأرض يطلق عليه أهل الشمال الرصيف أو الرصيفة أو نحو من ذلك.

والرصيف به نقوش وآثار إسلامية، على ما أفادني به الأستاذ عواد فالح العواد، مؤلف كتاب "**صور من صحراء الجوف**" (بالمشاركة).. قال ياقوت الحموي، رحمه الله:

"الرصافة: بضم أوله، مشهور إن لم يكن اشتقاقه من الرصف، وهو ضم الشيء إلى الشيء كما يوصف البناء، فلا أدري ما اشتقاقه"(٣٥).

الرَّوثية -كأنها منسوبة إلى الرَّوْث:

روضة تجتمع فيها السيول، وتزرع بَعْلاً، تقع في ضفة وادي عرعر في المنتصف بين مدينة عرعر وجُدَيِّدَة عرعر، في واد بهذا الاسم(٣٦).

أقول: الروثية تُسمَّى الآن روثية مشعان، نسبة إلى الشيخ مشعان بن بكر، شيخ قبيلة السويلمات من عنزة، حيث توفي في هذا الموضع وقبره هناك قبل مئة عام تقريبًا.

* * *

باب السين

سُوَيْف (واد):

قال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله(٣٧):

"سُوَيف بضم السين وفتح الواو بعدها ياء ساكنة، ففاء: واد يقع شرق مدينة عرعر...".

ويرى الأستاذ صالح بن مهدي المجلاد أنه تصغير سيف(٣٨).

* * *

باب الشين

شراوَى (تل):

شراوَى (تل) بالفتح وفتح الواو، لم يذكر الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**"، وشراوى (تل) يقع في الركن الشرقي من وادي الخور.

ويقول العامة: سُمِّيَت شراوى بهذا الاسم لأنها تل مرتفع جدًّا بالنسبة لما حوله.

* * *

باب الصـــاد

صفية (خبراء):

صفية (خبراء) بالحجرة وتحديدًا بالقُرية؛ وهي موقع شديد الوعورة، فيها آبار أثرية قديمة، إضافة إلى بعض النقوش الثمودية والإسلامية، على ما أفادني به الأستاذ عواد بن فالح العواد، وهو من المهتمين بالتاريخ والآثار بمنطقة الجوف.

* * *

باب الطـــاء

طُرَيف (واد)[٣٩]:

قال الشاعر[٤٠]:

بطريف ولا عدني بطريف　　شوف الغضي ما هَميا لي
البيض ما طردهن بالكيف　　يبغن دنانير وريالي[٤١]

الطُّريفاوِي (شعيب):

لم يذكره الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، في كتابه "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**" وهو من فوائت المعجم، والطريفاوي شعيب ينحدر من جبل عنازة جنوبًا، وينتهي في خبراء، تُسمَّى (الهجم والبرك) حيث إنها من أشهر خباري الحماد، وتحتفظ بالمياه لمدة وجيزة.

والياء في الطريفاوي: ياء النسبة، أي نسبة إلى شجر الطرفة، ويجوز حذف هذه الياء فيقال: الطرفاوي[٤٢].

الطَّرِيفاوِي (غدير)[٤٣]:

الطريفاوي: هو غدير على أثر السيول والأمطار في بطن وادي عرعر، يبعد عن مدينة عرعر بحوالي (٢٠) كيلاً تقريبًا، حيث إنه يحتفظ بمياه الأمطار مدة قصيرة من الزمن بما يقارب أربعة اشهر أو خمسة تقريبًا.

ولم يذكره الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، في "المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة" -وهو من فوائت المعجم- وأيّ مكان أو موضع أو بقعة بمنطقة الحدود الشمالية[٤٤] يعرف بالطريفاوي أو طريف أو نحوهما؛ فهو نسبة إلى شجر الطرفة[٤٥].

* * *

باب العين

علبان (شعيب)[٤٦]:

من روافد وادي عرعر.

قال ياقوت الحموي، رحمه الله[٤٧]:

"فأمّا العلب فهو الأرض الغليظة التي لو مطرت دهرًا لم تنبت خضـــرًا، وكل موضع صلب خشن من الأرض فهو علب؛ والعلب: منبت السِّـــدْر، وجمعه علوب، والعلب: أثنة غليظة من الشجر تتخذ مقطرة".

أقول: لم يذكره الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**".

* * *

باب الغيـــن

غدير المخطم:

الغدير بفتح الغين ما يغادره المطر من الماء ناقعًا[٤٨]. وغدير المخطـــم لم يذكر الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**".

غدير المخطم: يوجد بالقرب من الحجول[٤٩] السود، وهي جبـــال ســـود كبيرة على جانب وادي أحامر، ولا يزال القطا فيه حتى وقت الصـــيف في هذا الزمان.

* * *

باب الـــلام

لاهة (جبل)[٥٠]:

قال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله:

"والإلاهة في بلاد كلب (قديمًا)[٥١] لا تزال معروفة، ولكنهم يسمّونها الآن لاَهَة، فيحذفون الألف، وهي التي في السَّمَاوَة، وهي قارة تقع في الشـــمال

الشرقي من بلدة طُرَيْف بقرب الحدود داخلة في الحدود السعودية، تبعد عن طُرَيْف بما يقارب (٤٠) كيلاً، وهي تشاهد من طُرَيف"[٥٢].

اللويزية (واد)[٥٣]:

وادي اللويزية يبعد عن عرعر مسافة (١٠) كيلاً تقريبًا جنوبًا[٥٤]، و لم يذكره الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**"؛ فهو من فوائت المعجم.

لِينَة (قرية):

قال ياقوت الحموي، رحمه الله:

"لِينَة: بالكسر ثم السكون ونون، قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ...﴾[٥٥]، كل شيء من النخل سوى العجوة، فهو من اللِّين، واحدهما اللِّينة[٥٦].. وقال الزجاج: اللينة[٥٧] الألوان، والواحدة لَوْنة، فقيل لِينة -بكسر اللام...".

وقال السكوني، رحمه الله: ... إنّ بها ثلاث مئة عين.

وقال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، يقصد (عين بئر) إذ لا عيون في لينة[٥٨].

أقول: وصف ماء لينة بالعذوبة وتارة بـ(ماء طيّب)[٥٩].

لِسّ (جبل):

لِسّ (جبل) بكسر اللام وتشديد السين المهملة، جبل لِسّ لم يذكر في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**" في باب اللام من ص(١١٥٥) إلى ص(١١٦٧)، وإنما ذكره الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، عن (جبل العاقر)؛ فقال: "العاقِرُ: جبل دقيق مرتفع يقع شمال جبل لِسّ..."[٦٠].

أقول: ومعنى لِسّ، المكان الكثير والعميم النبات وقت الربيع، وهذا ينطبق تمامًا على جبل لِسّ فهو في وقت الربيع يتميز بكثرة النباتات[٦١]، وبالله التوفيق.

وقال عنه الأستاذ الشاعر عيد بن نعيم السهو[٦٢]: "لِس: جبل معروف بمنطقة الحرة مما يلي سهل الحماد".

وقد وصفه في أيام الربيع بأجمل صورة فقال[٦٣]:

على ربى (لِسّ) جاد الوبلُ هتّانا   أرض بها الأنسُ والأزهارُ ألوانا
لله تلك جبال لو مررت بها   لكنت مما ترى عيناك جذلانا
تلك الغربيبُ قد حُفّت جوانبها   بكل ما أبدع الرحمن فتّانا
فيها الأناسةُ والأجواءُ باردةٌ   والأرضُ تمتدّ أزهارًا وريحانا
في زمرةِ الصَّحْبِ زُرناها لمكرمة   نعم الرفاقُ إذا أطريتَ إنسانا
ما أجملَ الأرضَ والأزهارُ تنفحنا   والسهلُ يأخذ بالألباب طربانا
وقد كساه نباتُ العشب حلته   في أروعِ ما تراه العين لاقانا
تلك الزهور وتغشانا روائحها   على رُخاءٍ من النسناس حيّانا

* * *

باب الميم

الْمِرَاء (واد):

قال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله[٦٤]:

"المِرَاءُ واد ينحدر من شمال الحماد...".

ويرى الراوي ماطر بن مخلف الحازمي[٦٥]: "إنّ وادي المِرَاء سُمِّي على مري الإنسان".

وقال خلف الأذن (الشعلان) من الرولة يذكر وادي المِرَاء ومواضع بقربه[٦٦]:

من وبلها ندفا ووادي المِرا سال   والضلعة اللي ضاع باسمه ولدها[٦٧]
ومنها الدميثا سيلها يركب الجال   وخبرا المقنع تبهج اللي وردها[٦٨]
والبردويل الموج غاد له ظلال   وطريف ملا دوقرا مع جلدها[٦٩]

مُجيلس وادي المراء:

مُجيلس: بضم الميم تصغير مجلس، وهي رجوم جمع رجم، تقع بالركن الشرقي من وادي المراء، و لم يرد لها ذكر في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**".

وتعريف المجيلس: هي عبارة عن أحجار قديمة وعلامات، وهي أكوام من الرضم والحجارة، ويبدو أنها أثرية قديمة، وضعها قوم من الصفويين أو الثموديين، وهي المتعارف عليها عند العامة بـ(الرجوم) جمع رجم، وهذا يعني أنّ لفظة مجيلس يرادفها كلمة رجم.

مُجيلس شعبان البحيرات:

بضم الميم أيضًا تصغير مجلس، تقع في قلب ووسط البحيرات التي تصبّ في وادي المراء، و لم تذكر في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**".

مُجيلس شعبان السليمانيات:

بضم الميم أيضًا تصغير مجلس، ومجيلس شعبان السليمانيات التي تصبّ في وادي أبا القور، و لم يحدد لها ذكر في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**".

* * *

باب النـــون

نواظر[٧٠]**:**

قالتْ امرأة من كلب:

سقى الله المنازل بين شـــرج وبين نواظر دِيَمًا رهامـــا
وأوساط الشقيق شقيق عبس سقى ربِّي أجارعه الغماما
فلـــو كُنّا نُطـــاعُ إذا أمرنـــا أطلنا في ديارهم الْمُقاما[٧١]
فإني لا أني ما عشـــت أُهدي لها ولمن يَحُلُّ بها السلاما[٧٢]

النهدين (تلّ):

النهدين هما عبارة عن تلّين متلاصقين أو حزمين على شكل النهد في الركن الأسفل الشمالي من وادي أحامر.

الهوامش:

* عرعر.

(١) أمّ خنصر قارة تشبه الخنصر، ولهذا سُمِّيت بأمّ خنصر على شكلها.

(٢) الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ١/١٢٦، وراجع **معجم الأسمـــاء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية**، ص٦٦، للدكتور أســعد سليمان عبده.

(٣) مجلة **تجارة عرعر**، العدد ٢٥، ص٤٧، تصدر عن الغرفة التجارية الصناعية بعرعر.

(٤) **المعجم الجغرافي قسـم شمال المملكة**، ١/١٤٨-١٤٩.

(٥) الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٢/٦٨٩.

(٦) المرجع السابق، ١/١٤٨ وما بعدها. (٧) نفسه، ١/١٤٩.

(٨) الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ١/١٤٩.

(٩) المرجع السابق، ١/١١٥. (١٠) من رواة الأدب الثقات بمنطقة الحدود الشمالية.

(١١) الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ١/٣٧٦.

(١٢) ومن هذا لجام الفرس لأنه يلجم فاه.

(١٣) أي لفظة (الجام حامر)، راجع كتاب **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٣٧٦/١.

(١٤) قال الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله: "أعيوج تصغير أعوج، **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ١٠٤/١. وقال ياقوت الحموي، رحمه الله: "يجوز أن يكون تصغير العُوج، وهو ضد المستقيم أو تصغير العوج وهو الميل" **معجم البلدان**، ١٦٩/٤.

(١٥) الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ١٧٥/١.

(١٦) بلاد قبيلة (بني كلب): منطقة الحدود الشمالية الآن، وبلاد الجوف (راجع مقدمة **المعجم الجغرافي: قسم شمال المملكة**، ٧/١ وما بعدها، لعلاّمة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، لمعرفة منازل القبائل قديمًا.

(١٧) راجع كتاب **القبائل الصفوية والثمودية**.

(١٨) البدن: جمع بَدَنة: وهي الإبل. (**تفسير الجلالين**، ص٣٣٦). قال الله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [سورة الحج: ٣٦].

(١٩) الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ١٨١/١.

(٢٠) شاظي الدبوسة: نسبة إلى جبل الدبوسة.

أقول: بردويل الطبيق ذكرته في كتابي **الاشتقاق اللغوي للمواضع والأماكن الجغرافية بمنطقة عرعر**، ص١٦، وقلت: إنه واقع في منطقة الوديان (الأوداة قديمًا)، وما ذكرته في هذا البحث فيه تفصيل، وبالله التوفيق.

(٢١) كذا قال الأستاذ صالح بن مهدي الجلاد من أعيان فخذ الدهامشة من عنزة ومن رواة الأدب المشهورين في عرعر.

(٢٢) هذا رأي لغوي عن سبب تسمية البولية بهذا الاسم، راجع **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٢٣٢/١.

(٢٣) الحجول: أي ألجام حامر (انظر هذا الاسم).

(٢٤) في **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٣٤٧/١ الجندلي، والصواب: الجندلية.

(٢٥) المرجع السابق ٣٤٧/١.

(٢٦) ويعرف أيضًا بــ"أحامر" وهو صواب... راجع **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٣٧٦/١ وما بعدها.

(٢٧) شاعر شعبي شمالي.

(٢٨) وفي رواية: "أرقبت" بدل "نطيت". العبد والعبدة: أسماء أمكنة بمنطقة عرعر، لم يرد لها ذكر في **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، وهي من فوائت المعجم.

(٢٩) الضامر: بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى، **تفسير الجلالين**، ص٣٣٥. وقال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج: ٢٧].

(٣٠) بتصرف من كتاب **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٤٠٠/١ وما بعدها.. قال الأستاذ صالح بن مهدي المجلاد: "الحجرة: ضد النفود، وهي الأرض ذات الحجارة أو الأرض الصلبة".

(٣١) ويعرف أيضًا بــ(أبا القور).

(٣٢) أستاذ الأدب والنقد -سابقًا- بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣٣) ومنها هذا البيت:

وأنا أحمد الله سالم من شطنها ظليت أفلي بين عرعر وأبا القور

وهي قصيدة لا يختلف الرواة أنها للشاعر ساجر الرفدي، رحمه الله.

(٣٤) الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٥٨٥/٢ وما بعدها. أقول: كتابتها رَفْحَاء بالهمز هكذا خطأ لغوي، والصواب: ما كتبه الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله (رفحا) بحذف الهمزة. وقال أستاذي العلاّمة الشيخ محمد ياسين الخياط: رفحا مثل سينا إذا أضيفت تحذف الهمزة مثل: مدينة رفحاء.

(٣٥) **معجم البلدان**، ٤٦/٣، وذكر ياقوت الحموي أيضًا أنّ الرصاف جمع وصفه (أي رصيف)؛ وهي حجارة مرصوفة بعضها إلى بعض... راجع **معجم البلدان**، ٤٦/٣.

(٣٦) الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٦٠٦/٢.

(٣٧) الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٦٩٦/٢.

(٣٨) من رواة الأدب المشهورين بمنطقة الحدود الشمالية، وقال أيضًا: سويف تصغير سيف لصغره سُمِّي بهذا الاسم.

(٣٩) وادي طُرَيف الواقع في شمال المملكة العربية السعودية بمنطقة الحدود الشمالية لم يرد له ذكر في كتب البلدان القديمة كـ**معجم البلدان** لياقوت الحموي، رحمه الله، وكتاب **الأماكن** للشيخ محمد بن موسى الحازمي الشافعي، رحمه الله، وغيرهما من الكتب المصنّفة في هذا المجال، وذكر من المعاصرين الشيخ حمد الجاسر في كتابه **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٨٢٦/١، وذكرته في كتابي: **المعجم الشعري للمواضع والأماكن الجغرافية بمنطقة عرعر**، ص٢٩، وأيضًا في كتابي الاشتقاق اللغوي للمواضع والأماكن الجغرافية بمنطقة عرعر، ص٣٣.

(٤٠) شاعر شعبي من أهالي مدينة طريف، لا أعرف اسمه، ولعلني أستدرك ذلك في الطبعات القادمة إن شاء الله تعالى. أقول: و لم أجد له ذكرًا، أي (طريف) في الشعر العربي القديم (الفصيح) وبالله التوفيق.

(٤١) يعني الشاعر هنا بقوله: "يبغن دنانير وريالي" أي مصاريف الزوجات والأولاد.

(٤٢) قال الشيخ حمد الجاسر رحمه الله: "الطَّرفاوي: لعله سُمِّي بهذا لوجود شجر الطرفاء فيه، **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٨٢٤/٢.

(٤٣) الغدير: مستنقع من مياه الأمطار أو السيول بالبراري، وقد سمّت العرب غديرًا على هذا، وهذا الاسم (غدير) أعلام الرجال متداول بين عرب الشمال.

(٤٤) منطقة عرعر.

(٤٥) الطرفة: يكتبها الشيخ حمد الجاسر رحمه الله هكذا (شجر الطرفاء) راجع: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٨٢٤/٢، وهو صواب أيضًا.

(٤٦) أقول: (علبان) مثنى، مفرده (عِلب) وجمعه (علوب) وأرضه وعرة.

(٤٧) **معجم البلدان**، ١٤٥/٤.

(٤٨) الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ٩٨١/٣. (٤٩) أي ألجام حامر.

(٥٠) إلاهة: تعرف أيضًا بـ(الإلاهة)كما في **مختار الصحاح**، ص٢٢، و**معجم البلدان** (رسم الإلاهة) وهي من أسماء الشمس. راجع كتاب **الاشتقاق اللغوي للمواضع**

والأماكن الجغرافية بمنطقة عرعر، ص٣٩. وراجع كتاب **المعجم الشعري للمواضع والأماكن الجغرافية بمنطقة عرعر**، ص١٥ وما بعدها.

(٥١) بنو كلب: هم سكان منطقة الحدود الشمالية (الوديان والحماد) وبلاد الجوف. ولمعرفة سكان المنطقة قديمًا راجع مقدمة **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ١/٧ وما بعدها.

(٥٢) الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**، ١/١٢٣ وما بعدها. أقول: قوله تبعد عن طريف بما يقارب (٤٠ كيلاً) الصواب: تبعد لاهة عن مدينة طريف (١٠٥ كيلاً)، وقوله: تشاهد (أي لاهة) من طريف، الصواب": لا تشاهد من طريف، أمّا التي تشاهد من طريف فهي أمّ أوعال، وتبعد (أمّ أوعال) عن مدينة طريف (المحروسة بإذن الله) ٢٥ كيلاً تقريبًا، وهي تشاهد من مدينة طريف، ولعل الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، يعني أمّ أوعال، ولكنه سبق قلم منه، رحمه الله رحمة واسعة.

(٥٣) ذكر الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**" ٣/١١٦٥: "اللوزة:...بركة بين وامضة والفرعاء".

أقول: أمّا وادي اللويزية الذي ذكرته آنفًا لم يرد له ذكر البتة في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**"، وما أورده الشيخ حمد الجاسر هو مكان آخر، وبالله التوفيق.

(٥٤) **الدليل الإحصائي لمدارس منطقة الحدود الشمالية** – من مطبوعات الإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة الحدود الشمالية.

(٥٥) الآية رقم (٥) من سورة الحشر.

(٥٦) في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**" ٣/١١٦٧: "واحدها لينة" من غير أل التعريف، ليلاحظ دقة النقل والضبط، وفي "**معجم البلدان**" ٥/٢٩ وردت معرّفة.

أقول: والصواب ما ذكره الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، وما ورد في "**معجم البلدان**" لعله تصحيف من النسّاخ.

(٥٧) اللينة: هكذا في "**معجم البلدان**" ٥/٢٩. وفي "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**"، ٣/١١٦٧ بحذف التاء (اللين).

(٥٨) الجاسر، حمد: "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**"، ٣/١١٦٨.

(٥٩) الحموي، ياقوت: "**معجم البلدان**" ٥/٢٩.

(٦٠) الجاسر، حمد: "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**"، ٨٧٢/٣.

(٦١) "**معجم متن اللغة**"، للعلاّمة اللغوي الشيخ أحمد رضا، (انظر: باب اللام).

(٦٢) مدير عام الأحوال المدنية بمنطقة الحدود الشمالية (سابقًا). وبعد تقاعده عيّن رئيسًا لنادي منطقة الجوف الأدبي حاليًّا، وله ديوان شعر مطبوع بعنوان "**ديوان الخواطر**" وغيره. انظر ترجمته في كتاب "**مناقب بعض المناعير النشامى بالجوف**" لمؤلفه الأستاذ فايز بن عودة المحيسن الكريّع، ص١٠٧ وما بعدها.

(٦٣) "**ديوان الخواطر**" للشاعر عيد بن نعيم السهو، ص١٨١ وما بعدها.

(٦٤) الجاسر، حمد: "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**"، ١٢١١/٣ وما بعدها، وراجع كتاب "**الاشتقاق اللغوي للمواضع والأماكن الجغرافية بمنطقة عرعر**"، ص٤٩.

(٦٥) من فخذ الدرويش من قبيلة الحازم من الفدعان من عنـــزة.

(٦٦) الجاسر، حمد: "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**"، ١٢١٢/٣.

(٦٧) ندفا ووادي المرا معروفان. والضلعة مؤنث الضلع، ويقصد أمّ أوعال الواقعة بقرب طريف. ضاع ولدها: اختفى في السيل (أي وعيلة). انظر: "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**" ١٢١٢/٣.

(٦٨) المقنع والدميثا: موضعان هناك متقاربان.. اللي: الذي. انظر: "**المعجم الجغرافي...**" ١٢١٢/٣.

(٦٩) البردويل: خبراء قرب أمّ أوعال معروفة.. دوقرا: خبراء يسيل فيها شعيب طريف. انظر: "**المعجم الجغرافي**" ١٢١٢/٣.

(٧٠) نواظر تحدّث عنها الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، في "**المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة**" ١٣٠٣/٣، ١٣٢٦، وتحدثت عنها في كتابي: "**الاشتقاق اللغوي للمواضع والأماكن الجغرافية بمنطقة عرعر**" ص٤٤.

(٧١) الأبيات (١، ٢، ٣) رواية ياقوت الحموي، رحمه الله، في "**معجم البلدان**" ٣٣٤/٣.

(٧٢) وأورد الأبيات أسامة بن منقذ، رحمه الله، (ت٥٨٤هـ) في كتابه "**المنازل والديار**" ص٣٤ عدا البيت الثاني (وأوساط الشقيق شقيق عبس...).

المصادر والمراجع:

* المعجم الجغرافي قسم شمال المملكة العربية السعودية، الشيخ حمد الجاسر.
* معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي.
* معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية العسودية، د. أسعد سليمان عبده.
* الاشتقاق اللغوي للمواضع والأماكن الجغرافية بمنطقة عرعر، عايد بن ريشود عايد الحازمي.
* المنازل والديار، أسامة بن منقذ، رحمه الله (ت٥٨٤هـ).
* ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه، للشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد، تح. د. محمد ابن سعد بن حسين.
* تفسير الجلالين، الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلّي الشافعي والشيخ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي.
* المعجم الشعري للمواضع والأماكن الجغرافية بمنطقة عرعر، عايد بن ريشود عايد الحازمي.
* الدليل الإحصائي لمدارس منطقة عرعر، من مطبوعات الإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة الحدود الشمالية عام ١٤٠٥هـ.
* مجلة تجارة عرعر، العدد ٢٥، تصدر عن الغرفة التجارية الصناعية بعرعر.
* أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، الشيخ حمد الجاسر.
* معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم.
* مجلة تجارة عرعر، العدد ٣٠، تصدر عن الغرفة التجارية الصناعية بعرعر.
* رحلة ابن جبير.
* كتاب بلاد العرب، أبو لغدة الأصفهاني، تح. الشيخ حمد الجاسر والدكتور العلي.
* الإكمال، لابن ماكولا.
* لسان العرب، لابن منظور المصري.
* مجلة "العرب"، رئيس تحريرها الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض.
* المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد العلي.
* تاريخ الطبري، للإمام محمد بن جرير الطبري.
* الكامل في التاريخ، للإمام ابن الأثير الشافعي.
* آثار البلاد وأخبار العباد، للإمام القزويني الشافعي.

مكتبة العرب

مكة المكرمة-عاصمة الثقافة الإسلامية، بحوث ودراسات، ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ، إعداد: أبوبكر أحمد باقادر، وزراة الحج، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٨١١ صفحة.

قسّم هذا السجل العلمي لندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ إلى أربعة محاور، على أنّ هذه المحاور ليس لها عنوانات، وبعض موضوعاتها متقاربة ومتناسقة وأخرى ليست كذلك.

صدرت أبحاث المحور الأول بأبحاث عن رحلات رجال معظمهم اعتنقوا الإسلام في هذا العصر، يأتي في مقدمتهم الأمريكي الأسود مالكوم إكس، والإيراني المسلم النشأة الذي مر بتحولات عقدية خلال حياته منها الانتماء إلى الحزب الشيوعي الإيراني، ثم التخلي عن ذلك وأصبح من ألمع الروائيين الإيرانيين في العصر الحديث، والألماني مراد ويلفريد هوفمان الذي سجل تجربته في التحوّل إلى الإسلام، وكذلك النمساوي الذي اعتنق الإسلام وتسمّى بمحمد أسد، وألّف كتابه "**الطريق إلى مكة**"، وكذلك تأثير مكة في كتابات مفكري النهضة مثل الكواكبي في كتابه "**أمّ القرى**"، ثم أبحاث عن رحلات علماء شنقيط، وأدب الرحلات الفارسية إلى مكة، وحج مسلمي اليابان.

وخصص المحور الثاني للحديث عن العلماء الوافدين إلى مكة واستقرارهم بها لفترات متفاوتة، بل بعضهم قضى بقية عمره فيها، وتفاعلوا مع الحياة العلمية فيها إفادة واستفادة، كما تفاعلوا مع الحياة الاجتماعية عن طريق

الزواج أو المعايشة والاختلاط، وتفاعلوا مع الحياة الاقتصادية عن طريق اشتغال بعضهم بالتجارة، والبعض الآخر بالمهن، وكان هؤلاء يسمّون -سواء كانوا بمكة أو المدينة- "المجاورين" لكونهم اختاروا المقام والاستقرار بجوار الحرم المكي أو الحرم النبوي.

وخصص المحوران الثالث والرابع لرمزية ومكانة مكة والحج في وجدان المسلم، وجسدت هذه الرمزية في أشعار الشعراء منهم وفي كتابات الآخـــرين النثرية، وأدرج في هذا المحور كذلك موضوعات أخرى متنوعة.

وألحق في آخر الكتاب وثائق وتقارير الندوة.

ع. ص. هـــ

إهداءات إلى مكتبة العرب

أولاً: الكتب:

- الكشاف التراكمي للدوريات الجارية، الإصدار السنوي الأول، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، إعداد وحدة المعلومات، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- الإدارة قائمة ببليوجرافية مختارة مع مكتز هجائي، ج١، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، أعداد وحدة الضبط الببليوجرافي، ١٩٩٩م.
- الكشاف التحليلي الجامع لمجلة البحوث الإسلامية (١٣٩٥-١٤١٩هـ)، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، إعداد وحدة المعلومات (الدوريات)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- الكشاف التحليلي لمقالات وأبحاث مجلة مجمع الفقه الإسلامي ١٤٠٧-١٤١٠هـ/١٩٨٦-١٩٩٠م، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، إعداد وحدة المعلومات (الدوريات)، ١٩٩٩م.

ثانيًا: المجلات:

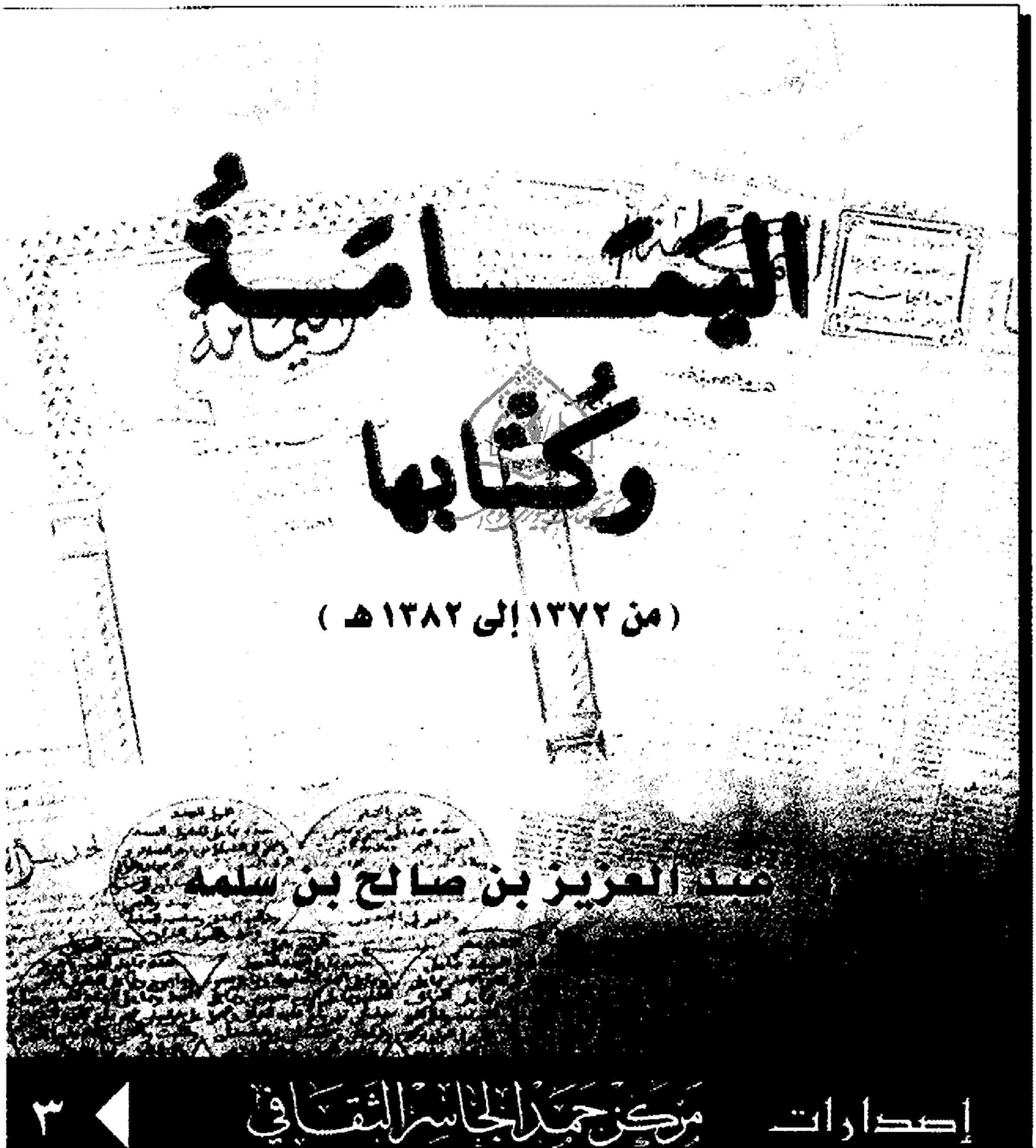
- العالمية، العدد ١٦٦، محرم ١٤٢٥هـ/مارس ٢٠٠٤م، السنة ١٦، رئيس التحرير: يوسف محمد عبدالرحمن.
- آفاق التراث والثقافة، العدد ٤٤، السنة ١١، ذوالقعدة ١٤٢٤هـ/ديسمبر ٢٠٠٣م، مدير التحرير: د. عزالدين بن زغيبة.
- الخفجي، العدد ١١، السنة ٣٣، شوال ١٤٢٤هـ/ديسمبر ٢٠٠٣م، رئيس التحرير: عبدالله بن مشاري الشعلان.
- الخفجي، العدد ١٢، السنة ٣٣، ذوالقعدة ١٤٢٤هـ/ديسمبر ٢٠٠٣م، رئيس التحرير: عبدالله بن مشاري الشعلان.
- الخفجي، العدد١، السنة ٣٤، ذوالحجة ١٤٢٤هـ/يناير-فبراير ٢٠٠٤م، رئيس التحرير: عبدالله بن مشاري الشعلان.
- عالم الكتب، العددان ٣-٤، ذوالقعدة-ذوالحجة ١٤٢٤هـ/محرم-صفر ١٤٢٥هـ/ يناير-فبراير/مارس-أبريل ٢٠٠٤م، المجلد ٢٥، رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد.

مطبوعات حديثة

صدر أخيرًا

عن

مركز حمد الجاسر الثقافي



مطبوعات حديثة

صدر أخيراً عن

دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع

الجزءان : الأول والثاني

